

لغة المعاجم العربية

دراسة تحليلية

المؤلف: الدكتور الوائلي

الناشر: دار الفكر العربي
الطبعة الأولى: ١٩٨٤
عدد الصفحات: ١٠٠

الدكتور / عبد السميح محمد أحمد

د. محمد

هذا الصباح

تأليف: ابن عبد النجاشي

دار الفكر العربي
الطبعة الأولى: ١٩٨٤

أفصح

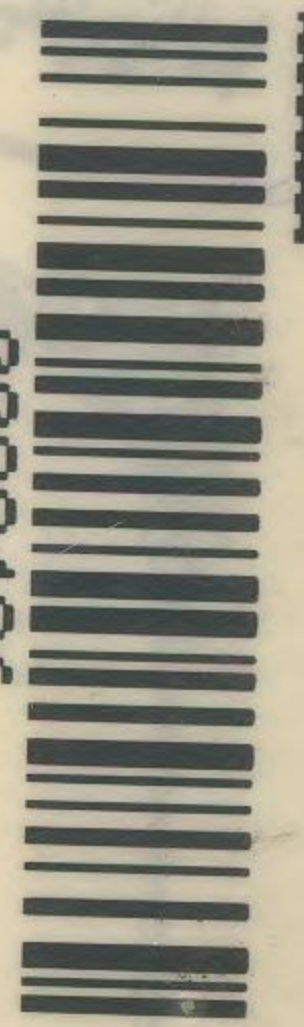
في لغة العرب

تأليف

والفقيه الصغدي

دار الفكر العربي

Bibliotheca Alexandrina



0098496

المعاجم العربية

دراسة تحليلية

الدكتور

عبد السميع محمد أحمد

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الإدارة : ١١ شارع جواد حسنى

ص ب : ١٣٠ ت : ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير

زخرت المكتبة العربية بطائفة قيمة من الكنوز ، حفظت الثروة اللغوية التي امتد عمرها نحو ستة عشر قرناً، إذا أخذنا في التقدير ، القرون الأولى التي عشر للغة فيها على بواكير تامة النضج قوية التكوين ، مما يدعم الحكم بأن هذه البواكير ، البالغة الذروة في سلامة البيان وفصاحة التعبير ، وإحكام النسيج ، يتحتم لبلوغها إياه أن تعبر قروناً أخرى سابقة . وهذه الملاحظة كان يمكن أن تصل بنا إلى التعرف ، بطريقة أدق وأعمق ، على حلقة اتصال العربية بأمها ، وأم أخواتها الساميات ، لو أن حركة التدوين صحبتها منذ العصور المبكرة ، وأنى ذاك !

ولعل المعاجم العربية توضع في المقدمة من هذه الكنوز ، وإنها لذلك ، ولولا ما قامت به من حراسة ألفاظ وأساليب اللغة ، وصيانة ماضيته من تراث حضارى متشعب فروع المعرفة - لولا هذا لضاعت هذه الثروة التي نحرس عليها ، وعلى دراستها ، والتي يعكف العلماء على تيسير تفهمها ، والغوص عن دراريها .

والدراسة التي يقدمها هذا الكتاب تسهم في هذا المجال ، وتضع بعض الصور على الطريق ، وتحاول أن تكشف المحجب التي تحول كثيراً ، تهيئاً وخشية ، دون الانتفاع بما فيها من خير كثير .

والمعنيون باللغة والمتصدون لمزاولة فنونها لا يستغنون عن الرجوع إلى المعاجم ، والتردد على صفحاتها ، وقد يرون في واحد منها قصوره عن الوفاء برغبتهم ، فيضجرون ، أو يتوهمون عجز اللغة عن مسايرة مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة ، فيولون وجوههم وجهات تباعد بينهم وبين ماضيهم العريق .

ومن ثم تعالج هذه الدراسة التاريخ للمعاجم العربية المجنسة ، وتحاول أن تقدم بعضها بشيء من التحليل والدرس ، وتبسط الحديث عنها ، وتترجم لمناهجها ، وتيسر الانتفاع بها وارتياحها .

وعسى أن أقدم إن شاء الله في الكتاب الثاني دراسة لمعاجم الموضوعات توخياً لهذا الغرض ، وإسهاماً في المجال اللغوي الجدير بالعناية .

وماتوفيتي إلا بالله .

عبد السميع محمد أحمد

مقدمة

التدوين عند العرب :

يتحدث اللغة العربية اليوم ملايين من الناس ، ينتشرون في هذه الأقاليم الواسعة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، تربطهم وشائج كثيرة أخرى غير اللغة ، من الجنس والدين والعادات والتقاليد والمشاعر والأحاسيس والآلام والأمال ، وملايين أخرى هاجرت من هذا الوطن الأول إلى حيث يطيب لها العيش وتدعوها الحياة ، يحتفظون فيما يحتفظون به بهذه اللغة العريقة ، لغة القرآن الكريم .

وقد قدر للغة العربية فوق ما قدر لأخواتها الساميات ، من الكنعانية القديمة ، والفينيقية ، والآرامية وفروعها كالمندعية والسوريانية ، وكالعربية الجنوبية ، والحبشية القديمة ، وكالمصرية القديمة في رأي كثير من علماء اللغات ، قدر لها أن تبقى هذا العصر الطويل مصونة محتفظة بمقوماتها الأولى ، وإن كانت قد خضعت لظروف التطور الذي دفع جميع مظاهر الحياة إلى مصيرها المقسوم .

وكان العامل الأول في احتفاظها بكيانها أنها لغة القرآن الكريم الذي قدر الله له الخلود وضمن له الصون : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(١) » ، ثم هي لغة الرسول الكريم الذي نشر هذا الدين وأذاعه في قوم لغتهم العربية ، وتولى هؤلاء تبليغ الأمانة من بعده ، ثم قيام المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى بدراسة القرآن الكريم وحديث رسول الله واستنباط الأحكام الدينية ، والاستعانة على هذه الدراسة بفقهاء اللغة نفسها وفهمها ، مما دعا إلى تعدد مناحي البحث واتساع آفاقه .

ولقد تأخرت الدراسات اللغوية العربية إلى ما بعد ظهور الإسلام ، ولم يتع للعرب قبله أن ينشئوا بحوثاً أو يبتكروا دراسات ؛ لعوامل ، في مقدمتها تلك الجهالة الجاهلية والامية التي كانت تغطي الجزيرة العربية بظلمات كثيفة حرمتها العلم ، وباعدت بينها وبين ما كان ينبغى . ولو أنه قد أتبع لكثير من العرب في عصر ما قبل الإسلام أن

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

يكتبوا ، أو يسجلوا آثارهم ومعارفهم بضرب من ضروب التسجيل ، لوقف العالم على تاريخ شعب عريق ولأحاط بظروف الحياة التي كان يحيها في هذه المنطقة الفسيحة من الأرض . وهذا هو أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) يقول : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير (١) » . ويقول البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) في فتوح البلدان : « دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب (٢) » . ويحصر المؤرخون أسماء الكاتبين بالمدينة عند دخول الإسلام فلا يتجاوزون أحد عشر رجلاً (٣) . ولا شك أن هذا العدد البالغ الضآلة لا يسمح بانصراف إلى استنباط علم أو تخليد أثر ، فضلاً على نشر المعرفة بين الناس وبث نتاج العقل والفكر .

وقد حرص الإسلام على أن يحجب العرب في العلم وأن يأخذ بأيديهم إلى حيث ينبغي للإنسان ، فكان أول منازل من القرآن الكريم الدعوة إلى القراءة والتماس وسائلها بما خاطب به الرسول الكريم الأُمي حين قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم * » (٤) . ودعا إلى أن يتخصص جماعة من المسلمين للعلم ، يفرغون له ، ثم يخلون إلى الناس يبصرونهم ويفقهونهم : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٥) » . ومن ثم وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الدعوة إلى التعليم في صدر ما يعنى به ، وقبل من الأسرى أن يفتدوا أنفسهم بتعليم الصغار من أبناء المسلمين .

ولئن افتقدت عرب الجاهلية الكتابة ، وسيلة من وسائل نقل التراث اللغوي والذخيرة العقلية ، وحفظ ما يحرص الناس على حفظه من تاريخ الأمة وتسجيل آثار ماضيها ،

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء : ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) فتوح البلدان : ص ٤٧١ .

(٣) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ : ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤) سورة العلق : آية ١ - ٥ .

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

فقد عوضوا من ذلك بما كانوا يتمتعون به من ذكاء قلب ، وحضور ذهن ، وتوقد بديهة ،
ومن قدرتهم على الاحتفاظ ، في صدورهم وذاكرتهم ، بما يودون له أن يبقى وشيع .
ولكن النظر العلمي الدقيق ، والتجارب تزيده ، لا يثق في الاعتماد على الذاكرة
وحدها ، في حفظ ما نحرص على الاحتفاظ به بعيدا عن عوادي الضياع ؛ فالنسيان
وتوزع القلب بين أحداث الحياة ، واضطراب الناس في مناحي الأرض يبتغون الرزق ،
وتنقلهم في جوانبها ، وحرب بعضهم بعضاً ، وسقوط كثير منهم صرعى دون الغاية ،
واتصال الأمم بعضها ببعض ، واحتكاك أذهان أبنائها ، واتصال عقولهم ، كل أولئك
وغيره ، لا بد يدفع اللغة إلى التطور ، ويتيح لها أن تبدل من وسائلها ، وأن تضيف إلى
ثروتها معانى وأفكاراً وأساليب وألفاظاً ، وأن تتخفف مما يشقلها من المعانى والأساليب
والألفاظ ، ثم لا يمضى غير يسير حتى تصير خلقاً آخر يقرب أو يبعد عن الخلق الأول .
واللغة كائن حي نام ، يتمرد على القيود ، ولا يابه لما يفرض عليه من حدود ، وهو متطور
دائماً ، متجدد الحركة إلى ازدهار ونضرة إن وجد إليهما سبيلاً ، وإلى غير ذلك إن ضل
السبيل ولم يهتد إلى الغاية .

والوسيلة الأصيلة التي يرضاها العلم لتسجيل المظاهر اللغوية وحفظها حتى يتاح
الوقوف على ما أنتج الإنسان في الحياة - هي ما وفق إليه الإنسان نفسه ، من الكتابة ؛
لجأ إليها المصريون القدماء ، فنقشوا على معابدهم وقبورهم وأثارهم ما ترجم عنهم ، وكذلك
فعل الآشوريون في بعض ما وصل إلينا ، وصنع غيرهم هذا الصنيع . ولكن العرب قبل
الإسلام تخلفوا بعض الوقت عن الطريق ، ولم يقدر لنا أن نصل إلا إلى قدر قليل من
الشعر والنثر مشكوك في كثير منه .

وإنما بدأ العرب بالتدوين بعد الإسلام . وأول ما دونوا القرآن الكريم ، بعد أن انتهبوا
إلى الخطر الجسيم الذي يمني به الدين لو أنهم تأخروا عن تدوينه . ويروي المؤرخون أن
وقعة « اليمامة » (١٢ هـ) التي استشهد فيها كثير من حفاظ القرآن الكريم على
عهد أبي بكر (رضی اللہ عنہ) ، كانت أعظم مآلقت نظر عمر بن الخطاب ، ودعاها إلى
أن يلع على أبي بكر أن يأمر بجمع القرآن ، وأبو بكر يمتنع عن أن يحدث أمراً لم يصنعه
رسول الله . حتى إذا شرح الله صدره ، أمر زيد بن ثابت أن يتولى جمع القرآن ، فجمعه
في صحف ظلت لدى أبي بكر إلى أن اختاره الله سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، ثم ظلت

عند خليفته عمر (رضى الله عنه) إلى أن توفى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وبقيت من بعده عند حفصة ابنته زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى نسخ منها عثمان مصاحفه التي فرقها في الأمصار (١) . . وكان ذلك أول محاولة لتدوين اللغة .

والدافع الديني الذي حمل المسلمين على جمع القرآن ، ثم على تدوينه في مصاحف ويعثها في الأمصار ، هو نفسه الذي لفت الأنظار إلى المصدر الهام الثاني من مصادر الدين الإسلامي ، وهو الحديث الشريف . والحذر الذي كاد يصد أبا بكر عن جمع القرآن وقف بعمر بن عبد العزيز (تولى سنة ٩٩ - ١٠١هـ) أربعين ليلة يستخير الله قبل أن يأذن لأبي بكر محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث في كتاب بعث به إلى الأمصار .

ولئن كان كتاب الوحي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد دونوا آيات الكتاب الكريم ، بأمر من الرسول في بعض الرقاع والعسب (٢) واللخاف (٣) ، فإن حديث رسول الله لم يظفر بهذا الذي ظفر به القرآن . فقد وجدت أحاديث تنهى عن تدوين الحديث ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني فلا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوا مقعده من النار » وروى البخاري عن ابن عباس ، قال : « لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده . قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا » .

ويمكن التوفيق بين هذه الأحاديث ، وماورد من أن بعض الناس كان يدون الأحاديث على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن الرسول نفسه كان يسمح بذلك في

(١) يروى المؤرخون أن زيد بن ثابت ومن كان معه نسخوا ستة مصاحف بعث بها عثمان إلى الكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، ومكة ، والمدينة ؛ وأبقى لنفسه مصحفا دعى المصحف الإمام - الشيخ محمد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي : ٨٣ .

(٢) جمع عسيب : جريدة النخل يكشط خوصها ، أو لم ينبت عليها خوص .

(٣) اللخاف جمع لخرة كصحفة : وهي الحجارة الرقيقة البيضاء .

بعض الظروف . ومن ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فركب راحلته ، فخطب وقال : إن الله حبس عن مكة القتلى (١) ، وسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، وإنما لم تحل لأحد قبلى ، ولم تحل لأحد بعدى ، ألا وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وإنما ساعى هذه حرام ، لا يخلى (٢) شوكتها ، ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد (٣) . فمن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يعقل ، وإما أن يقاد أهل القتل . فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لى يارسول الله (يريد أن يكتب له الخطبة التى سمعها منه) : فقال (صلى الله عليه وسلم) : « اكتبوا لأبى فلان » وكذلك ما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص من أنه كان يكتب كل ماسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن مجاهد ، قال : رأيت عند عبدالله بن عمرو (يعنى ابن العاص) صحيفة ، فقال : هذه الصادقة ، فيها ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بينى وبينه فيها أحد ؛ وكذلك ما روى من أن عبدالله بن عمرو بن العاص قدم مصر فى عهد أبيه ، وعلم بها ، وتفقه عليه كثير من أهل مصر (٤) .

وفى الحق كان ظهور الإسلام منشطا للذهن العربى ، باعثا له من عقاله ، موجداً له المجال العلمى الفسيح . وتتحدث كتب التاريخ أن عمرو بن العاص أشار على معاوية بن أبى سفيان ، حين تطلع إلى الإحاطة بسير الأقدمين والتعرف على أخبار ملوكهم ، باستدعاء عبيد بن شربة الجرهمى (٥) (ت . ٧٠ هـ) وسؤاله عن أخبار المتقدمين ، فاستدعاه واتخذه سميراً له ، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ، وقد دونت فى كتاب (٦) .

وحدث مثل هذا فى نواحى أخرى من فروع العلم ، فيقال إن زياد بن أبيه ألف كتابا .

(١) شبك البخارى فى أنها القتلى أو القيل .

(٢) أى لا يقطع . (٣) من يعرف بها . (٤) فجر الإسلام : ١ / ٢٥٦ .

(٥) عبيد بن شربة ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شربة . معجم الأدباء : ١٢ / ٧٢ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٨ . وقد طبع فى حيدر أباد بالهند الجزء الذى وجد منه باسم :

« أخبار عبيد بن شربة الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على التوقاة والكمال » .

فى مثالب العرب (١) ، وأن لابن عباس مدونات استقى منها من بعده من المؤرخين (٢) ، وإن عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) أحرق بعض كتب ألفها فى الفقه يوم الحرة (٣) ، وإن كتابا فى الطب ترجم على عهد عمر بن عبد العزيز ، وإن حماد بن ميسرة بن مبارك الكوفى (٩٥ - ١٥٠ = ٧١٣ - ٧٦٧ م) المعروف بالراوية جمع القصائد السبع .

وعندما قبل مبدأ التدوين وجدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينشئ أول ديوان للجدد يقيد أسماءهم وأعطياتهم (٤) ، ووجدنا كذلك حرص بعض القضاة المصريين على تدوين أحكامهم التى يصدرونها وأسباب حكمهم ليرجع إليها من يشاء ممن يجىء بعدهم . ولكن هذا كله لا يعد إلا مقدمات لعصر التدوين الذى تعد سنة ١٤٣ هجرية مبدأ نهضته ؛ ففى هذه السنة حج أبو جعفر المنصور (١٠١ - ١٥٨ هـ) ، والتقى فى المدينة بالإمام مالك بن أنس ، وطلب إليه أن يكتب كتابا فى الحديث ، فكتب له « الموطأ » فى الفقه والحديث ، وعند رجوع الخليفة إلى بغداد أوعز بنفسه ، وبولاته ، إلى العلماء بتدوين الكتب فى كل فن . وكان الميدان اللغوى أحد الميادين الخصيبة التى اتجهت إليها عناية اللغويين ، فتركوا لنا فيه ثروة لغوية ضخمة تذكر لهم بكل تقدير .

تدوين اللغة :

حظيت الدراسات اللغوية بعناية العلماء منذ عصر التدوين الأول ، دعا إلى ذلك ظروف النهضة الثقافية التى فتح آفاقها مجىء الإسلام واتساع فتوحه ، ودخول كثير من الأقطار فى هذا الدين ، تنهل من مبادئه وتعاليمه وتتشوف إلى دراسة مصادره ومنابعه ؛ وتفرق كثير من المسلمين فى هذه الأقطار بعوامل الفتح أو الهجرة أو التجارة ، واتصالهم بأمتها اتصالا يتيح تبادل المعارف ، ويسمح باحتكاك الأذهان ، ويدعو فى كل حال إلى الرجوع إلى المصادر العربية الأصيلة ممثلة فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ، ومذخور العرب من شعر ونثر وحكمة ومثل ، ودراسات أتى بها الدين الجديد .

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٥ / ٢١٦ .

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ / ١٨٣ .

(٤) ابن جرير الطبرى : ٥ / ٢٢ .

وكان أول ما وجهه العلماء من عناية إلى القرآن الكريم، فهو الذخيرة الخالدة، صان اللغة نقية صافية في مفرداته وأصاليبه، وكان أصفى مرآة لأرقى اللهجات العربية على الإطلاق، وهو منتهى الفصاحة ومنار البيان. وهو مع ذلك حافل بما يعد غامضا على كثيرين خاصة من دخلوا حديثا في الدين، أو اتصلوا بلغة العرب أيما اتصال. ومن ثم عنى الصحابة ومن بعدهم بتفسير ألفاظه وشرح غريبه. وتسابق الرجال في ذلك المضمار وأبدعوا وخلفوا ذخيرة طيبة تعد الباكورة الأولى في حفظ الثروة اللغوية وتدوينها. ومن سبقوا في هذا المجال عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ)، فقد نسب إليه أول كتاب في غريب القرآن^(١) وأبو سعيد بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١ هـ)، وأبو فيد مؤرج السدوسي (ت ١٩٥ أو ١٧٤ هـ) وابن قتيبة^(٢) (ت ٢٧٦ هـ)، وغيرهم كثير، حفلوا بهذا الكتاب المقدس، فرتب بعضهم ألفاظه ترتيبا أبجديا، وتطرقوا لمشتقاتها، ودرسوا استعاراته. وكذلك صنع آخرون في غريب الحديث، فذكر ابن النديم أن أول من أسهم في هذا اللون من الدراسات اللغوية أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى (المعاصر لأبي عبيدة معمر ابن المثنى - ت ٢١٠ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وله كتابه المشهور: «غريب الحديث»، ويقال إنه مكث في جمعه وإعداده وتفسير غريبه أربعين سنة^(٣). وتتوالى جهود العلماء على مدى العصور؛ فقرأ للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) كتابه: «الفائق في غريب الحديث»، ولجسد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) مؤلفه: «النهاية في غريب الحديث والأثر». وعليه اعتمد كثير من اللغويين مؤلفي المعاجم.

ويلاحظ أن الاهتمام بغريب الحديث تأخر بعض الوقت عن العناية بغريب القرآن، لما سبقت الإشارة إليه من أن القرآن الكريم كان محفوظا متعبدا به قراءة وتلاوة، وفهما ودرسا، وأن حرص المسلمين عليه مستمد من حرص المبعوث الأمين صلوات الله وسلامه عليه، إذ كان يدعو إلى حفظه وتدوينه، ثم من حرص صحابته من بعده، وأن العناية

(١) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ١ / ٢٤٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست : ص ٨٥ . ط . الاستقامة بالقاهرة .

(٣) بروكلمان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار : ٢ / ١٥٦ .

(٤) طبع في حيدرآباد بالهند سنة ١٣٢٤ هـ - ثم في مصر سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٠) .

بالحديث الشريف، وهو المصدر الهام الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، تأخرت بعض الوقت. ولم تكن ألفاظ الحديث الشريف متعبدا بتلاوتها وترداده، شأن القرآن الكريم، بل أباح بعض المسلمين لأنفسهم روايته بمعناه إن تعذر عليهم تذكر لفظه، ولم يقدر لحديث رسول الله أن يدون فى عهده تدويناً شاملاً تماماً كما قدر للقرآن، وكان تفرق الرواة فى أقطار الأرض مما جعل الحريصين على تدوينه وجمعه يلقون فى سبيل مهمتهم المزيد من العناء .

والعناية بغريب هذين المصدرين الهامين كانت المقدمة للعناية بسائر اللغة شعرا ونثرا ، وفى هذين الأخيرين ، وفى سائر الثروة اللغوية القديمة ، مالم يجمعه القرآن الكريم والحديث الشريف، بل إن هناك ثروة لغوية تحاشاها هذان المصدران الكريمان فكان لابد إذا من جهود أخرى فى هذه السبيل .

ولعل اللغويين ، وقد وجدوا الغنى الفسيح فى الألفاظ اللغوية التى تدور حول موضوع واحد اتجهوا إلى هذه الناحية أول ما اتجهوا لسهولة تأتيتها ، وإمكان حصرها ، فجمعوا الألفاظ التى تتصل بالنبات والأشجار والكلأ. وبالإنسان وبالحيوان كالخيل والفرس ، وبالحشرات، وبالأماكن كالدارات ، كما كتبوا فى العرب والدخيل والأعجمى وغير ذلك . وبرز هذا اللون من كتب اللغة ، خطوة تالية لخطوة المصنفات الخاصة بغريب القرآن والحديث. وحفظ لنا الزمن فيما حفظ ثروة قيمة بعضها اتخذ شكل الرسائل الصغيرة ، ككتاب المطر لأبى زيد سعيد بن أوس (ت ٢١٥ هـ) ، وكتب النخل والكروم والخيل والدارات - للأصمعى (١٢٣ - ٢١٦ هـ) وبعضها جمع ماسطره السابقون فى موضوعه ، وأضاف إليه ، ونسق كل ذلك تنسيقاً منظماً ، كما صنع أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) فى كتابه : « الغريب المصنف » ، والهمذانى : (ت ٣٢٧ هـ) فى : « الألفاظ الكتابية » ، والثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) فى : « فقه اللغة وسر العربية » ، وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) فى كتابه الجامع : « المخصص » .

غير أن هذا اللون من كتب اللغة لا يفتنى عن لون آخر كان لابد من التوصل إليه ، يشرح اللفظة ويجلو غامضها، ويعالج مشتقاتها حين ترد فى نص أدبى يتوقف فهمه على فهم مدلولها ، ولا تستطيع الكتب المشار إليها قبل الإرشاد إليه ، إذ أنها تسير فى طريق مقابل ، تفترض معرفة الموضوع والمعنى ثم ترشد إلى اللفظ . وقاد الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ هـ أو ١٧٥ هـ) اللغويين فى هذا الميدان الجديد ، بما ابتكره حين

وضع أول معجم عربي سمي : « كتاب العين » ثم تتابع الغيث : فترى « الجمهرة » لابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ . و « التهذيب » للأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) و«الصحاح» للجوهري (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) ، و « أساس البلاغة » للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ، و « لسان العرب » لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) و «مختار الصحاح» للرازي (فرغ من تلخيصه سنة ٦٦٠هـ) والمصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٢ هـ). ومن المعاجم الحديثة: «المنجد» للأب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧-١٩٤٦م)، و«المعجم الكبير» الذي أصدره المجمع اللغوي بالقاهرة ، القسم الأول من الجزء الأول من سنة ١٩٥٦ ، ثم أعاد إصداره بعد تعديل هام به سنة ١٩٧٠ ، و«المعجم الوسيط» الذي أصدره المجمع (١٩٦٠ - ١٩٦١ م) .

ولم تكن عناية العرب بجمع لغتهم وتدوينها أول ما عرف في التاريخ ؛ فقد سبقهم في هذا الطريق أمم قبلهم ؛ سبقهم الآشوريون في كتاباتهم المسماة ، والصينيون الذين خلفوا طائفة من معاجمهم ، وكذلك اليونان فقد ذكرت لهم معجمات قديمة (١) .

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية (٢) أن الهنود سبقوا إلى وضع معاجم ألفاظ للغة السنسكريتية مرتبة ترتيبا أبجديا. ويرتب بعض الباحثين على هذا : أن العرب قلدوا الهنود في تنظيم معجماتهم تنظيما هجائيا ، وأن الخليل بن أحمد نفسه تأثر بهم وتعلمذ على طريقتهم. ولكن هذا الافتراض لم يبق عليه دليل يؤيده حتى الآن ، بل يمكن القول إن العرب حين وضعوا معاجمهم المجنسة أو المبوية ، كانوا مبتكرين غير مقلدين ، ومبدعين غير متبعين ؛ فلقد دعته إلى وضعها دوافع ملحة لم تترك لهم فرصة التلقى والكشف عن آثار السابقين من أمم أخرى، ولو أرادوا لأبطأ بهم الزمن ، ولم تسجل لهم محاولات وضع المعاجم اللغوية منذ عصر صدر الإسلام .

(١) ذكره د . حسين نصار في المعجم العربي : ١ / ٢٠٠ ، وأحمد عبد الغفور عطار في : مقدمة الصحاح ، ص ٤١ . نقلا عن دائرة المعارف البريطانية : مادة : Dictionary .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة : الخليل بن أحمد .

لفظ معجم : واللفزيون ، وقد تفتت بهم الحيل فوضعوا المعاجم ، لم يسبقوا بإطلاق اسم « معجم » على كتبهم اللغوية التي تعالج تفسير الألفاظ والمفردات ، أو تحشدها في موضوعات وأبواب . وإنما سبقهم إلى إطلاق هذه الكلمة المؤرخون المشتغلون بالحديث ؛ فوضع أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠ - ٣٠٧ هـ) كتابا سماه « معجم الصحابة » ، وكذلك صنع البغوي المحدث أبو القاسم عبدالله بن محمد ابن عبدالعزيز (ت ٢١٤ - ٢١٥ هـ) في كتابه : « المعجم الكبير » و« المعجم الصغير » . ثم أطلق هذا اللفظ على هذا اللون من الكتب اللغوية التي تعالج اللفظة ، فتشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها لغوياً ، أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو بموضوع واحد ، في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب .

والنوع الأول يسمى : معجم الألفاظ ، والمعجم المجنس ، على حد تعبير ابن سيده^(١) ؛ ويسمى النوع الثاني : معجم المعاني ، والمعجم المبوب . ومادة : ع ج م ، في أصل إطلاقها تفيد الإبهام وعدم البيان ، وفسرها كتاب العين ، فقال : « العجم ضد العرب ، ورجل أعجمى ليس بعربي من قوم عجم . والأعجم الذي لا يفصح ، وامرأة عجماء بينة العجمة . والعجمة كل دابة أو بهيمة ، والأعجم كل كلام ليس بعربي ، واستعجمت الدار عن جواب السائل سكتت » وكذلك كتب الزبيدي في مختصر العين ، وغيره من اللغويين . وإذا ما زيدت الهمزة فقليل : أعجم ، دل ذلك على إزالة الإبهام والخفاء .

يقول أبو الفتح بن جنى : « .. ثم إنهم لما قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته ، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لإثباته^(٢) . وإلى هذا يشير كتاب العين إذ يقول : « وتعجم الكتاب تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح » . وفي الصحاح ، مادة : عجم : « العجم : النقط بالسواد ، مثل التاء عليه نقطتان ، يقال أعجمت الحرف ، والتعجم مثله ، ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ، ومعناه حروف الخط المعجم ، كما تقول مسجد الجامع وصلاة الأولى ، أي

(١) المخصص : ١ / ١٠ .

(٢) أبو الفتح بن جنى - الخصائص ٣ / ٧٥ - ٧٦ . وانظر : الإمام الرضى : شرح شافية ابن

الحاجب : ١ / ٩١ ؛ وابن مالك : التسهيل : ١٩٨ ؛ والسيوطي : الزهر : ١ / ٢٢٠ .

مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى . وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام ،
مصدراً ، مثل المخرج والمدخل ، أى من شأن هذه الحروف أن تعجم «

وهذا المعنى الأخير مصطلح مستحدث ظهر بعد الإسلام حين امتد ظله ، وعم نوره
مساحات شاسعة من الأرض ، وحين أسرع كثير من الأعاجم يدخلون فيه أفواجا
يلتسمون الهداية ، ويبغون الخير ، وحين أقبلوا ، وهم الغرباء عن اللسان العربى ، على
دراسة اللغة العربية وقراءتها ، وعسر عليهم أن يقرءوا ألفاظها وكانت كل حروفها مهملة
لاتنقط، فكان ابتداء النقط من وسائل تيسير هذه القراءة ، كما كان الشكل وضبط
الحروف من وسائله كذلك .

ولعل معنى التيسير الملحوظ فى نقط الحرف وإعجامة ، هو الذى روعى عند حصر
ألفاظ اللغة وشرح مفرداتها فى هذا اللون من الكتب اللغوية المعروفة باسم « المعاجم » ،
خاصة أنها ترتب أبجدياً حسب حروف الهجاء أى حسب الحروف المعجمة ، فاكاسب
هذا الاسم لأحد المعنيين أو لكليهما جميعاً ؛ فالمعاجم ترتب حسب حروف المعجم ،
وتؤدى وظيفة هامة : إذ تعين الباحث على التعرف على اللفظة وتشرح له مولدها ، أو
تيسر له وسيلة العثور على مجموعة من الألفاظ يجمعها موضوع واحد ؛ ومن ثم نجد
هذين اللونين من المعاجم التى أشرنا إليها من قبل .

المعاجم المجنسة :

يقصد « بالمعاجم المجنسة » تلك المعاجم التى تعالج اللفظة : تضبطها ، وتبين أصلها ،
ومشتقاتها ، وتشرح مدلولها ، وتتخذ لها نهجاً خاصاً فى ترتيب الألفاظ معتمداً على
الترتيب الهجائى أيا كان لون ذلك الترتيب ومداره ، سواء أتى حسب نظام مخارج
الحروف ، كما صنع الخليل ومن لف لفه ، أم سار حسب الأبجدية فى ترتيبها المؤلف ،
كما نجد فى معاجم من سار على غير طريقة الخليل .

ويطلق على هذه المعاجم كذلك اسم : معاجم الألفاظ ، بنفس ما سبق .

ويقابلها : « معاجم المعانى » ، أو « معاجم الموضوعات » ، أو « المعاجم المبوية » .
وأهداف هذا اللون أن تجمع الألفاظ التى تدور فى فلك واحد وحول موضوع واحد ،
وتجعل فى رسائل أو كتب أو أبواب من كتب ، كما صنع أبو زيد بن أوس الأنصارى

(ت ٢١٥ هـ) فى كتاب المطر ؛ والأصمعى (ت ٢١٦ هـ) فى كتب : الدارات والنبات والشجر ، والنخل والكرم ، والوحوش . وأبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) فى كتابه : الغرب المصنف ؛ وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) فى المخصص .

وإذا كان المرجح أن اللغويين سبقوا إلى المعاجم المبوية قبل أن يسبقوا إلى المعاجم المجنسة ، كما يقول الأستاذ محمد عبدالجواد - « لأن هذا أبسط أنواع الجمع ، وهو أمر طبيعى ، دعت إليه الحاجة والخوف من ضياع اللفظة ، وهو من السهولة بحيث لا يحتاج إلا إلى الحفظ والإلمام بأطراف الموضوع للوقوف على أجزائه ومسمياتها...^(١) » كان من الطبيعى أن أبدأ به الحديث ، فإنى أرى الحاجة أمس إلى تقديم الحديث على المعاجم المجنسة ، وهى موضوع هذا الكتاب الأول ، ثم أتبعها إن شاء الله ، بالمعاجم المبوية .

والناظر فى المعاجم المجنسة التى ألفت على مدى عصور تدوين المعاجم ، يرى أن هناك أسساً ثلاثة هامة لها أثرها فى تطور المعاجم ، ولها تقديرها لدى المؤلفين .

١ - والأساس الأول هو النظام الذى رتب على هداه مواد المعجم ، واختيار الترتيب الهجائى قاعدة له ، وقد اهتدى إلى هذا الأساس ، وكان فاتحة تأليف المعاجم ، الخليل ابن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) .

وقد هداه عقله الثاقب ، ونظرتة العلمية الدقيقة ، إلى اختيار الأبجدية الصوتية؛ إذ رتب الحروف الهجائية مجموعات حسب خروجها من أعضاء الصوت مبتدئاً بأقصاها من الحلق متدرجاً إلى أسفلها من الشفتين ، على النحو الذى سنعرض له بعد قليل ، إن شاء الله .

٢ - وثانى الأسس التى دار حولها تطور المعجم هو حصر مشتقات المادة اللغوية بعد تغيير موضع حروفها وهو ما يعرف « بالاشتقاق الأكبر » ، كما يقول أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، وأستاذه أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، فالمادة الثنائية مثلاً : (ق ، د) ، إذا غير موضع حرفيها صارت (د ، ق) ، وكذلك نشق منها مواد أخرى بتكرار أحد حرفيها ، أو تكرارهما معا ، وكذلك سائر المواد .

(١) محمد عبد الجواد : فى تقديمه لكتاب : شجر الدر لأبى الطيب عبدالواحد اللغوى ، ص ١٣ .

٣ - وثالث الأسس هو عدد الحروف التي يتكون منها بناء المادة ، واختلاف نظرات العلماء في اعتبار هذا العدد ؛ فالخليل رأى الأبنية أربعة ، هي : الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي .

وقسم كتابه إلى هذه الأقسام الأربعة ، وزاد بناء خامساً سماه « اللفيف » ، ووضعه بعد بناء الثلاثي الصحيح .

ورأى غيره وجهاً آخر ؛ فالأزهري صاحب التهذيب (٢٨٣ - ٣٧٠ هـ) يجعل الأبنية ستة ، هي : الثنائي المضاعف ، والثلاثي الصحيح ، والثلاثي المهموز ، والثلاثي المعتل ، والرباعي ، والخماسي ، والفارابي صاحب ديوان الأدب (ت ٣٥٠ هـ) رتب الأبنية هكذا : السلام ، المضاعف ، المثال ، ذوات الثلاثة ، ذوات الأربعة ، وكتاب الهمزة .

وقد اختلف بناء المعاجم اللغوية لاختلاف وجهة تناول العلماء لهذه الأسس السابقة . مما جعل من الممكن وضع المعاجم التي صنفاها العلماء طوائف أربعة ، تمثل لها فيما يلي بنماذج مما بين أيدي الدارسين أو قريباً منهم .

الخليل بن أحمد :

من حق « الخليل بن أحمد » على المعجميين أن يذكروا في تقدير وإعجاب ما أسداه إلى اللغة العربية من يدٍ لاتنسى ، حين هداه عقله الناضج إلى فكرة حصر مفردات اللغة ومحاولة ضمها في كتاب يشرح مدلولاتها ، ويحلل مشتقاتها ، ويستدل على جميع ما يذكر بالشواهد من مذخور العرب .

ولقد ذكر كتاب التراجم بعضاً من سيرته الشخصية ، وأنه من أصل عربي . ولد في عُمان على الخليج العربي ، سنة مائة من الهجرة ، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ، وتلقى عن أفاضل العلماء أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وأيوب ، وعاصم الأحول ، وأنه حين تصدى للحديث في العلم تتلمذ عليه كثير من النابهين أمثال النضر بن شميل ، والأصمعي ، وسيبويه ، وأبو فيد مؤرج السدوسي ؛ وأنه عاش زاهداً عن زخرف الحياة ، يتنع بالكفاف ، حتى إن تلاميذه كانوا يقارنون بينه وابن عون في الزهد والعبادة فلا يبدرون أيهما يقدمون . ورفض دعوة سليمان بن علي ، والي الأهواز ، أن يزوره ، وقال لرسوله بعد أن أخرج إليه خبزاً يابساً :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
سخي بنفسي أنسي لأرى أحداً
والفقر في النفس ، لاقى المال نعرفه
وفي غنى ، غير أني لست ذا مال
يموت هزلاً ، ولا يبقى على حال
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وروى عن تلميذه النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) أنه قال : أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خص لا يشعر به ^(١) . وكان سفيان الثوري يقول : من أحب أن ينظر إلى

(١) أحمد بن فارس : الصحاح : ١٨ - (المكتبة السلفية بالقاهرة) .

رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل بن أحمد ؛ وروى كذلك أن الخليل كان يحج سنة ويفزو أخرى .

وإنما ذكرنا هذه الأخبار الخاصة لأنها خيوط تصل إلى حياته العلمية الحافلة .

ولو أنه وجد في عصر يشيد بالتلماء ويقدر النابيين ، ويعقد المؤتمرات لمناقشة أحدث الآراء وأفضل الابتكارات ، ويمنح الجوائز التقديرية والتشجيعية - لوقفت هذه الأدوات جميعها تنظر في إعجاب ودهشة إلى رجل بخترع مقاييس الشعر ، فيضع علم العروض ، ويعنى بالقياس في النحو ، فيتلقاه تلاميذه ويضمنون كتبهم آراءه ومبادئه ، ويضع نظاماً رياضياً لحصر مفردات اللغة ، ثم يضع الأسس لترتيب المعجم ترتيباً أبجدياً على أساس صوتي معتمد على ضبط مخارج الحروف ، هذا إلى علمه بالإيقاع ، والرياضة ، واطلاعه اللغوي ، وقوله الشعر أحياناً .

ويعني هنا من هذه الجهود كلها أن نتناول أول محاولة ناضجة لوضع المعجم الأبجدي المجنس العربي بشيء من الحديث (١) .

نهج الخليل في كتاب العين :

(١) لعل أول ما شغل ذهن الخليل ، عندما أراد جمع المواد اللغوية في كتاب ، أن يصل إلى طريقة يحصر بها هذه الثروة ؛ وخاصة أن أصحابها لم يعنوا بتدوينها في عصورها الأولى ، وهم متفرقون في مساحات شاسعة ، ومنهم من هاجر إلى مواطن أخرى ، سنة الحياة في الأرض ؛ فرأى الخليل أن مواد اللغة محصورة في أربعة ، هي الثنائية ، والثلاثية ، والرابعة ، والخماسية ، وأن هذه الأبنية يسزاد عليها أحياناً كثيرة ، ولكن هذه الزيادة لا تخرج بها عن أصولها الأربعة .

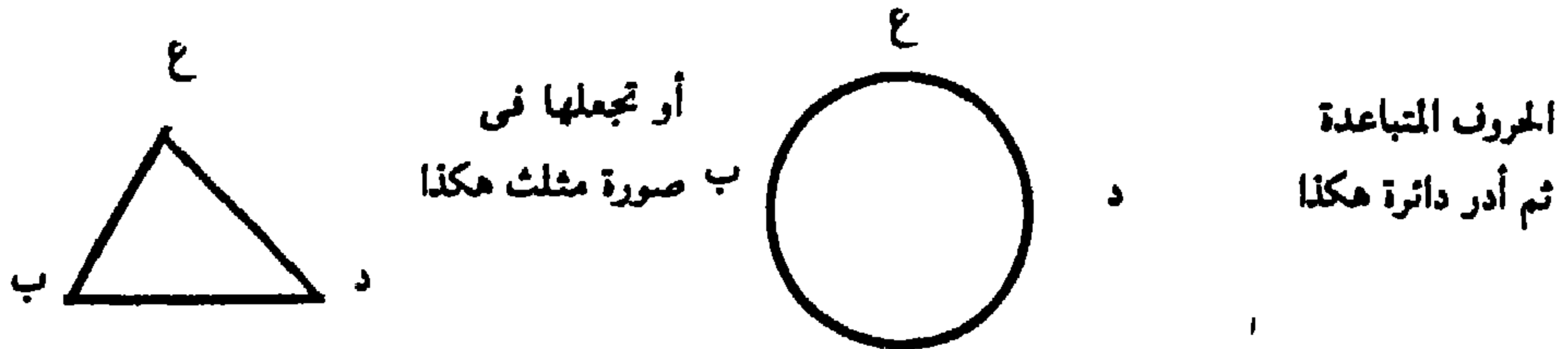
(١) نشر الدكتور عبدالله درويش الجزء الأول من كتاب العين محققاً ، وقدم له ، وذيله بنفوس للمواد الواردة به .

ويتهى هذا الجزء بمادة ع ص م ، ومشتقاتها (ويقع في ٣٧٠ صحيفة ، وطبع بمطبعة العاني ببغداد عام ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧) .

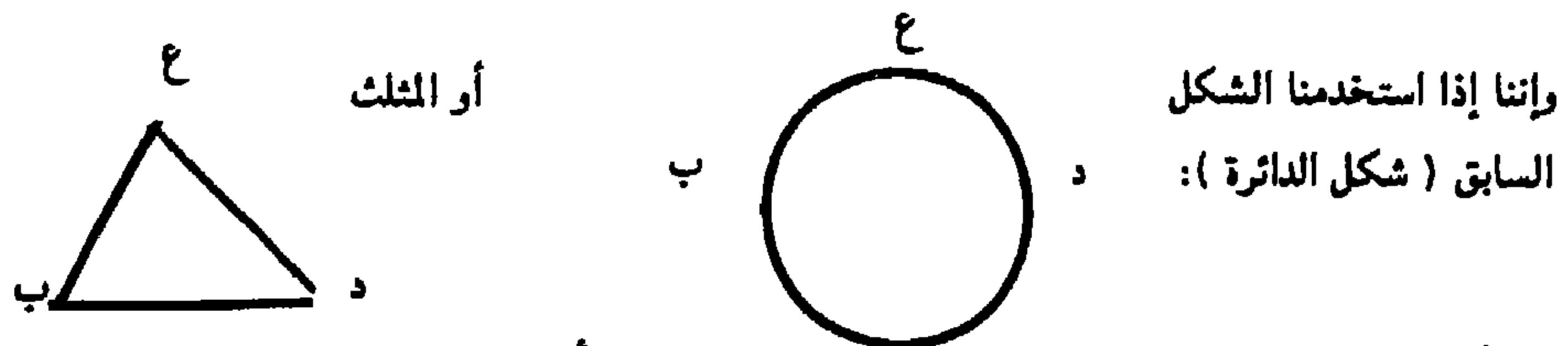
ويلاحظ أن هذا الجزء تناول باب العين وما يليها من الثنائي المضاعف ، ثم من الثلاثي الصحيح حتى باب العين والصاد والميم . ومعنى هذا أن أبواب الثنائي المضاعف لم تستوف في هذا الجزء .

والذهن الرياضى الذى كان يتمتع به الخليل أوحى إليه أن يصرف هذه الأبنية الأربعة. فالكلمة الثنائية إذا تبادل حرفاها موقعيهما تكونت من الصورة الجديدة لفظة أخرى قد تشترك أو تبعد فى معناها عن اللفظة الأولى ، والبناء الثلاثى إذا تغيرت مواضع حروفه نشأ من كل مادة ستة أوجه . ويلاحظ ، رياضيا ، أن هذه الأوجه هى محصل ضرب ثلاثة الأحرف فى وجهى البناء الثنائى ، ويتحصل من تغيير مواضع البناء الرباعى أربعة وعشرون وجهاً هى محصل ضرب أربعة الأحرف فى ستة أوجه البناء الثلاثى . أما البناء الخماسى فيتصرف إلى مائة وعشرين وجهاً بالاعتبار المتقدم .

وقد شرح ابن دريد فى الجمهرة هذه الطريقة ، فقال : « إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً ، فخذ من كل جنس من أجناس



فوقع ثلاثة أحرف حواليتها ، ثم فكها من عند كل حرف يمينه ويسرة ، حتى تفك الأحرف الثلاثة ، فيخرج من الثلاثى ستة أبنية . فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا عنه (١) .



وأدرنا حروف مادة : ع - ب - د ، المكتوبة حوله ، أمكن التوصل إلى الوجوه الستة التى أشار إليها ابن دريد ، وهى : ع د ب ، ع ب د ، د ع ب ، د ب ع ، ب ع د ، ب د ع . وليس من المحتم استخدام الوجوه الستة السابقة فى معان وضعت لها ، ومن ثم تأتى مرحلة أخرى تالية - لهذه ، وهى أن اللغويين ، وعلى رأسهم الخليل ، أشاروا إلى

(١) الجمهرة : ٣ / ٥١٣ .

الوجوه المستعملة والمهملة ، وأمكن حصرها وإن اختلف هذا الحصر ولا بد يختلف ،
فاللغة أرحب من أن كان يحاط بها في ذلك العصر المبكر من عصور التدوين الفقير في
وسائل الإحصاء والإحاطة .

وبالتصوير السابق أمكن حصر وجوه الرباعي ، والخماسي ، وأمكن حصر المهمل
والمستعمل بنفس الاعتبار المشار إليه . قال حمزة الأصبهاني : « ذكر الخليل في كتاب
العين أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب ، المستعمل والمهمل ، على مراتبها الأربع من
الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار ، اثنا عشر ألف ألف وثلاث مائة
ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنان عشر .

الثنائي سبعمائة وستة وخمسون ، والثلاثي تسعة آلاف ألف وستمائة وخمسون ،
والرباعي أربعمائة ألف واحد وتسعون ألفا وأربعمائة ، والخماسي أحد عشر ألف ألف
وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة ^(١) » ،

ولتوضيح هذا الحصر نأخذ البناء الثنائي ، فيتبين به سائر الأبنية .

وذلك بأن تكتب الحروف الهجائية في نهر رأسى بعضها أسفل بعض ، حسب
الترتيب المألوف (أ ب ت ث إلخ) وتسلخ الحرف الأول : « الهمزة » ، وتضعه إلى
يمين النهر ، وتكون منه ومن كل حرف هجائي كلمة فيتحصل من ذلك سبعة وعشرون
كلمة ، تعكسها فيتكون من مجموع الأصل ومعكوسه أربعة وخمسون كلمة . ثم تسلخ
الحرف الهجائي : « الباء » وتكون منه مع ما بعده على مثال ما صنعت مع الهمزة وسائر
الحروف فيتحصل من ذلك اثنتان وخمسون كلمة وهكذا . وبهذه الطريقة الرياضية
(التبديل والتوفيق) ، حاول الخليل أن يصل إلى حصر المواد اللغوية نظريا ، وبقي أن
يحصر المستعمل ^(٢) ، ويستشهد له من مآثور اللغة ، ويضعه في معجمه .

(١) السيوطي : المزهري : ٤٥ / ١ .

(٢) قال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين : عدة مستعمل الكلام كله
ومهمله ستة آلاف ألف وستمائة ألف وتسعة وخمسون ألفا وأربعمائة . المستعمل منها خمسة آلاف
وستمائة وعشرون ، والمهمل ستة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا وأربعمائة . السيوطي :
المزهري : ٤٥ / ١ . ويلاحظ اختلاف الإحصاء في نصي الخليل ، والزبيدي .

مبادئ علم الأصوات ، وتدوين المواد اللغوية .

إذا كان من الشاق إلى حد بعيد أن يتوصل إنسان في عصر الخليل إلى مثل ماتوصل إليه في محاولته البارعة حصر مواد اللغة ، فإن صعوبة أخرى اعترضت هذا الذهن المتوقد حين أراد بدء تدوين المواد تدوينا علميا سليما لا يتوجه إليه نقد . وإذا كانت دراية الخليل الرياضية هدتة إلى تذليل الصعوبة الأولى ، فإن خبرته بعلم الأصوات أرشدته إلى الطريق في الثانية .

لقد عرض الخليل حروف الهجاء على أعضاء النطق حرفاً حرفاً وقاس مدارجها بالقدر الذي سمح به اجتهاده وظروف العصر ، ورأى أنها تصدر من أعضاء النطق متدرجة من أعلى ، من أقصى الخلق نازلة إلى أسفل إلى نهاية الشفتين .

ثم قسمها مجموعات تتقارب حروف كل منها في مخارجها قليلا أو كثيراً . ووجد أن الحروف الصادرة من أقصى الخلق ستة هي : الهمزة ، الهاء ، الحاء ، العين ، والغين ، الخاء . ولكنه لاحظ أن الهمزة وإن كانت أقطعها وأصلها خروجاً من الخلق ، يعتبرها أحيانا مايلحقها بحروف العلة وتسهيلها في بعض الكلمات ، فأبى أن يبدأ بها حروف الخلق ؛ كما لاحظ أن الهاء حرف مهموس وأن الحاء « بها بحة لولاها للحتت بالعين » فأخرهما قليلا ، وجعل مبدأ حروف الخلق عنده حرف العين ، فبدأ بها معجمه ، وإليها نسب فسمى : « كتاب العين » .

ويحكى الليث عن الخليل في هذا المجال قوله : « فأقصى الحروف كلها العين ، ثم الحاء ، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من مخرج العين ، ثم الهاء ، ولولا هتة في الهاء لأشبهت بالحاء » وقال مرة : « لولا همة الهاء لأشبهت بالحاء لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء » . فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد ، بعضها أرفع من بعض ، ثم الخاء والغين في حيز واحد ، ثم الصاد والسين والزاء حيز واحد ، ثم الطاء والذال والتاء في حيز واحد ، ثم الظاء والذال والتاء بعضها أرفع من بعض ، في حيز واحد ، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد ، ثم الواو والألف والياء في حيز واحد ، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه (١) .

(١) كتاب العين : القسم المطبوع منه : ص ٨ .

وفى موضع آخر يسمى مخارج الحروف ، ويعلل لها : فالعين والحاء والهاء والخاء والقين حلقية لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأها من اللهاة ... ، والصاد والسين والزاء أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان ... (١) .

وهذا الوصف الدقيق لمذارج حروف الهجاء دليل واضح دون شك ، على براعة الخليل ودقة ملاحظته ، ورغبته الأكيدة فى أن يأتى معجمه الذى تصدى لتأليفه على مثال مشاكل لبراعته وثقوب ذهنه .

وإذا ، فقد حلت مشكلة ثانية ، هى طريقة نظم المواد اللغوية فى المعجم ، وتلخص الآن : فى تنسيق المواد حسب حروف الهجاء مبتدئة بحرف العين ، منتهية بالحروف الشفوية ، حسب الجدول الذى يبينها بعد .

ترتيب الحروف عند الخليل

ع ح هـ — خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي (٢) .

ويلاحظ كما ذكرت من قبل أن الخليل وضع المواد المعتلة والمهموزة فى باب « الليف » عقب أبواب الثلاثى الصحيح .

(١) كتاب العين : القسم المطبوع منه : ص ٩ .

(٢) وترتيب الحروف حسب مخارجها عند سيبويه كما يلى : هـ / ع / ح / غ . وهى حروف الحلق؛ و : ق ك ، وهى حروف أقصى اللسان؛ و : ج ش ي ، وهى حروف وسط اللسان ، بينه وبين الحنك الأعلى؛ و : ض ، من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ، و : ل ، من حافة اللسان ، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والنايب والرابعة والثنية ، و : ن ، من طرف اللسان ، بينه وبين ما فوق الثنايا ؛ و : ر ، من مخرج النون ، غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لاتحرافه إلى اللام ؛ و : ط د ت ، مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ؛ و : ز س ص ، مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا ؛ و : ظ ذ ث ، مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ؛ و : ف ، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى ؛ و : ب م و ، مما بين الشفتين؛ والنون الخفيفة من الحياشيم . سيبويه : الكتاب : ٢ / ٤٨٨ .

الاشتقاق وتدوين المواد اللغوية :

تناول اللغويون بعد الخليل ، مواد اللغة بالدرس والتحليل للتعرف على أثر التوسع فى اشتقاق وجوه المادة من أصل واحد، فتوصلوا إلى نظرية هامة موجزها: أن بين وجوه المادة الواحدة معنى مشتركا، وأن تصرف الوجوه المختلفة يضى على المعنى المشترك ألوانا جديدة يستقل كل منها، ويصير له مدلول خاص. مثال ذلك ما ذكره أبو الفتح بن جنى فى الخصائص: «إن معنى: «ق و ل» أين وجدت، وكيف وقعت، فمن تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه ، إنما هو للخفوف والحركة . وجهات تركيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شىء منها، وهى: ق و ل / ق ل و / و ق ل / و ل ق / ل ق و / ل و ق .

الأصل الأول :

« ق و ل » :

وهو القول. وذلك أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان (١) به .

وهو بضد السكوت الذى هو داعية إلى السكون ، ألا ترى أن الابتداء لما كان أخذاً فى القول لم يكن الحرف المبدوء به إلامتحركا، ولما كان الانتهاء أخذاً فى السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً .

الأصل الثانى :

« ق ل و » :

منه القلوة: حمار الوحش، وذلك لخفته وإسراعه... ومنه قولهم: «قلوت البسر والسويق، فهما مقلوان» وذلك لأن الشىء إذا قلى جف وخف وكان أسرع إلى الحركة وألطف .

الأصل الثالث :

« و ق ل » :

منه الوقل (١) للوعل (٢) ، وذلك لحركته ، وقالوا: توقل فى الجبل : إذا صعد فيه ،

(١) مذل من باب فرح : قلق ، ولم يستقر . (٢) كضرب ، وسيب ، وكثف

(٣) بفتح فسكون ، وكثف ودئل : تيس الجبل ، ج : أوعال ووعول (القاموس المحيط) .

وذلك لا يكون إلا مع الحركة والاعتماد

الأصل الرابع :

« و ل ق » :

قالوا : ولق يلق ، إذا أسرع

الأصل الخامس :

« ل و ق » :

جاء في الحديث : لا أكل من الطعام إلا مالوق لى : أى ما خدم وأعملت اليد فى تحريكه وتلييقه (١) ، حتى يطمئن وتتضام جهاته . ومنه اللوقة للزبدة . وذلك لخفتها وإسراع حركتها وأنها ليست لها مسكة الجبن ، وثقل المصل (٢) ونحوها

الأصل السادس

« ل ق و » :

ومنه اللقوة للعقاب : قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها (٣) .

ويطلق ابن جنى على هذا اللون من التصريفات اسم : « الاشتقاق الأكبر » ، ويقول : « وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شىء من ذلك عنه رد بلطف اللمسنة والتأويل إليه (٤) . »

وهذا ، كما يقول ابن جنى ، من ابتكاره ، وإن كان أستاذه أبو على الفارسي قد مال إليه ، ولكنه لم يبلغ فيه مبلغ تلميذه .

(١) يقال لبق الزيد : إذا خلطه بالسمن وحركه .

(٢) المصل والمصالة : ماسال من الأقط إذا طبخ ثم عصر . ردىء الكيموس

(= الخلط) ضار للمعدة .

(٣) الخصائص : ١ / ٥ - ١١ .

(٤) الخصائص . ٢ / ١٣٤ .

غير أن الناظر في كتب المعجميين ، وخاصة كتاب العين ، يرى أنهم تعرضوا لهذا التصريف قبل هؤلاء العلماء ، والخليل نفسه يجعله أصلاً من أصول معجمه ؛ فيشرح المادة ومقلوباتها في موضع واحد ، بعد أن يذكر في صدر حديثه عنها ما استعمل من تصاريفها وما أهمل . مثال ذلك قوله : « باب العين والهاء والجيم معهما . عهج ، هجع : مستعملان . جهج ، عجه ، عهج جعه ، مهملات (١) » .

ويصنع دائماً كذلك . ينبه على المستعمل والمهمل ثم يبدأ في شرح التصريفات المستعملة تصريفاً بعد آخر ، وشرح التصريفات مجتمعة في مكان واحد ، لا بد قد نبه الأذهان من بعد إلى ما بينها من صلة مشتركة ، وربما كان ذلك السبب نفسه هو الذي دعا الخليل إلى سلوكه مسلكه ، فإن كان كذلك ، وليس ببعيد ، فالخليل إذا هو أول من نبه إلى هذه الخصبية من خصائص اللغة .

هذه الأسس الثلاثة التي سبق الحديث عنها ، والتي تعد أساس تنظيم كتاب العين ، لها اعتبارها الكبير في تطور كتابة المعجم العربي ، ويمكن تلخيصها في كلمات قليلة ، هي :

١ - الأساس الصوتي :

بمعنى اعتبار مخارج الحروف ومدارجها أساساً في ترتيب مواد اللغة .

٢ - التصريفات أو التقلبات :

وذلك بالحديث عن جميع تصريفات المادة ووجوهها في موضع واحد .

٣ - اعتبار الأبنية :

وذلك بملاحظة عدد حروف المادة الأصلية التي عقدت منها ، وقد رأى الخليل أنها أربعة : الثنائية ، والثلاثية ، والرباعية ، والخماسية .

خصائص كتاب العين

من الضروري ، للتعرف على خصائص كتاب العين ، سوق قطعة منه ، نتبع عناصرها فيها وفي غيرها ما أمكن ذلك ، بغية الوصول إلى مافى هذا الكتاب من ميزات .

(١) كتاب العين : القسم المطبوع منه .

بيد أن هذا الكتاب صدر بمقدمة حوت بعض القوانين الهامة ، ورواها الرواة عن الخليل معترفين بأنها له وأنه هو الذي استنبطها وتوصل إليها ...

ومن هذه المبادئ ما سبق توضيحه من ابتكار الأبجدية الصوتية المبنية حسب المخارج الصوتية للحروف الهجائية ، وسبب اختيار الخليل لهذه الأبجدية لتكون قاعدة من قواعد معجمه .

وكذلك ما سبق توضيحه من استقرار حالات أبنية المواد اللغوية وإرجاعها إلى أبنية أربعة، ومحاولته كذلك حصر الصور الممكنة للمواد اللغوية العربية مااستعمل منها وماأهمل .

وقد لاحظ الخليل ترتيباً على المبدئين السابقين ، أن المخارج الصوتية إذا تقاربت ندر ، وأحياناً امتنع ، تجاور الحروف الصادرة منها في كلمة واحدة .

ومن صور الامتناع أن العين والحاء لا تأتلفان مع شيء من سائر الحروف إلى آخر الهجاء، ولا يوجد ذلك إلا في حالات «النحت»، بأن تشتق من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة تضم حرفي العين والحاء، كما يقال: حيعل اشتقاقاً من حى على .. بمعنى أقبل على .. ، فأخذت الحاء، والياء، والعين، واللام، وصيغت كلمة واحدة قال الشاعر:

فباتَ خيالٌ طيفك لي عنيقا إلى أن حيعل الداعسى الفلاحا

قال الخليل : « وهذا يشبه قولهم تَعَبَشَمَ وتَعَبَقَسَ ورجل عِبْشَمَى وعَبْقَسَى : أراد به أنه من عبد شمس ومن عبد قيس ؛ فأخذ من الكلمتين معاً ؛ فاشتق فعلا (١) . »

ولاحظ الخليل : أن الكلمة إذا كثرت حروفها فبلغت أربعاً أو خمساً ، وجب أن يكون بعضها من الحروف الذلوق^(٢) ، أو الشفهية^(٣) ؛ « فإن وردت عليك رباعية

(١) مقدمة كتاب العين .

(٢) الحروف الذلوق هي: حروف طرف اللسان، وهي اللام والراء والنون. وذلوق كل شيء، وذلقته، وبحرك، وذلوقته: حده. وذلوق اللسان والسنان: طرفهما. يقول الخليل: «ولا ينطق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون. وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا عند مخرج الناء إلى مخرج الشين بين الفار الأعلى وبين ظهر اللسان، ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون .
مقدمة كتاب العين ، ٥٦ .

(٣) هي حروف « الفاء والياء والميم » . يقول الخليل لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة . مقدمة كتاب العين : ٥٦ .

أو خماسية معرفة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون من تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك ؛ فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليس من كلام العرب (١) .. « وعد الخليل نحو عشرين كلمة رباعية مستثناة من القاعدة السابقة وهي كالشواذ ، ومنها : العسجد ، والدعشوقة (٢) ، والدغدغة ، والزهزقة (٣) .
وهذه المبادئ ، مضافة إلى الجهد الذي بذل في كتاب العين ، دليل النبوغ العربي ، وقدرته على الابتداع والابتكار .

مثال من أبنية الثنائى الصحيح :

قدم الخليل حديثه عن المواد اللغوية بقوله : بدأنا فى المؤلفات من العين وهو أقصى الحروف ، ونضم إليه ما بعده حتى يستوعب منه كلام العرب الواضح والغريب ، وبدأنا من الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهم .
ع ح هـ — خ غ ، وهو الثنائى الصحيح (٤)
ثم صدر هذا الباب بالعبارة الآتية :

باب الثنائى الصحيح

باب العين ؛ والحاء ؛ والهاء ؛ والخاء ، والغين .
(العين مع القاف ؛ وما قبله مهمل)

ومعنى هذا : أنه بدأ بمجموعة الحروف الحلقية من بناء الثنائى الصحيح ، وأنه بين المهمل والمستعمل ، حين نص على أن هذه الحروف لا يأتلف بعضها مع بعض فى مواد ، وإنما تأتلف مع غيرها من سائر الحروف .
ومن مواد بناء الثنائى الصحيح مادة : « د ع » ، ومقلوبها : « د ع » .

(١) مقدمة كتاب العين .

(٢) يقال للصبية والمرأة القصيرة يادعشوقة . أو هى شبه الخنفساء (القاموس المحيط) .

(٣) شدة الضحك ، وترقيص الأم للصبى .

(٤) مقدمة كتاب العين . ط . بغداد ١٩١٣ م .

باب العين مع الدال

عد ، دع مستعملان

عددت الشيء ، عدا : حسبته وأحصيته . قال عز وجل : « إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمُ عَدًّا »
بمعنى : أن الأنفاس تُحصى إحصاءً ولها عدد معلوم ، وفلان في عداد الصالحين : أى
يعد فيهم ، وعداده في بنى فلان : إذا كان ديوانه معهم . وعدة المرأة : أيام قرونها .
والعدة : جماعة قلت أو كثرت والعُدُّ مصدر ، كالعدد والعديد .

ويقال هذه الدراهم عديدة هذه : إذا كانت في العدد مثلها ، وإنهم ليتعددون أو
ليتعادون على عشرة آلاف : أى يزيدون في العدد ، وهم يتعادون : إذا اشتركوا فيما
يعادُ به بعضهم بعضاً من المكارم وغير ذلك من الأشياء كلها .

والعدة: ما يُعدُّ لأمر يحدث فيذخر له، وأعددت الشيء: هيأته. والعد : مجتمع الماء،
وجمعه أعداد، هو ما يعده الناس: فالماء عدٌّ ، وموضع مجتمعه عدٌّ، قال ذو الرمة :
دعت ميةُ الأعداد واستبدلت بها

حناطيل (٢) آجال (٣) من العين (٤) خُذِل (٥)

ويقال : بنو فلان ذوو عد وقيض ، يعنى بهما : ذوى ثروة . ويقال : كان ذاك فى
عدان شبابه ، وعدان ملكه ، وهو أفضله وأكثره ، قال العجاج :
ولى على عدان ملك محتضر
قال : واشتقاقه من أن ذلك كان مهياً معداً . وقال :
والملك يحبو على عدانه

(١) كتاب العين . ط . بغداد ١٩١٣ م

(٢) المنطل ، بحاء معجمة بعدها نون ساكنة ، كجندل جماعة الجراد . والمعنى جماعة البقر الوحشى .

(٣) آجال : جمع أجل بفتحيتين : القطعان من بقر الوحش .

(٤) بالكسر : البقر الوحشى . المذكر أعين ، والأنثى عيناء .

(٥) خذلت الظبية : أقامت على ولدها ، كأخذلت وتخاذلت فهى خاذل ومخذل ،

وأخذل ولد الوحشية : وجد أمه تخذله .

والعداد : احتياج وجع اللديغ ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ ، هاج به الألم .
وكان اشتقاقه من الحساب من قبل عد الشهور والأيام ، كأن الوجع بعد ما يمضى من
السنة ، فإذا تمت عاودت الملدوغ ، ولو قيل : عادته ، لكان صواباً . وفي الحديث : « ما زالت
أكلة خبير تعادنى ، فهذا أوان قطعت أبهرى ^(١) » ، أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها
فى أوقات معلومة . قال الشاعر :

يلاقى من تذكر آل سلمى كما يلقي السليم من العداد

وقيل عداد السليم : أن تعد له سبعة أيام ، فإن مضت رجوا له البرء ، وما لم تمض ،
قيل هو فى عداده .

ويلاحظ فى المادة السابقة من كتاب العين ، هياأتى :

١ - ذكر المعجم الفعل ، ومصدره ، وبين أنه متعدد إلى المفصول به ، ثم فسره :
« عددت الشيء ، عدا : حسبته وأحصيته » .

٢ - ذكر مزيد الفعل ، وطرق زيادته ، فقال : وإنهم ليتعددون ، أو ليتعادون ، وهم
يتعددون . كذلك صنع فى الأسماء ، كقوله فى مادة : ع ف ج : « العنَّجج : كل
ضخم اللهازم ^(٢) من ذوى وجنات وأواح ، وهو مع ذلك أكول فسل ^(٣) ، وهو بوزن
فَعَنَلٌ » وفى هذا المثال أمران : زيادة النون ، وتضعيف الجيم .

وفى مادة : ع ه ج ، يقول : « العوهج : ظبية حسنة اللون ، طويلة العنق ، يقال هى
التي فى حقوبها خطتان سوداوان والناقة عوهج ، والنعامة عوهج ، لطول عنقها » .
٣ - ذكر المعانى المختلفة للفظ الواحد ، إذا كان له أكثر من استعمال :

يتعادون : يزيدون فى العدد ، يتعادون : اشتركوا فيما يعاد به بعضهم بعضاً من
المكارم وغير ذلك . الماء عد وموضع مجتمعه عد .

٤ - ذكر صيغة الجمع : « العد : مجتمع الماء وجمعه أعداد » وفى مادة : ه ج ع ،
يقول : « الهجوع : نوم الليل دون النهار . يقال : لقيته بعد هجعة . وقوم هُجِعَ وهجوع وهاجعون ،

(١) الأبهر : وريد العنق . (القاموس المحيط) .

(٢) اللهزمة : مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ، وقيل : لحم الفكين . (أساس البلاغة) .

(٣) الفسل : الرذل الذى لامروءة له (القاموس المحيط) .

وامرأة هاجعة ، ونسوة هُجِع وهواجع وهواجعات « . ويلاحظ أنه ذكر صيغ المفرد ، والجمع بنوعيه : السالم والمكسر ، ولجنسيها : المذكر والمؤنث .

٥ - بين علة إطلاق اللفظ ، وسبب اشتقاقه : « ويقال : كان ذاك في عدان شبابه ، وعدان ملكه ، وهو أفضله وأكثره . قال العجاج :

ولى على عدان ملك محتضر

قال : واشتقاقه من أن ذلك كان مهياً معداً » .

وفى مادة : ق ف ع ، يقول : « .. وأذن قفعا ، أصابتها نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها . ورجل قفعا : أى ارتدت أصابعها إلى القدم . تقول قفعت قفعا ، وربما قفعا وربما قفعا البرد فتقفعت » .

٦ - استشهد لما يقول بنصوص من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، ومأثور الأدب . وأحيانا يذكر صاحب الأثر ، وكثيراً ما يغفله .

٧- لم يعرض لشرح الغريب فيما ذكر من استشهاد . وقد تدارك بعض اللغويين بعده هذا النقص أحيانا مع شىء من المبالغة والاستطراد ، كما صنع ابن دريد فى كتابه : «الجمهرة» ، وأحيانا أخرى مع الاقتضاب والاقتصار على ما تدعو إليه الحاجة .

٨ - يتضح فى المادة السابقة ما ظهر فى غيرها من تتبع مشتقات الكلمة .

ففى مقلوب هذه المادة ، وهو : « د ع » ، قال : « الدعدة : تحريكك جوالقا أو مكبلا ليسع أكثر .. ، والدعدة أن يقال للرجل إذا عثر : د ع ، د ع ، أى : قم . والدعداع الرجل القصير » .

ومعنى هذا أنه يجمع مشتقات الكلمة فى موضع واحد . فمادة : ع د ، ذكر من صورها عد ، عدد ، د ع ، د ع . ويطرد هذا فى كتاب العين ، إذ هو إحدى قواعده التى أشرت إليها من قبل .

٩ - يلاحظ أنه لم يعن بالضبط ، فلم يجعله سمة لازمة لكتابه ، وربما كان ذلك لعدم حاجة معاصريه إليه ؛ ففى المادة السابقة ، قال : « العدة : جماعة قلت أو كثرت .. ، والعدة ما بعد لأمر يحدث فيذخر له » .

فهل هما بكسر العين أو بضمها ، أو بالفتح فى أحدهما والضم فى الآخر ، وأيهما

فيه ذلك ؟ وإذا كان ذبوع هذه المادة لا يعوز إلى ضبطها ، فإن هناك كثيراً يحتاج إلى الضبط الدقيق .

١ - بدأ في علاج المادة بذكر مجردها ، وهو مبدأ هام يراعى المعجميون : يجردون الكلمة ، ويضعونها في مكانها بين مواد المعجم ، حسب النهج الذى ارتضوه لترتيبه ، ثم يشرحونها مجردة ، ومزودة . وندر من سجل المواد بحالتها ، ونظر إليها وحدة كاملة ، وإن ترتب على ذلك تكرار ذكر المادة فى مواضع عدة (١) .

١١ - إذا ذكر النبات أو الحيوان أو الحشرات ، يشعر القارىء أن التعريف بها يحتاج إلى المزيد، وربما احتاج هذا التعريف إلى شرح وتفسير .

قال فى مادة : د ع : «والدعاة حبة سوداء كالشينيذ (٢) تأكلها بنوفزارة، وكذلك فقراء البادية إذا أجدبوا، والدعاة: نخلة ذات جناحين، شبهت بتلك الحبة» وفى مادة: ق ف ع ، يقول: «القفعا حشيشة خوارة خشناء الورق من نبات الربيع لها نور أحمر مثل شرر النار، وورقها مستعلبات من فوق، وثمرتها مقفعة من تحت. قال: ماتتبت القفعا والحسك» (٣) . ويقول فى: ج ع ب: «الجُعْبَى: ضرب من النمل أحمر والجمع جُعْبِيَات» .

١٢ - هذا ، وكان من رأى الخليل أن يجمع فى معجمه الواضح المشهور ، والغريب من المواد على السواء ، لأن ذلك أصون للغة وأحفظ لها ، وما يكون مشهوراً لدى جماعة ربما كان غريباً عند آخرين . هذا إلى أن الوضوح والغرابة قد وضعت لهما مقاييس يوقف عندها نوعاً ما كالتلقى عن فصيح القبائل ، والاعتماد على الصريح من المنقول، وكالرجوع إلى الجرس والحس ، وشيوع الاستعمال وغير ذلك من المقاييس . غير أن الفصل فى هذا أمر نسبي ، للرأى والذوق الخاص فيه مجال كبير . وقد سجل الخليل نفسه اتجاهه فى بدء كتابه بقوله « .. ونضم إليه ما بعده حتى يستوعب منه كلام

(١) صنع ذلك الشيخ محمد النجارى المصرى (ت ١٣٣٢ هـ) فى معجمه المنسوب إليه .

(٢) الشينيذ والشونيز والشونوز : الحبة السوداء . (القاموس المحيط) .

(٣) شجرة ينبت فيها حلق كحلق الخواتيم إلا أنها لاتلتقى ، تكون كذلك مادامت رطبة فإذا يبست

سقطت . (القاموس المحيط) .

العرب الواضح والغريب^(١) « واللغويون بعد الخليل منهم من سار على رأيه فجمع في معجمه ماصح وغيره ، ومنهم من اقتصر على المشهور وأهمل الوحشى الغريب .

طريقة البحث فى كتاب العين :

من الممكن بعد تتبع ماسبق أن تتخذ الخطوات الآتية بعد ، للبحث عن معنى اللفظة فى كتاب العين :

١ - تجريد الكلمة من الحروف الزائدة ورد الجموع إلى مفرداتها ، إذ أن ذلك يؤدي إلى معرفة المادة الأصلية .

٢ - إذا كانت الكلمة مضعفة مثل رد ، زلزل ، يستغنى عن التضعيف لتعود الكلمة إلى أصولها : ثنائية أو ثلاثية مثلاً ، ثم يبحث عنها فى بنائها الثنائى أو الثلاثى .. وهكذا

٣ - ترتب حروف المادة ترتيباً صوتياً حسب النظام الذى اختاره الخليل . ويبحث عن مشتقات المادة فى باب أسبق حروفها من حيث المدرج الصوتية ؛ فلفظ : جعد ، يبحث عنه فى مادة : ع ج د ؛ ولفظ : هجع ، فى : ع ه ج .. وهكذا ...

ولاشك أن جميع ماسبق يتطلب من الباحث دراية سابقة بكثير من القواعد الصرفية والنحوية ، كما يتطلب درايته سلفاً بالتنظيم الصوتى الذى اختاره الخليل ، وبطريقته فى رد المشتقات إلى مادة تعتبر أصلاً لها جميعاً ويفتقد البحث عنها فى غير هذا الموضع ، مما حدا للعلماء من بعده إلى تناول منهجه بالتعديل فى ناحية منه أو أكثر، وكان ذلك سبباً فى نهضة معجمية عظيمة .

(١) مقدمة كتاب العين : القسم المطبوع (ط بغداد ١٩١٣ م) ، ص ١٠ .

نقد كتاب العين

يبدو أن عزلة الخليل بن أحمد وانصرافه عن أن يدون كتبه بنفسه ، وسيره على سنة أمثاله من إملاء آرائه العلمية على تلاميذه المتصلين به ^(١) كما أملى آراءه ومقاييسه النحوية على تلميذه سيبويه فتلقاها بماهى أهل ، ودونها بلفظه ولفظ الخليل - يبدو أن هذا وغيره ساعد الزمن على أن يخفى آراءه التي دونت في كتاب العين بعضاً من الوقت فلم يظهر هذا الكتاب إلا بأخرة في أيام أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، وكان هذا داعية لأن يوجه بعض الناقدین قولهم : إن الخليل لم يؤلف كتاب العين ، وإنما صنع قطعة منه ، ثم أكمل تلميذه الليث بن نصر بن سيار الخراساني ^(٢) الكتاب ، فجاء مليئاً بالأغلاط التي ينزه عنها الخليل .

ولعل أعنف من بدأ التشهير بكتاب العين ونفى نسبه للخليل ، هو الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر اللغوى الهروى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، فقال في كتابه : التهذيب : « كان الليث رجلاً صالحاً ، عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه ^(٣) » وقال أبو الطيب عبد الواحد بن على اللغوى (ت بعد سنة ٣٥٠ هـ) في كتابه : مراتب النحويين : « أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليف كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى : « كتاب العين » ، فإنه هو الذى رتب أبوابه ، وتوفى من قبل أن يحشوه ^(٤) . وردد هذا التعبير كثير من العلماء من رجال القرن الرابع الهجرى ، كالسيرافى (ت - ٣٦٨ هـ) في : طبقات النحاة : وأبى عمر الزاهد

(١) يقول الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : « . . وكان (الخليل) يملى على ما يحفظه ، وما يشك فيه يقول لى سل عنه ، فإذا صح فأثبته ، إلى أن عملت الكتاب . ابن النديم : الفهرست : ٧٠ : معجم الأدباء : ١٧ / ٥١ .

(٢) ويذكر بعضهم أن اسمه : الليث بن المظفر بن سيار ، ويقول آخرون إنه : الليث بن رافع بن نصر بن سيار ، انظر ترجمته في : مراتب النحويين : ٣١ . إنباء الرواة : ٢ / ٤٢ : معجم الأدباء : ١٧ / ٤٣ : بغية الوعاة : ٢ / ٧٠ .

(٣) المزهر : ١ / ٢٧ وانظر : معجم الأدباء : ١٦ / ٤٣ .

(٤) انظر مراتب النحويين : ٣٠ ، ط . نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٥ .

(٢٦١ - ٣٤٥ هـ) . وأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) مؤلف مختصر العين . وكذلك نقده أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) وروى هذا النقد تلميذه أبو الفتح بن جني (٣٢١ - ٣٩٢ هـ) ويقال كذلك إن أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) قبل هؤلاء جميعا ، أنكره حين وفد به أحد الوراقين من خراسان ، على حين أن أحدا من تلاميذ الخليل المباشرين أو المعاصرين لم يذكره أو يحك عنه ، فقد كانوا أولى من غيرهم بذكره ، والحكاية عنه ، لو أنه من مصنفات الخليل .

وتلخص بعض وجوه النقد لكتاب العين فيما يلي:

١ - أن الكتاب يسير في بعض آرائه على مذهب الكوفيين ، والخليل عاش في البصرة وتخرج على يديه كثير من علماء البصرة ومنهم تلميذه سيبويه . ومن هذه الآراء : « ما بدىء الكتاب به وبنى عليه ، من ذكر مخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها ، وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل في كتابه ، وسيبويه حامل علم الخليل وأوثق الناس في الحكاية عنه .. وكذلك مامضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة (١) » .

٢ - التبويب الذي سار عليه كتاب العين ، وتثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل والثنائي المضاعف من المعتل ، والثلاثي المعتل بعلتين ، وجعل ذلك كله في باب سماه : « باب اللفيف » (٢) .

٣ - اضطرابه في جمع المواد ، وخلطه بين الرباعي والخماسي .

٤ - استشهاد الكتاب بشعر بعض الشعراء المحدثين .

٥ - أخذه عن بعض الرواة الذين جاءوا بعد وفاة الخليل .

٦ - اشتماله على كثير من التصحيفات التي ينزه عن مثلها الخليل ، من ذلك ما ذكره في باب زعل : « الزعلول : الخفيف من الرجال ، وإنما هو الزغلول بالغين المعجمة ، نقلا عن أبي عمرو الشيباني ؛ وفي باب عسو : عسا الليل : أظلم ، وإنما هو غسا بالغين المعجمة ؛ وفي باب جحل : الجحلل : أولاد الإبل ، وهو غلط ، وإنما هو الجحلل بالحاء قبل الجيم . وفي باب لخص : التلخيص استقصاء خبر الشيء وبيانه ، وإنما هو التلخيص بالحاء المعجمة ؛ وفي باب همس الهمسة : الكلام والحركة ، وإنما هي بالشين المعجمة (٣) » .

(١) من كلام أبي بكر الزبيدي ، نقله السيوطي : المزهري : ١ / ٥٢ .

(٢) المزهري : ١ / ٥٣ .

(٣) المزهري : ٢ / ٢٣٧ ، وما بعدها .

ومن جهة أخرى نجد العلماء يكادون يطبقون على الاعتراف بفضل الخليل وعلمه
وذكائه ، وكثير منهم تصدى للدفاع عما وجه إلى كتاب العين من نقد .

والقفطى ، فى ترجمته للخليل ، يقول : « والذي تحقق أن الخليل صنفه : (كتاب
العين) فى اللغة ، مشهور ، كتاب العروض ، كتاب الشواهد ، كتاب النقط والشكل ،
كتاب النغم ، كتاب فى العوامل ، منحول عليه (١) » .

وذكر أبو الفتح بن جنى فى سياق نقده كتاب العين : « .. وإن كان للخليل فيه عمل
فإنما هو أنه أوما إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولا قرره ولا حرره .

ويدل على أنه قد كان نحا نحوه أنى أجد فيه معانى غامضة ونزوات لفكرة لطيفة
وصنعة فى بعض الأحوال مستحكمة (٢) » .. وهو نقد أشبه بالثناء والاعتراف ببراعة
التأليف وإحكام الصنعة .

ويقول أبو بكر بن دريد : « قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين فأتعب من تصدى
لغايتته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ،
وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد . ولكنه رحمه الله ، ألف كتابه مشاكلا لثقوب
فهمه وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره (٣) » ..

وكذلك عالج الباحثون وجوه النقد المشار إلى بعضها من قبل ، فعزوا استشهاد الكتاب
ببعض أشعار المتأخرين عن الخليل ، وكذلك بعض الرواة المحدثين ، إلى أن ذلك من
عمل النساخ أو التلاميذ الذين كانوا يدونون ملحوظاتهم وتعليقاتهم بهوامش الكتب ،
فبدخلها الوراقون ، جهلا ، بمتن الكتاب ، عند نسخه . وكذلك يذكرون أن الكتاب صدر
بما يؤكد أنه من رواية الليث عن الخليل ، وأن ذلك مثبت فى الكتاب جميعه ، وقد ورد
سند الرواية فى بعض المصادر ، وإن لم يسلم من النقد والمناقشة ؛ فتحدث أحمد بن

(١) القفطى : إنباه الرواة : ١ / ٣٤٦ .

(٢) الخصائص : ٣ / ٢٨٨ .

(٣) ابن دريد : الجمهرة : ١ / ٣ .

فارس عن مصادر كتابه : « المقاييس » فقال : « فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، المسمى كتاب العين . أخبرنا به علي بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المدائني ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق ، عن بندار بن لرة^(١) الأصفهاني ، ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل^(٢) . وذكر السيوطي طريقاً آخر لرواية كتاب العين ، قال : « روى أبو علي الغسان كتاب العين عن الحافظ أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضي منذر بن سعيد عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي عن أبيه عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل^(٣) . وإذا فهناك أكثر من سند في رواية كتاب العين عن الخليل . وإذا صدق اعتراف الأزهرى بصلاح الليث ، وتلقى الناس عنه الرأي بالقبول ، صح أن يقال : إن صلاح الليث يحول دون أن يتحل إنساناً شيئاً ليس له ، بل إنه يسمح بتلقى اعترافه بأن الكتاب ليس له . قال ياقوت : « حدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي : حدثني محمد بن منصور المعروف بالراح المحدث ، قال : قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : كنت أصير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألف حروف : أ ، ب ، ت ، ث ، على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، وتهاياً له أصل لا يخرج منه شيء ، ألبتة . قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فإنه ليس يعرف في كلام العرب أكثر منه . قال الليث : فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فأختلفت إليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتل وحججت ، فمازلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علة فيبطل ما كان يشرحه لي . فرجعت من الحج : وصرت إليه ، فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما هي في

(١) ذكر ياقوت أنه : بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني ، ويعرف بابن لرة ، أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأخذ عنه ابن كيسان ، ورآه المبرد ذا منزلة عالية متقدماً في اللغة ورواية الشعر . معجم الأدباء : ١٢٨ / ٧ ؛ وانظر بغية الوعاة : ٤٧٦ / ١ .

(٢) ابن فارس : المقاييس : ٣ / ١ .

(٣) الزهر : ١ / ٥٦ - ٥٧ .

الكتاب . وكان يملى على ما يحفظ وما شك فيه يقول لى : سل عنه ، فإذا صح فأثبتته ، إلى أن عملت الكتاب « (١) .

وقبول اعتراف الليث بأن الكتاب من وضع الخليل ، ومن إملاته أولى من قبول أسطورة لم يتم عليها دليل .

ومارآه العلماء من تصحيف فى الكتاب أو من الاستشهاد بآراء المحدثين ، أو بأشعارهم ، يمكن دفعه بما ذكر قبل ، ويمكن كذلك تصفية هذا الذخر اللغوى الذى سطا عليه اللغويون بعده ، وقبسوا فكرته ومذاهبه ، وتعلمذوا على جميع ما به . ولو أنه قدر للخليل فسحة من الوقت فراجع ما عمله لنفى عنه ما كان موضع اعتراض النقاد ، كما صنع الأصمعى فى كتابه : « النوادر » ، حين قرىء عليه بعد أن أملاه فأنكر بعضا منه وأمر تلاميذه بحذف ما أشار بحذفه ، واستنساخه له بعد تصفيته .

وقال السيوطى : إن ما أخذ على كتاب العين بعضه من خطأ فى التصريف والاشتقاق ، وبعضه تصحيف ، أى لادخل للخليل فيه ، يقول : « وقد طالعت (أى كتاب العين) فرأيت وجه التخطئة فيما خطىء فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف مزيد فى مادة أصلية أو مادة ثلاثية فى مادة رباعية ، ونحو ذلك ، وبعضه ادعى فيه التصحيف ، وأما أنه بخطأ فى لفظة من حيث اللغة بأن يقال هذه اللفظة كذب أو لاتعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك . وحينئذ لا قدح فى كتاب العين ؛ لأن الأول : الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع فى التأليف وهذا أمر هين لأن حاصله أن يقال : الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب وإيرادها فى هذا الباب ، وهذا أمر سهل وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك ، إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب والاعتماد عليه فى نقل

(١) ابن النديم : الفهرست : ٧٠ ، ط . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ معجم الأدباء : ١٧ / ٥١ .

ويروى نظير ذلك مع الأصمعى وقد أراد الخليل أن يعلمه العروض ، فتعذر ذلك على الأصمعى وبعد عنه فينس الخليل منه ، فقال له يوما ؛ يا أبا سعيد كيف تقطع قول الشاعر :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع .

فعلم الأصمعى أن الخليل قد تأذى ببعده عن علم العروض ، فلم يعاوده فيه . الخصائص : ١ / ٣٦١ -

اللغة . والثاني ، إن سلم فيه ما ادعى من التصحيف ، يقال فيه ما قالته الأئمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيف ، مع أنه قليل جدا . وحينئذ يزول الإشكال (١) .

وبعد ؛ فإن القضية لم تحل بعد ، ولا شك أن اهتمام اللغويين بكتاب العين ، وفي مقدمتهم أول من أثار نقده وهو أبو منصور الأزهرى ، ومن استدرك عليه متعقبا ما اعتبره أخطاء لا تقبل من الخليل ، محاولا إصلاحها ، كأبي بكر الزبيدي في كتابه : الاستدراك ، ومختصر العين ، وغيرهما من اللغويين ، لا شك أن هذا تقدير للكتاب عظيم ، وسواء في ذلك أن ينسب للخليل أو لاتصح نسبته إليه .

وسار على نهج الخليل في مبادئ كتابه الثلاثة التي أسلفنا عليها القول، وهي نظام الترتيب الهجائي حسب المخارج الصوتية مع تعديل في بعضها عند القالى، وحشد مشتقات المادة ومقلوبات وجوهها في موضع واحد، مع مراعاة الأساس الصوتي، وتقسيم المواد حسب الأبنية مع تعديل كذلك فيها عند أكثرهم سار على هذا المنهج من العلماء: أبو على القالى (٢٨٨ - ٣٥٦هـ) في كتابه: «البارع»، وأبو منصور الأزهرى (٢٨٢-٣٧٠هـ) في: «تهذيب اللغة» وأبو بكر الزبيدي (ت ٣٨٩هـ) في كتابه: «مختصر كتاب العين» والصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥هـ) في كتابه: «المحيط» وعلى بن سيده الأندلسى (و. حوالى سنة ٢٩٨ - ٤٥٨هـ) في: «المحكم والمحيط الأعظم» .

كما تعقب كتابه كثيرون ناقدون ، أو مستدركون أو مكملون ، منهم أبو طالب المفضل ابن سلمة (ت ٣٠٨هـ) في كتابه: «الرد على الخليل وإصلاح ما فى كتاب العين من الخطأ» وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرمانى (ت ٣٢٩هـ) في: «كتاب ما أغفله الخليل فى كتاب العين» (٢) ، وأبو حامد أحمد بن محمد البشتى الخرزنجى (ت ٣٤٨هـ) في: «كتاب التكملة» وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت - ٣٧٩هـ) في كتاب: «استدراك الغلط الواقع فى كتاب العين» واتبع بعض العلماء : كتاب العين فى بعض خصائصه مما أدى إلى ظهور معاجم ذات مناهج تمثل مراحل جديدة فى ميدان الكتابة اللغوية .

(١) الزهر ، ١ ، ٥٣ .

(٢) ذكر السيوطى أن اسم الكتاب : «الجامع فى اللغة» ذكر فيه ما أغفله الخليل فى العين وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل وقد أهمل . بغية الرعاة : ١ / ١٤٤ .

الفصل الثاني

صاحب جمهرة اللغة

أبو بكر محمد
ابن الحسن بن دريد
(٢٢٣ - ٣٢١ هـ)

ابن دريد :

بعد كتاب « جمهرة اللغة » لأبي بكر بن دريد خطوة تالية للخطوة التي بدأها الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) في كتاب « العين » ؛ فقد عدل ابن دريد منهج وضع المعجم المجنس ، بعد ما رأى الصعوبة الشاقة التي يلقاها الباحث في معجم الخليل .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد من أصل عربي ، كاخليل ، وينتهي نسبه إلى يهوب ابن قحطان . ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بعمان على ساحل الخليج العربي ، وتنقل في الجزائر البحرية بين البصرة وفارس ، وطلب الأدب وعلم النحو واللغة .

وكان أبوه من الرؤساء ذوى اليسار ، نشأ ولده تنشئة أهله لأن يتصدر في العلم ستين سنة ، وعد رأس أهل العلم ، والمقدم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب^(١) .

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب « مراتب النحويين » ، عند ذكر ابن دريد : « هو الذى انتهت إليه لغة البصريين وكان أحفظ الناس ، وأوسعهم علماً ، وأقدرهم على شعر ، وما زدهم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر^(٢) ، وابن دريد^(٣) ، وكذلك كان يقال عنه : « ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء^(٤) » ،

(١) القنطى : إنها الرواة : ٩٣ / ٣ .

(٢) خلف بن حسان ، ويكنى أبا محمد وأبا معرز ، وكان أعلم الناس بالشعر . تولى في إحدى

وثمانين ومئة . مراتب النحويين : ٤٦ ؛ بغية الوعاة : ٤١ / ٥٥ .

(٣) مراتب النحويين : ٨٤ ؛ معجم الأدباء : ١٨ / ٢٨ .

(٤) معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٩ .

« ذلك أن له شعراً وائناً غزيراً بلغ نحو خمس مجلدات أو تزيد » (١) .

وله في مدح الأمير أبي العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالي قصيدته المشهورة :
« متصورة ابن دريد » .

واتفق يوم وفاته من سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ووفاة أبي هاشم الجبائي (٢) ودفنهما جميعاً في مقبرة واحدة ، فقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموتيهما (٣) .

إذا ، فقد أوتي ابن دريد مالم يقدر لكثير من الناس ؛ كان من السراة الذين أوتوا حظاً من الجاه والشرف والمال ، وكان موهوباً ، منحه الله سعة الحفظ والقدرة عليه ، وكثرة العلم والتمكن منه ، وجمع إلى الرغبة في العلم والإقبال عليه إرهاف الحس ، ورقة الشعور والترجمة عن صادق المشاعر بالجزل من الشعر والعذب منه كذلك ، وورق مع كل هذا فسحة الأجل ، فقد عمر ثمانية وتسعين عاماً حافلة بالفيض من ألوان الخير .

والحديث عن ابن دريد وإنتاجه العلمي يمكن أن يطول، طول عمر ابن دريد، وأن يتسع سعة ما حفل به من غزارة وخصب. ولكن في ميدان المعاجم اللغوية يستطاع أن يقال : إنه من مصنفي معاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ ، فله من النوع الأول: كتاب السرج واللجام ، كتاب صفة السحاب والغيث، ورواد العرب، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير، كتاب الأتواء، وكتاب السلاح، وكتاب غريب القرآن، وغيرها من الكتب (٤)

وله من النوع الثاني هذا المعجم الضخم : « جمهرة اللغة » ، موضوع هذا الحديث .

ونقف قليلاً عند تسمية هذا المعجم باسم : الجمهرة ، فنرى أن ابن دريد لم يضع هذا الاسم اعتباطاً ، ولكن هناك سبباً أشار إليه في أكثر من موضع من كتابه ، وهو اختيار الجمهور من كلام العرب وترك الوحشى المستنكر ، فقد قال في تقديمه له : « وإنما أعرناه هذه الاسم لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشى المستنكر » (٥)

(١) إنباه الرواة : ٣ / ١٠٠ .

(٢) أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي . كان هو وأبوه من كبار رجال المعتزلة .

(٣) إنباه الرواة : ٣ / ٩٦ : معجم الأديباء : ١٨ / ١٢٧ .

(٤) بعض هذه الكتب طبع في الهند وبعضها طبع في أوروبا وكتاب « غريب القرآن » لم

يتمه ابن دريد . بغية الوعاة : ١ / ٧٨ .

(٥) الجمهرة : ١ / ٤ .

ويقول فيه كذلك : « على أننا ألقينا المستنكر واستعملنا المعروف . (١) » ويقول كذلك : « وإنما كان غرضنا في هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشي المستنكر (٢) » . فسمع ابن دريد لنفسه أن يكون حكماً في مواد اللغة ، يقضى في بعضها بأنه وحشي مستنكر ، وينزه كتابه عنه ، ويألف بعضها الآخر فيثبته . ويبدو أن هذا الحكم لم يسلم له ، فاللغويون قرعوا كتابه فاستنكروا بعض ما أثبت ، وعقبوا عليه . وكذلك كان يصنع مع كل لغوي يدعى هذا الادعاء .

ولاشك أن إغفال اللغويين ما أغفلوه من مواد اللغة لمثل هذا السبب أو لغيره ، أضع جزءاً من الثروة اللغوية ، وكان من المحتمل كذلك أن يكون موضع الدرس التاريخي والفقهى للغة في عصر كعصرنا هذا .

بحوث لغوية .

يبدو تأثير ابن دريد الشديد بالخليل بن أحمد ويكتاب العين في أنه قدم بما قدم لكتابه : « الجمهرة » بالمقدمة المشتملة على بعض المبادئ والبحوث اللغوية . بل لقد حفظ في هذه المقدمة آراء هامة لها وزنها في الدراسات الحديثة . وبعض هذه الآراء تعد امتداداً لما دونه الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين أو تسجيلاً جديداً له ، وذلك حديثه عن صفة الحروف وأجناسها ، فقد وضعها في سبعة أجناس يجمعهن لقبان : المصمتة والمذلقة ، فالمذلقة: ستة أحرف (٣) ، والمصمتة اثنان وعشرون حرفاً ؛ وعلل لتسمية حروف الذلاقة بأن « عملها من طرف اللسان وطرف كل شيء ذلقه ، وسميت الأخرى مصمتة لأنها أصممت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان » وبين مدارج الحروف الستة قريبا من البيان الذي ورد في كتاب العين ، ولكنه يفيد كثيراً من آراء النحويين ويتحدث عن صفة الحروف فيقسمها إلى : مهموسة ، « اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية (٤) » وعددها عشرة أحرف (٥) .

(١) الجمهرة : ٤/١ . (٢) الجمهرة ٣/٥١٤ . (٣) هي : (ر / ل / ن / ف / ب / م) .

(٤) ويلاحظ أن الوترين الصوتيين المكتنفين الحنجرة يتفرجان مع الحروف المهموسة ويسمجان للنفس أن يمر خلالهما بينما يتضام الوتران مع الحروف المجهورة ، ويتذبذبان عند النطق بها . ويقول سيبويه إن الحرف المجهور حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجري الصوت .. أما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه . سيبويه

الكتاب : ٢ / ٤٨٩ : الاسترأباذي : شرح الشافية : ٣ / ٢٥٨ برجشتراسر : التطور النحوي : ٧ .

(٥) هي : (هـ / ح / خ / ك / س / ش / ث / ص / ت / ف) .

ومجهورة لم يتسع لها المخرج فلم تسمع لها صوتاً ، وهي تسعة عشر حرفاً .
وتقسمها تقسيماً آخر: إلى رخوة ^(١) ، وهي أربعة عشر حرفاً ^(٢) ، وشديدة ، وهي بقية
الحروف ، ويلاحظ أن إدراج بعض الحروف تحت بعض هذه الأنواع تعرض للمناقشة .

وهناك بعض القوانين الصوتية عرض لها ابن دريد كقوله : « إنه لا يكاد يجيء في
الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة » ويقتبس ألفاظ الخليل الواردة في
كتاب العين فيقول : « لولا بحة في الهاء لأشبهت العين ، فلذلك لم تأتلفا في كلمة
واحدة » .

ويبدو أن ابن دريد لم يعرف غير اللغة العربية ، فقد تحدث عن الحروف التي
استعملها العرب في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات وقال : « إنها تسعة
وعشرون حرفاً ، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفاً منها ، حرفان مختص بهما العرب
دون الخلق وهما الحاء والظاء » . ثم يقول : « وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية
والحبشية كثيرة ^(٣) » وهذا ليس زعماً ، فالحاء موجودة في هذه اللغات الثلاث .

وينتهاز فرصة حديثه عن الحروف التي اختص بها العرب أو شاركهم فيها غيرهم
فيعرض لبعض اللهجات العربية كاستخدام حرف « الجاف » الفارسي عند بني تميم
ونطقه بين القاف والكاف العربيتين كقول شاعرهم :

ولا أكول لكدر الكوم قد نضجت ولا أكول لباب الدار مكقول

(١) الحروف الرخوة حروف يجرى الصوت عند النطق بها ، والشديدة لا يجرى الصوت عند النطق بها
بل يسمع في آن ثم ينقطع ، ويعبر عنه في الاصطلاح الحديث : بالانفجارية . كما يعبر عن الرخوة
بالاحتكاكية . ويلاحظ أن الجهر « لا اعتبار بعدم جري الصوت فيه ، بل الاعتبار فيه بعدم جري النفس
عند التصويت بها » .

سبويه : الكتاب : ٢ / ٤٨٩ ؛ الاسترأباذي : شرح الشافية : ٣ / ٢٥٨ برجستراسر : التطور
النحوي : ٧ .

(٢) هي : (ح / ك / خ / س / ش / ع / غ / ص / ض / ظ / ذ / ث / ف / ز) .

(٣) الجمهرة : ١ / ٤ .

والبيت كماورد في نسخة أخرى هو :

ولا أقول لقد القوم قد نضجت
ولا أقول لسباب القوم مقفول (١)

وفي أحد الأبواب التي اشتملت عليها مقدمة الجمهرة « باب معرفة الزوائد ومواقعها » يتناول حروف الزيادة حرفاً حرفاً ويبين أماكن زيادتها ، ويقول إنه يستطيع التعرف أحياناً على الحروف المزيدة بالعودة إلى أصل المادة ، فالهمزة في نحو أخضر وأصفر وأحمر مزيدة لأنها من الخضرة والصفرة والحمرة ، وكذلك الميم في نحو مضروب ومقتول ومرمى ومقتضى .

وفي «باب الأمثلة التي أصلها النحويون واصطاح عليها أهل اللغة» . يقسم الأبنية إلى ثلاثية ورباعية وخماسية، الثلاثية عشرة أوزان، والرابعة خمسة والخماسية أربعة، ويذكر الأوزان ويثقل لها، ويعود إلى النحويين فيقيس عنهم (٢). غير أن ابن دريد عند تبويب كتابه، لم يسر على هذا المنهج، وإنما أحدث تفرعات كثيرة أضافت إلى كتابه بعض الأعباء .

نهج الجمهرة :

كان للخليل بن أحمد فضل ارتياد الطريق إلى وضع معاجم الألفاظ على أسس علمية دقيقة، فلم يترك لمن بعده من اللغويين غير البحث عن تيسير السبيل وتعبيدها ، ومتابعة نهجه أو تعديله ، إذا شاعوا ، فمنهم من سار على دربه ومنهم من حاول أن يضيف جديداً.

وقد اعترف ابن دريد بجهود من سبقه في الميدان اللغوي وشكر لهم صنيعهم ، فقال :
« ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ، ولا الطعن في أسلافنا ، وأنى

(١) الجمهرة : ١ / ٥ . وقد أشار ناشر الكتاب إلى اختلاف النسخ في تدوين هذا البيت . ويقول ابن فارس في كتابه « الصحاح » : « فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جذا فيقولون : « القوم » فيكون بين القاف والكاف ثم استشهد بالبيت :
ولا أقول لقد القوم

(٢) ذكر ابن دريد أوزان الأسماء فقط ، ولم يعرض لأبنية الأفعال . انظر : الجمهرة : ١ / ١١ .

يكون ذلك ، وإنما على مثالهم نحتذى ، ويسبيلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبتنى (١) .
غير أن رائده الأول ، الخليل بن أحمد ، سلك مسلكا وعرا فى وضع المعجم ، فرغب
ابن دريد فى تمهيد أكنافه ، معتذرا بتغير الحالة العلمية فى عهده بالقياس إلى ما كانت
عليه فى عهد الخليل ، فقال : « وقد ألف أبو عبد الرحمن بن أحمد الفرهودى (رضوان
الله عليه) كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعننى من سما إلى نهايته ، فالمنصف
له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقرب بذلك أم جحد ،
ولكنه (رحمه الله) ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل
دهره . وأملينا هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، والعجز لهم شامل ، إلا خصائص
كدرارى النجوم فى أطراف الأفق ، فسهلنا وعره ووطأنا شأزه (٢) . »

وقد وضع من دراسة كتاب العين ، أنه وضع على أسس ثلاثة ، كان أصعبها مرتقى ،
فى رأى ابن دريد ، أنه بنى حسب الأبجدية الصوتية ، التى استنبطها الخليل . ومن ثم
رأى أن يعدل فى وضع معجمه عن هذه الأبجدية ، ويختار بديلا عنها : الأبجدية
المألوفة للناس (أ ب ت ث ...) فالأولى تتطلب سبق دراية الباحث بمخارج الحروف
ومدارجها ، على حين تيسر الثانية سبيل الكشف عما يراد من الألفاظ . وقد تحدث ابن
دريد عن منهجه هذا ، فقال : « وأجرينا على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت
بالقلوب أعبق (٣) ، وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها
من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد (٤) . »

وهكذا تغلب ابن دريد على إحدى الصعوبات التى تعترض الباحث فى كتاب العين ،
ويبقى الأساسان الآخران وهما : حشد مشتقات المادة ووجوه مقلوبات حروفها فى موضع

(١) الجمهرة : ٣ / ١ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ١ . والشأز بالزأى المعجمة مهموز العين : الغليظ والشديد . وفى القاموس
المحيط : شتر كفرح شأزاً وشوژاً فهو شتر وشأز : غلظ وارتفع واشتد .

(٣) عبق به من باب طرب : لزم : وفى نسخة أخرى من الجمهرة : أعنق وفى ثالثة :
أعلق . ذكر ذلك ناشر الجمهرة .

(٤) الجمهرة : ٣ / ١ .

واحد ، وهو ما يعرف بنظام التقلبات . والثانى : تبويب المعجم حسب الأبنية . وقد تابع ابن دريد فيهما الخليل ، وعما لا يتقلا ن وعورة عن الأساس الأول ، بل إن التخريجات الكثيرة التى افتعلها ابن دريد تزيدهما صعوبة ومشقة .

وقد تقدم توضيح نظام التقلبات والطريقة التى افترضت لحصر المواد اللغوية (١) ، تلك الطريقة التى حاول الخليل بن أحمد أن يشرحها لتلميذه المظفر بن نصر بن سيار ، ولكنه لم يظفر بها ، ولم يستطع فهمها ، وابن دريد يعود إلى شرح هذه الطريقة ، ويسجلها فى كتابه (٢) ، وليست هى من ابتداعه ولكنه ، على ما يبدو ارتضاها ، واطمأن إلى سلامتها .

أما الأبنية فقد رأى ابن دريد أنها ستة ، وهى : الثنائى ، والثلاثى ، والرابعى والخماسى ، والسداسى ، أو على حد تعبيره : « الملحق بالسداسى بحروف من الزوائد » ، واللفيف .

ويقصد بالثنائى : ما اجتمع فيه حرفان شدد ثانيهما وهو ما يعرف عند علماء الصرف : بالثلاثى المضاعف مثل : أب ، أز . أما الثلاثى فهو ما اجتمع فيه ثلاثة أحرف ليس فيها تضعيف .

وأبواب الرباعى مجهورة على أوزان بينها ، هى بناء فَعَلَّ كجعفر ، وفَعَّلَ كبرثن ، وفِعَّلَ كعظلم وفِعَّلَ مثل هجرع ، وفِعَلَ مثل سبَطَر .

وكذلك بوب للخماسى أبوابا ، وللملحق بالسداسى بحرف من الزوائد . وألحق بهذه الأبواب ملحقات . وفصل الثلاثى المعتل عن أبواب الثلاثى السالم ، وكذلك جعل أبوابا لما اجتمع فيه حرفان مثلان فى أى موضع ، وأبوابا للملحق بالثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين ، مثل باب ، والمواد التى يعسر على الطالب العثور عليها فى الأبنية السابقة يجدها فى باب عقده ابن دريد أطلق عليه اسم « اللفيف » ، ويراد به ما لا يراد عند علماء الصرف حين يتصدون منه : ما اجتمع فيه حرفا علة فى أى موضع إذ أن ابن دريد يقصد به كما شرح هو ذلك : « مالتف بعضه على بعض » وهو اصطلاح غير

(١) انظر فى هذا البحث : ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) الجهرة : ٣ / ٥١٣ .

واضح فإن ما حشده في هذا الباب من المواد يمكن إدراجه في أحد الأبواب الأساسية للكتاب ، وقصر الأبواب، أو بمعنى آخر : قلة مواد بعض الأبواب الفرعية المدرجة تحت باب الليف لا يبرر إضافة هذا الباب ليزيد ارتباك القارئ .

وقد زاد ارتبائه كذلك بما حشده من المواد النادرة في باب سماه « النوادر » جمع فيه النوادر من المواد المهموزة والنوادر من الأبنية ، وشئت العناوين ، وعددها معتمداً على سعة حفظه وفسيح استيعابه للغة .

ويتتبع أبواب الجمهرة يمكن حصرها في سبعة عشر باباً ، هي :

(١) الثنائي الصحيح ، وهو ماضع فيه الحرف الثاني ، مثل : أبب ، أزز .

(٢) الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر وهو ماضع فيه الحرفان ، مثل :

ب ب ت ، زل زل .

(٣) الثنائي المعتل وماتشعب منه ، وذلك ببناء الحرف الصحيح مع أحد حروف

العلة: الهمزة والواو والياء ، مثل : باء ، توى .

(٤) الثلاثي الصحيح وماتشعب منه ، مثل ب ث ج ، ب ك ل .

(٥) الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، مثل : ب ت ت ، ج ع ع .

(٦) الثلاثي عين الفعل منه أحد حروف اللين ، مثل : باب ، خاخ .

(٧) الثلاثي المعتل ، وقد عبر عنه ابن دريد بقوله : « ملحق بالثلاثي الصحيح

بحرف من حروف اللين » مثل : ب ت (و - ا - ي) ، ب د (و - ا - ي) .

(٨) باب النوادر في الهمز ، وهو مما ألحق بأبواب الثلاثي ، مثل : أنت ، كلاً .

(٩) باب الليف في الهمز مثل وزأ الإناء : ملأه ، ومنه ماجاء من المقصور

مهموزاً ، مثل : الرشأ ، والفراً .

(١٠) أبواب الرباعي الصحيح ، مثل جُعْتُب ، ومنه الجعْتبة ، ومعناها : الحرص

والشره ، والبحتر بمعنى : القصير .

(١١) الرباعي ، جاء فيه حرفان مثلان ، مثل : دَرْدَق وهم صغار الناس ؛ دردبة

وهي نوع من العدو يشبه عدو الخائف .

(١٢) الرباعي ، جاء علي أوزان : فِعَلْ ، وفِعِلْ ، مثل عِكَب ، وهو الغليظ

الشفتين ، وخب ، وهو العظيم الخلق .

(١٣) ما يلحق به مجاء على أوزان أخرى ذكرها ابن دريد وستأتي مناقشتها مع غيرها من الأبواب بعد قليل .

(١٤) الخماسي ، ولم يصرح ابن دريد بهذه التسمية إلا في آخر الباب ، إذ قال :

« هذا آخر أهنية الخماسي (١) » أما في مبدئه فكان يعنون له بقوله : « من الزوائد » .

(١٥) السداسي ، ولم يذكر ابن دريد هذه التسمية ، وإنما عبر عن أبوابه بقوله :

« أبواب ملحقة بالخماسي ، بالزوائد التي فيها ، وإن كان الأصل غير ذلك » وقال

مرة أخرى : « الملحق بالسداسي بحروف من الزوائد » .

(١٦) الليف وسماه ابن دريد لفيفا « لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض (٢) »

(١٧) أبواب متفرقة من النوادر (٣) .

مناقشة المنهج :

وقد بسلم هذا التبويب لابن دريد ، لو أنه التزمه فلم يحدث فيه من الاضطراب والخلل ما يسيء إليه ، غير أن الواقع غير ذلك .

فالثنائي الصحيح « لا يكون ، في نظر ابن دريد ، حرفين ألبتة إلا والثاني ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي . وإنما سمي ثنائياً للفظه وصورته ، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغم في الآخر نحو بت بيت بتا ، في معنى قطع (٤) » . والمفروض إذاً ، أن يقتصر ابن دريد في هذا الباب على ما شرحه في هذه الفقرة . فإذا أضيف إلى هذا المبدأ المبدأ الثاني وهو التقليل أمكن ، في مثل المثال السابق ، أن يحشد من الألفاظ ما اشتق من حروف ب ت ت ومعكوسها . ت ب ب . غير أن ابن دريد يضيف إلى هذا سائر المشتقات ، مما ينبثق من اجتماع الحرفين : الباء والتاء ، في أي موضع .

ففي مادة د ع ع ، يقول « دعه يدعه دعا : إذا دفعه دفعا عنيفاً ، وكذلك قال

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٩٩ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٤٠٦ .

(٣) الجمهرة : ٣ / ٤٩٩ وما بعدها .

(٤) الجمهرة : ١ / ١٣ .

أبو عبيدة، في التنزيل : بَدِءُ الْيَتِيمِ ، والله أعلم . وقد ألحق بالرباعي ، فقيل: دَعْدَعُ
الإناء : إذا ملأه ، ثم قال : « ومن معكوسه : عد عدا في معنى الإحصاء ... » .
ففي هذه المادة : د ع ع ، شرح ابن دريد البناء الثنائي الصحيح د ع ع ، ومعكوسه :
ع د د ، ولكنه كذلك شرح ، وفي تفصيل ، ماألحق بالرباعي من هذه المادة نفسها :
د ع د ع بتكرار حرفيه جميعاً .

فإذا انتضت أبواب الثنائي الصحيح ، تطرق إلى « أبواب الثنائي الملحق ببناء
الرباعي المكرر » ، مثل : ب د ب د . ويذكر في هذا الباب مادة : د ع د ع ، ويشرحها
بتفصيل ، ويستشهد بالنصوص كما شرح واستشهد عند ذكرها في « أبواب الثنائي
الصحيح » ، ويكاد أن يكون بنفس ألفاظه السابقة .

وتركيب الحروف مع مايلها لتكوين المواد، حسب النهج الذي سار عليه ابن دريد،
ومن قبله الخليل، يقتضى أن تتركب الباء مع ما بعدها إلى آخر الهجاء، ومنها الواو
والياء، وهما حرفا علة. ومعنى هذا: أن بناء الثنائي الصحيح لم يسلم من ذكر مواد معتلة
أيضاً. مثال ذلك: الكاف وما بعدها: ك ل ل / ك م م / ك ن ن / ك و و / ك ه ه / ك ي ي .

وفي مادة : ل ي ي يقول : « لويت الشيء ألويه ليا . وهذه الياء واو قلبت ياء .
ولويت الغريم لياً ولياناً : إذا مطلته .. ومن معكوسه يلل الرجل ييئل يئلا ويلاً ورجل
أيل وامرأة يلاء ، وهو التصير الأسنان .. » .

ومع أن ابن دريد يقرر أن المادة أصلها : ل و ي فإنه يذكرها في هذا الموضع من
أبواب الثنائي الصحيح .

وكان ابن دريد لا يعترف بأن المادة السابقة ، وما مثلها مما تركبت فيه الحروف الهجائية
مع حرفي الواو والياء ، تدخل في نطاق المعتل ، إذ أنه يخصص له باباً هو : « باب
الثنائي المعتل وما تشعب منه » ، وهو كذلك غير سديد الجمع . مثال ذلك أول مادة ذكرها
في هذا الباب : « باء » ، فإن تحليلها يفيد أنها ثلاثية لاثنائية قال : « باء بإثمه ييوء
به بوءاً و بواء : إذا رجع به وآب الرجل يئوب إياباً : إذا رجع إلى مستقره
والبأو : الكبير . ويقال البأواء أيضاً ، ولا أدري ما صحته .. »

فالمادة هنا مركبة من ثلاثة أحرف ، هي الباء ، والهمزة ، والواو . والهمزة والواو حرفان

مختلفان بغير جدال ، فالأول من أقصى الحلق ، والثاني من الشفتين ؛ فلا يمكن ادعاء
أنهما حرفان مثلان . وكذلك صنع ابن دريد في سائر مواد هذا الباب ...

وشعب ابن دريد الثلاثي إلى ست شعب ، بدأها بأبواب الثلاثي الصحيح وماتشعب
منه ؛ فيركب الباء والتاء مع حرف ثالث مما يليهما من حروف الهجاء حرفاً حرفاً ، فإذا
فرغ ، صنع مع سائر الحروف هذا الصنع ، ويجعل مع كل مادة معكوسها ، كما صنع في
الثنائي ، وكما يصنع في غيرهما .

ولم تسلم أبواب الثلاثي من الخلط والتكرار كذلك ؛ في أبواب الثلاثي الصحيح ،
نجد الأبواب الآتية : ب ن و / ب ن هـ / ب ن ي // ب و هـ / ب و ي / ب هـ ي .
ومعنى ذلك أن المواد المشتملة على حروف العلة مدرجة في أبواب الثلاثي الصحيح ،
رغم تخصيص أبواب للمعتل ، مثل ب ت (و ، ا ، ي) ، وتخصيص أبواب لما كان
فيه حرف لين ، مثل : باب .

ويلاحظ أنه خصص أبواباً لما اجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، مثل :
ب ت ت . يقول : « حلف ثلاثاً بتاتا وبتا وبتتا . إذا حلف يمينا بتا فقطعها .
والتبب والتباب والتتيبب . هذا كله من الهلاك » . وهذه المادة ذكرها في « باب الباء
وما يتصل بها من الحروف في الثنائي الصحيح » . قال : « بت الشيء بيته بتا : إذا
قطعه قطعاً ويقال : حلف على يمين بته وبتلة ، أي قطعها ، والمعنى في اللفظين
واحد ... » وكذلك صنع في غير هذه المادة .

ومن الغريب أنه يعتبر « هاء التانيث » أحد الحروف الثلاثة في « بناء الثلاثي
الصحيح ، وهو خطأ دون شك . مثال ذلك ما ذكره في مادة ج ع هـ —

قال : « العجة : ضرب من الطعام عربية صحيحة » وحق هذه المادة أن تذكر في
أبنية الثنائي الصحيح ، مادة : ج ع ، وقد ذكرها في موضع ثالث غير هذين ، هو :

« باب من الثلاثي يجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع » ، فذكر في مادة :
ج ع ع ، ومعكوسها : « العجة : ضرب من الطعام لأدري ما أحدها » . وبذلك خلط بين
أبواب الثنائي والثلاثي .

وفى المعتل من الثلاثى ، خلط واضطراب واضحان فقد عقد بابا قال فى عنوانه :
« هذا باب ماكان عين الفعل منه أحد حروف اللين » . وأول مادة فى هذا الباب مادة :
« التب » وهى ليست فعلا، وتلاها : تات ، ثاث ، خاخ ؛ وهكذا فكان غير موفق فى
العنوان. ثم ذكر « أبواب مالمحق بالثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين»، وكان
الأفضل إدماج هذين البابين ، لافصلهما فصلا مصطنعا يدعو إلى حيرة الباحث . هذا إلى
عدم توفيقه كذلك فى جمع موادهما ، فى الباب الأخير يذكر على سبيل المثال ، مادة :
أبت ويقول : « أبت يومنا يأبت أبتاً : إذا اشتد حره ... والويت : وبتت يبتت بالمكان وبتا
إذا ثبت بالمكان ولم يزل عنه . والبتو فعل ممت ، ثم قالوا بتا . يبتو بتوا ، فلم
يهمزوا..... والتبو : فعل ممت . ثم قالوا : تبا يتبو تبوا فلم يهمزوا، وهمزه قوم ..
والتوب ، مصدر تاب يتوب توبا .. والبيت معروف .. إلخ » .

فالهزمة ، والوار، والياء حروف علة عنده ، ولم يمكنه الفصل بين الواو والياء ، حرفى
لين، أو حرفين صحيحين ؛ ومن ثم ذكر فى أبواب المعتل ماسبق أن ذكره فى أبواب
الصحيح.

وكذلك كرر فى الباب الذى عقده فى « الهمز » ما ذكره فى غيره ، بل لقد خلط فى
باب « الهمز » نفسه ، وحشده على غير تنسيق معروف ، مثال ذلك : باب الباء فى
المهموز ، فقد ذكر فيه المواد الآتية فى ترتيبها هكذا : « بكأت الشاة والناقة .. بذأت
الرجل أبذؤه . بارت بؤرة .؛ وتقول : قد بؤل الرجل يبؤل بألة : إذا صغر ، وبؤت بالذنب،
فأنا أبوء به : إذا اعترفت به ، وبؤس الرجل يبؤس بأسا : إذا كان شديد البأس .. » .

فالترتيب غير مرعى فى أبواب الهمز، وكذلك فى : «باب الليف فى الهمز» فقد
حشد فيه المواد هكذا : وزأ (١) - أسبأ(٢) - الرشأ(٣) - الفراء (٤) - الحفأ (٥) -

(١) وزأت الإناء توزيئا إذا ملأته . (الجمهرة) .

(٢) أسبأت لأمر الله إسبأ إذا أخبت له قلبك . (الجمهرة) .

(٣) الرشأ : الظبى (الجمهرة) .

(٤) الفراء : ولد الحمار الوحشى . (الجمهرة) .

(٥) الحفأ : البردى . (الجمهرة) .

الكلاً.. هذا إلى ذكره مواد مهموزة يجعلها فى أبواب ، يعنون لها بمثل قوله :
« ومن غير هذا الوزن » ، ويظن القارىء أن ماسبق كان على نظام خاص ، فإذا هو غير
ذلك . وبناء الرباعى خصته أربعة أبواب ، أولها : أبواب الرباعى الصحيح . وطريق
صياغته أن يكون من الباء والتاء مع ما بعدهما من حروف الهجاء كلمة رباعية ، ويجمع
إلى المادة مقلوبات وجوهها الممكنة ، ويصنع كذلك مع سائر الحروف فيقول مثلاً :
« البُحْتَرُ : القصير المجتمع الخلق ، وهو البُهْتَرُ أيضاً . ويحتر : أبو قبيلة من العرب من
طبيء ، أو بطن . وحبتر : اسم أيضاً ، والحبتر : ضئولة الجسم وقلته ، ورجل حبتر
وحباتر وحترب : القصير ، وأحسبه مقلوبا من حبتر » .

والأمر الذى كان منتظراً هنا أن يحشد فى الباب ما كان بناؤه على أربعة أحرف
صحيحة ، غير أن الواقع غير ذلك . فقد حشد فيه مواد ثلاثية كثيرة ، اعتذر لذكر
بعضها اعتذاراً يمكن دفعه ، ولم يعتذر لسائرهما ، فيقول مثلاً : الثبيرة : الأرض السهلة ،
وكذلك هو موضع بعينه ، قال الراجز :

نجيت نفسى وتركت حزره نعم الفتى غادرت به بشيرة

والثبيرة أيضاً : يقال : بلغت النخلة إلى ثبيرة من الأرض فلم تنشر عروقها فيها ، وهى
شبيهة بالنورة تكون بين ظهري الأرض فإذا بلغ عرق النخلة إليه وقف ، وأثبتناه فى
الرباعى لأن الهاء لازمة^(١) .

والاعتذار الذى أثبتته فى آخر المادة غير مسلم له ، ثم ماذا يصنع فيما ذكر من مواد
الثلاثى مما لم يعتذر له ، مثل : « الجلبية : جلبية الجرح ، وهى القطعة من الجلد الرقيقة
التي تركبه عند البرء » ، و « الألبجة : حديدة يُصاد بها ، لها كلاليب » و الجنبية : علبة
تتخذ من جلد جنب البعير ؛ والجنبية أيضاً : الناحية ، تقول : أنا بجنبه هذا البيت . والجنبية :
لبن حامض يصب على حليب . والجنبية : نبت ؛ ومثل : « الكلمة واحدة الكلم » ؟

ومن أبواب الرباعى : باب فيه حرفان مثلان ، مثل دردى ، وهم صغار الناس ؛
ودهدمة : وهى قطع اللحم ، وكسر العظام .

(١) الجمهرة : ٣ / ٢٩٦ .

ويلاحظ أن الترتيب خان ابن دريد في هذا الباب وسيخونه كل الخيانة في أبواب أخرى تالية . وكذلك وضع في هذا الباب ما ليس منه إذ جعل فيه ألفاظا رباعية ، وأصولها من حرفين مكررين ، وهو ما ألحقه بالثنائي الصحيح من قبل . مثل : قرقر ، يقول : « القرقر : الأرض فيها حصى يبرق » ؛ وجدجد ، يقول : « والجُدجد : دويبة تسمى الصُرُصُر ، والجُدجد : الأرض الصلبة (١) » .

ومن أمثلة خيانة الترتيب سرد المواد الآتى :

دردق - الدهدقة - كركم - القرقف - الدردبة (٢) .

ومن أبواب الرباعى بابان رئيسيان ، يندرج تحت كل منهما أبواب فرعية ، أحدهما : باب تعددت الأوزان التى جاءت فيه المواد على مثالها ، فعقد لها أبوابا مجتمعة أو مفرقة ، فذكر مثلا : « باب ماجاء من الرباعى على فعَل ، وفعل ، وفُعَل ، وإن كان لفظه ثلاثيا فهو رباعى (٣) » ، ومثل : « باب ماجاء على فَيَعَل و فَوَعَل (٤) وهكذا . والباب الثانى : « باب ما يلحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد » ومن أبوابه الفرعية : « باب ماجاء على فعيل ، مثل حذيم وهو من الحذم وهو سرعة القطع أو الكلام (٥) » والمواد فى هذين البابين تخضع للوزن الذى وضعت تحت عنوانه لا يضبطها ضابط آخر غيره .

ومع ذلك حاد ابن دريد عن نهج المعاجم المجنسة ، حين حشد مواد حشدا موضوعيا لاهجائيا ، ومثال ذلك تلك الأبواب الفرعية القصيرة التى وضعها مع أبواب الرباعى مثل : « ماجاء فى الشد والصلابة (٦) ، وما جاء فى القصر ، ماجاء فى السرعة ، ماجاء فى المضاء ، ماجاء فى النهم ، ماجاء فى السعة ، والسهولة (٧) » وقد تغلبت حافظه ابن دريد على ما كان ينبغى أن يأخذ به نفسه فى المعجم المجنس ، وسيظهر أنها ستتغلب كذلك فى مواقف أخرى مقبلة .

ويخصص ابن دريد أبوابا للخماسى لها عناوين مختلفة ، منها : « من الزوائد » ،

(٢) الجمهرة : ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٤٩ .

(٤) الجمهرة : ٣ / ٣٥١ .

(٣) الجمهرة : ٣ / ٣٤٩ .

(٦) الجمهرة : ٣ / ٣٦٧ .

(٥) الجمهرة : ٣ / ٣٥٣ .

(٧) الجمهرة : ٣ / ٣٦٧ - ٣٦٨ .

ومن مواده : الفرزدق ، ويقول : « الفرزذقة : الحبزة الغليظة ؛ والهمرجل : الخفيف السريع من كل شيء ؛ والشمرذل : الطويل » ومنها أبواب خصص كل منها لما جاء على وزن خاص ، منها : « ماجاء على إفعال ، مثل : الإزميل ، وهي الشفرة التي تكون للحداء ؛ والإكيل : لما كلل به الرأس من ذهب أو غيره » ومنها : « ماجاء على أفعولة وإفعية فالحق بالخماسي وإن كان الأصل غير ذلك ^(١) » مثل أهدوثة وأضحوكة وألعوبة ، وغير ذلك من الأبواب الفرعية ، التي ينعتها ابن دريد بقوله « الملحق بالخماسي » ، ولكنه في آخر هذه الأبواب يصرح بأنها خماسية ، فيقول : « هذا آخر أبنية الخماسي ، والحمد لله كثيراً وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين ^(٢) » .

والمواد في هذه الأبواب لا تحلل لغويا كما كان يصنع في أبنية الثنائي والثلاثي والرباعي . ولكنه يذكر المادة ويذكر ما يراد بها وقليل ما يستشهد ، على غير عادته .

وكذلك يصنع فيما زادت حروفه على خمسة مصراً على أن يخصه بأبواب مستقلة ناعتها بما نعت به ما زادت حروفه على أربعة ، فيقول : « هذه أبواب ألحقت بالخماسي بالزوائد التي فيها ، وإن كان الأصل على غير ذلك » .

ويذكر من الأبواب الفرعية : « باب ماجاء على مفعنل ، و مفعئل ، ومن مواده : المسحنك : الأسود ؛ وكذلك : المحلنك والمسحنر في كلامه : المكث فيه ، الماضي . وكذلك : اسحنر المطر فهو مسحنر : إذا جرى . ورجل مبرنشق : إذا ابتهج » .

ورغبة في الفصل بين هذه الأبواب سداسية الحروف ، والتي أطلق عليها ابن دريد وصف : « الملحق بالخماسي » وبين الأبواب خماسية الحروف والتي كان يطلق عليها نفس هذا الوصف ثم عدل عنه في ختامها ، حيث سماها : « الخماسية » - رغبة في هذا ينبغي أن يطلق على هذه الأبواب السداسية الحروف ، وصف : « السداسية وإن كان الأصل غير ذلك » ، على حد تعبيره ، وبغض النظر عن تسميته التي أطلقها عليها في

(١) الجمهرة : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٣٩٩ .

المقدمة إذ قال : « الملحق بالسداسي (١) » .

أما « اللفيف » فقد قصد ابن دريد من جمع مواده : أن يتدارك ما لم يتسع له التبويب الذي اختاره وأن يرشد إليه الباحث فيتجه إليه باديء ذي بدء ويقول في تبرير ذلك :
« فإن عسر مطلب حرف من هذا فليطلب في اللفيف ، فإنه يوجد إن شاء الله تعالى (٢) » .

ويعلل لإطلاقه هذه التسمية بقوله : « « وإنما سميناها لفيفا : لقصر أبوابه ، والتفاف بعضها إلى بعض (٣) » .

وأبواب اللفيف قصيرة فعلا، وقد خصص كل باب لما جاء من مواد على وزن معين جعله في عنوانه. ومن أمثلة ذلك : « باب ماجاء على فعيلي » ، « باب ماجاء على فعليل » ، « باب ماجاء على فععلال » وهكذا .. ومواد كل باب قليلة محشودة دون أن يحكم حشدها نسق أو ترتيب خاص ، وبعضها سبق ذكره حيث يجب أو ينبغي أن يذكر فماجاء على فعيلي : خطيبي وهي المرأة التي يخطبها الرجل . وجاء على فعليل : شرحبيل ، اسم ؛ وحقيق : سبيء الخلق ؛ وحبرقيص : قصير زريء . وجاء على فععلال : السلحفاء ممدود. وجاء على فععلوت : ناقة حلبوت وركبوت : تصلح للحلب والركوب . ورجل حلبوت : خداع مكار .

وابن دريد اللغوي يستطرد في أبواب اللفيف ، ويعقد أبوابا من حقها أن توجد في غير هذا الموضع من المعجم المجنس ، إذ لاتعد من ميدانه ومن ذلك : « باب ما يكون الواحد والجماعة فيه سواء في النعوت (٤) » ومن مواده : رجل زور، وقوم زور، وكذلك: امرأة زور ، ونساء زور» و« باب جمهرة من الإتياع (٥) » ومن مواده : « يقال: جائع نائع . والنائع : المتمايل» وعطشان نطشان، من قولهم: ماء نطيش، أي حركة، وحسنُ بسنُّ قال أبو بكر: سألت أبا حاتم عن بسنِّ ، فقال: لأدرى ما هو ..» ،

(٢) الجمهرة : ٤ / ١ .

(١) الجمهرة : ٤ / ١ .

(٤) الجمهرة : ٤٢٨ / ٣ .

(٣) الجمهرة : ٤٠٦ / ٣ .

(٥) الجمهرة : ٤٢٩ / ٣ .

وكذلك : « باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات^(١) » ، مثل : جذب وجذب ، وماأطيبه وأيطبه وريض ورضب .. » و « باب مااتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة - وكان الأصمعي يشدد فيه ولايجيز أكثره مما تكلمت به العرب » ، مثل : « بان لى الأمر ، وأبان ؛ ونال أن أفعل كذا وكذا ، وأنال ، أى حان ؛ وأن لك أن تفعل كذا وكذا..^(٢) » .

والباب السابع عشر ، وهو آخر أبواب الجمهرة ، جمع فيه ابن دريد طائفة من النوادر يبوها فى أبواب فرعية، دارت مواد كل منها حول موضوع خاص على مثال ما جمع أبو حاتم وأبو عبيدة والأصمعي فى نوادرهم ورسائلهم التى تدخل فى عداد المعاجم المبوبة، أو على مثال ما صنع بعض اللغويين من جمع لغويات من شتت لغات العرب ، وابن دريد لا يخفى تلمذته على كتب غيره فى هذا الباب ، فينقل عنها نقلا صريحا، مثال ذلك: «باب من نوادر ماجاء فى القوس وصفاتها. عن أبى عبيدة معمر بن المثنى^(٣)»، باب «أسماء الأيام فى الجاهلية^(٤)» ، «باب أسماء الشهور فى الجاهلية^(٤)» «باب تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة^(٥)» فينقل فيه بعضا مما أخذ من الفارسية والرومية والنبطية والسريانية، ويستشهد لذلك أحيانا. وقد استفاد دارسو اللغة من هذه المواد اللغوية التى جمعها ابن دريد وإن كانت خارجة عن موضوع معجمه الجنس ، وما كان يضيره أن تنزع عنه لتجعل فى رسائل خاصة أو فى معجم مبوب جامع ، خاصة أن لابن دريد فى هذا المجال آثارا قيمة. ولو أن بدأ صناعا امتدت إلى كتاب الجمهرة ، فحفظت له كيانه العام ، وأدمجت بعض أبوابه فى بعض، ووضعت هذه الثروة اللغوية الضخمة بحيث يستطيع التعرف عليها والاستفادة بها فى يسر، لو أن

(١) الجمهرة : ٣ / ٤٣١ .

(٢) الجمهرة : ٣ / ٤٣٤ .

(٣) الجمهرة : ٣ / ٤٥٦ .

(٤) الجمهرة : ٣ / ٤٨٩ .

(٥) الجمهرة : ٣ / ٤٩٩ .

يداً صنعت ذلك لكان فيه خير كثير، وخاصة أن هذا الكتاب وضع في عصر مبكر من عصور تدوين اللغة ، وأنه كان مادة غنية استفاد بها من بعده من اللغويين ، وأنه يصلح إلى حد كبير ليكون مرجعاً هاما يفاد منه حين وضع « المعجم التاريخي » للغة العربية .

وماورد فيما وليه من المعاجم زائداً في الشرح والتفسير ، أو موضحاً وضعا جديداً للفظه وتلوينا طراً على استعمالها أو مدلولها مما ليس له نظير في مآثور اللغة القديم - يعد مرحلة جديدة متميزة، إن وجدت تفيد في هذه السبيل .

هذه هي الأسس التي التزمها كتاب « جمهرة اللغة »: ترتيب جديد مبني على أساس الترتيب الهجائي المؤلف لاعلى أساس الترتيب الصوتي الذي اتبعه الخليل . وقد عد كتاب ابن دريد من هذه الجهة تطوراً تالياً لكتاب العين .

وتبويب أساسه الأبنية ، وهي ستة في تقدير ابن دريد . وقد أصاب هذا الأساس تفصيل وتفريع ، وصلا بعدد الأبواب إلى سبعة عشر باباً ، لا إلى ستة فقط كما توضحه الدراسة قبل .

والأساس الثالث : نظام التقلبيات ووضع وجوه المادة وتصريفاتها في موضع واحد . والأساسان الأخيران سبق بهما الخليل بن أحمد ، وبالع ابن دريد في اتباعه فيهما ، حتى أحدث في كتابه كثيراً من الاضطراب ؛ ومن ثم تطلع الميدان اللغوي إلى جديد ، وسيجده عند رواد آخرين .

خصائص الجمهرة

أول ما يجب أن يوضع في الاعتبار عند النظرة في « جمهرة اللغة » ، هذه الأسس الثلاثة التي تعد عماد الكتاب وقوامه ، وهناك بعد هذا، السمات الخاصة التي يمكن ملاحظتها بأسيرد من النماذج .

فمن الثنائى الصحيح مادة : « أزر » ، يقول ابن دريد :

أز يؤز أزا . والأز : الحركة الشديدة ، وأزت القدر : إذا اشتد غليانها . وفي كتاب الله تعالى : « تَوَزُّهُم أزا » والمصدر : الأز والأزيز والإزاز .

قال رؤية :

لا يأخذ التأفيك والتحزى فينا ، ولا طبخ العدى ذو الأز

التأفيك : من قولهم : أفك الرجل عن الطريق : إذا ضل عنه ، وفى القرآن الكريم :

« يُؤفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَفْكَ » . قال : بصرف عنه ، وقوله عز وجل : « فَأَنى يُؤفِّكُونَ » :

أى بصرفون . والله أعلم . والتحزى : التكهن ، والحازى : الكاهن . والطبخ : التكبر والانهماك فى الأباطيل . يقول : إنا لانستضعف .

ويقال بيت أزز : إذا امتلأ ناساً .

ويلاحظ فى هذه المادة فوق ما أشارت إليه الدراسة السابقة ، ما يلى :

(١) أن المعجم بدأ بالفعل فذكر الماضى ، والمضارع ، وعقبهما بالمصدر .

وإذا كان الرسم الإملائى لهذه الكلمات أفاد فى التعرف على بابها ، وساعد فى إمكان ضبط عينى الفعلين الماضى والمضارع ، فإن أغلب مواد المعجم تفتقر إلى وسائل هذا الضبط ، وبذا نقص المعجم شيئاً هاماً هو النص على ضبط المواد ، وندر أن يفعله ، وإذا كان « النقص الفاشى » فى زمان ابن دريد حمله على وضع معجمه بنظامه الذى ارتآه فماباله لم يحمله على ضبط المواد ؟

(٢) تعدد مصدر الفعل : « أزر » وقد ذكر ابن دريد هذه المصادر المتعددة .

(٣) شرح معانى المادة ، وقد كان لها أكثر من معنى ، واستشهد بأكثر من شاهد .

وشواهد القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومذخور الأدب القديم . ومن ثم يعد هذا المعجم ذخيرة أدبية قيمة إلى جانب مكانته اللغوية .

(٤) وفى شواهد هذه ، شرح الألفاظ الغريبة ، ولم يدع القارىء فى حيرة بين

صفحات المعجم يقلبها بحثاً عن معانى غريب الشواهد ، وليس فى هذا الاستطراد عيب سوى بعد المسافة بين ما يأتى به من شواهد ، وشرح غريبها ، وبين العودة إلى المادة الأصلية التى يستشهد لها ، وكان عليه أن يختار أحد مسلكين : الاكتفاء بالشواهد مع استغلاق غريبها ، وبذا يهجر المعجم ، وتقل الاستفادة منه ، أو اللجوء إلى هذا الاستطراد .

وقد اختار الأمر الأخير . وفى رأى أنه على صواب ، وهو على غاية من الصواب فى رأى كذلك ، حين لجأ إلى هذه الشواهد الأدبية . وليت أبا بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ)

حين اختصر كتاب العين لم يلجأ إلى حذف شواهد فقد فوت كثيراً مما افتقده الآن .

(٥) وفي غير هذه المادة نجد أن ابن دريد يذكر وجوه المادة ومقلوباتها في مكان واحد. ففي مادة : ب س س - يقول : « وأستعمل من معكوسه : سب يسب سباً . وأصل السب : القطع ، ثم صار السب شتماً لأن السب خرق الأعراض » .

(٦) لايهتم ابن دريد بالتعريف بالأعلام والأماكن والحيوان والنبات ففي مادة : ب د ب د ، يقول : « بد بد : موضع » وفي بلبل ، يقول و « البلبل لحم صدقة ، لغة يمانية وهو القيقب واللقاع أيضاً ، وهذا الطائر الذي يسمى البلبل ، شبه بالرجل الخفيف » وفي مادة : س م س م ، يقول : « وسَمَسَم : موضع معروف والسَمَسمة : النملة الحمراء والجمع سماسم ، والحبة التي تسمى السمسمة عربية معروفة وتسميه أهل الحجاز : الجبلجان . »

وفي مادة : ت ا ت ، يقول : « والتوت : الفرساد الذي تسميه العامة التوت » .

وفي مادة د ع ع ، يقول : « الدعاع : حبة تخبز وتؤكل » .

وحق المعاجم الاتضن بالتعريف ، بعض التعريف بجميع ذلك ، أو أن الحيل إلى أماكن التعرف عليه ، فهذه المصنفات ملك الأجيال لاملك جيل واحد .

(٧) وابن دريد في معجمه أمين ينقل عن العلماء ويتحدث عن مصادره ، فيذكر أسماء من ينقل عنهم ، ويشير أحيانا إلى كتبهم : ومن نقل عنهم أو أشار إليهم أو إلى كتبهم : الخليل (١) ، والأصمعي (٢) ، وأبو حاتم (٣) ، وأبو عبيدة (٤) وكذلك هو أمين حين لا يعرف شيئا فيقول : لأدرى ما هو .

طريقة البحث في كتاب الجهرة

من المستطاع بعد ملاحظة جميع ماسبق ، وضع بعض نقاط يسترشد بها الباحث في كتاب الجهرة :

١ - تجريد الكلمة من الزوائد. فكلية : تساند ، يبحث عنها في المادة الثلاثية التي حروفها د س ن ، وكلمة : استئجار ، يبحث عنها في أج ر ، من الثلاثي ، فإن لم توجد يبحث عنها في المهموز ، وهذه إحدى الصعوبات في الجهرة .

(١) الجهرة : ٢ / ٣ ، ٢٦٨ / ٣ ، ٣٢٩ . (٢) الجهرة : ١ / ٢٠٧ .

(٣) الجهرة ٢ / ١٨٠ ، ٣ / ٤٠٩ . (٤) الجهرة : ٢ / ٤٦ ، ٣ / ١٣٣ ، ١٦٠ .

وقد توجد الكلمة بمزيداتها في أبواب خاصة كما ترى في المسحونكك ، والمحلنكك والتجريد من الزيادات عند ابن دريد غير جار على القاعدة العامة المعروفة عند علماء الصرف (١) وهذا مما زاد في ارتباكات هذا المعجم .

(٢) ترتب حروف المادة بعد تجريدها، حسب الترتيب الهجائي المعروف (أ ب ت ث ... إلخ) ويبحث عنها في باب أسبق حروفها في هذا الترتيب فكلمة : سند ، يبحث عنها في : د س ن ؛ وذلك لأن ابن دريد يتبع نظام التقلبات ، فيجمع تصريفات المادة، ووجوه مقلوباتها في موضع واحد (٢) .

ويلاحظ بصفة خاصة أن ابن دريد: يقدم حرف الواو على حرف الهاء في ترتيب الأبواب ، وكذلك في ترتيب فصول الأبواب، أي عند وضع المواد المتفقة في أوائل حروفها.

مثال ذلك : ن وو / ن ه هـ / ن ي ي // وه هـ / و ي ي // ه ي ي .

فالأبواب مرتبة حسب حروفها الأولى هكذا : ن ثم و ثم هـ .

والمواد مرتبة ترتيبا داخليا حسب الحرف الثاني في كل منها : هكذا : ن ، ثم و ، ثم هـ ثم ي مثل ب ل ل / ب م م / ب ن ن / ب و و / ب ه هـ / ب ي ي .

وكذلك يقدم حرف الواو على الهاء إذا كان ثالث الحروف ، مثل : ب ن و / ب ن هـ / ب ن ي // ب و هـ / ب و ي // ب هـ ي .

(٣) ينظر إلى بناء المادة ، وعدد حروفها، ونوعها، وظواهر وضعها : (ثنائية . ثلاثية . رباعية .. إلخ) صحيحة أو معتلة أو مهموزة ، مضعفة ، أو غير مضعفة . وقد سبق توضيح نظام الأبنية في جمهرة ابن دريد (٣) .

(١) راجع الحديث عن الأبنية في كتاب الجمهرة : ص ٤٧ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) انظر في شرح التنظيم : حديثا عن نهج الخليل في كتاب العين : ص ١٩ من هذا البحث : والسيوطي : المزهرة : ١ / ٤٣ ؛ والجمهرة : ٣ / ٥١٣ .

(٣) انظر : ص ٤٧ وما بعدها من هذا البحث .

نقد الجمهرة

إذا وضع كتاب الجمهرة في ميزان النقد رجحت ، من غير شك ، كفة مزاياه ، وأمكن كذلك التجاوز عن بعض مابه من الارتباكات. والكتاب يشهد بقدرة ابن دريد اللغوية وسعة باعه، وقدرته على الحفظ والاستيعاب ، مع الدقة والضبط وأمانة الرواية عن العلماء . وقد عبر عن جميع ذلك العلماء الذين استفادوا من الجمهرة ، واعتبروها من الكتب اللغوية الهامة الجديرة بأن توضع في ثبث المراجع مع محكم ابن سيده ، وجامع القزاز، وصحاح الجوهري، ومجمل ابن فارس، وأفعال ابن القوطية، وابن طريف (١) .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن الجمهرة إلى بعض ما وجدته من أعباء أثقلت كاهل الكتاب وعنت الباحث. من ذلك : التفريعات الكثيرة في التبويب ، وعدم السير على نسق دقيق فيها ، مما أدى إلى التكرار والخلط ووضع المواد في غير أبوابها .

وقد أشار إلى هذه الجزائب الأزهرى صاحب التهذيب ، قال : « ومن ألف في زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها : أبو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحن (٢) »

ويقول أبو الفتح بن جنى : « وأما كتاب الجمهرة ففيه من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر، ولما كتبه وقعت في متونه، وحواشيه جميعا ، من التنبيه على هذه المواضع ما استحيت من كثرته . ثم إنه لما طال تلى ، أو مات إلى بعضه وأضربت ألبتة عن بعضه (٣) » .

وهذه المآخذ التي أشار إليها العلماء، يمكن أن تعالج بإعادة النظر في تبويب الكتاب وترتيبه، أو رد بعضها إلى بعض، ووضع المواد في الأبواب التي يجب أن توضع فيها .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء : ١٨ / ١٣١ .

(١) المزهري : ١ / ٥٤ .

(٣) ابن جنى : الخصائص : ٣ / ٢٨٨ .

هذا ، مع الحفاظ على جميع ما في الكتاب من مادة لغوية، وكذلك على أساس النهج الذي ارتضاه ابن دريد ليبقى مصوراً لطور من أطوار تدوين المعجم العربي .

وقد رد السيوطي على بعض ماوجه إلى ابن دريد من نقص في الدراية ، وطعن في الرواية فقال : « .. معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روايته (١) » .

وهناك سبب هام له حسابه ، هو أن ابن دريد أملى الجمهرة إملاء من حفظه في فارس ، والبصرة ، ولم يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف . يقول أبو العباس الميكالي (٢) (ت ٣٦٢ هـ) : « أملى على أبو بكر الدريدي كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظاً ، في سنة سبع وستين ومائتين ، فمارأته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب (٣) » .

ويقول ابن دريد نفسه « .. وإنما أملنا هذا الكتاب ارتجالاً ، لاعتن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير أو تكرير إن شاء الله (٤) » ويقول في موضع آخر « فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئاً لم ينكر علينا ذلك لأننا إنما أملناه حفظاً ، والشذوذ مع الإملاء لا تدفع (٥) » .

وقد أدى تعدد الإملاء وتعدد النسخ إلى اختلاف في بعضها ، غير أن العلماء تداركوا ذلك في حياة ابن دريد نفسه ، فقد قرءوا عليه ما أملى وصحح هو الأخطاء ،

(١) المزهر : ١ / ٥٧ .

(٢) أبو العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال معجم الأدباء : ٥ / ٧ ، ١٣٧٤ / ١٨ .

(٣) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٨ .

(٤) الجمهرة : ٣ / ٢٦٨ .

(٥) الجمهرة : ٣ / ٥١٤ .

وأخر ماصح من النسخ : نسخة أبي الفتح عُبَيْد الله بن أحمد النحوى جُخْجُخ (١)
(٢٨٦ - ٣٥٨ هـ) لأنه كتبها من عدة نسخ قرأها عليه (٢) .

ومن مظاهر عناية العلماء بالجمهرة : هذا النقد الشديد لها ، ومحاولة بعضهم تدارك مافاتهما ، كما صنع : أبو عمر الزاهد غلام ثعلب (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) فى كتابه : « فانت الجمهرة والرد على ابن دريد (٣) » وألف أبو العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) كتاباً فى شرح شواهدا سماه : « نشر شواهد الجمهرة » . واختصرها : الصاحب بن عباد : (ت - ٣٨٥ هـ) ، فى كتابه : (جوهرة الجمهرة) وألف : أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبانى الأندلسى (ت ٤٣٦ هـ) كتاباً جمع فيه بين « العين » و« الجمهرة » وسماه : « تلقيح العين » (٤) ، يقول عنه العلماء : « إنه لم يؤلف مثله اختصاراً أو إكثاراً » و « كانت الفائدة فيه فصل كتاب العين عن الجمهرة ، وسياقه بلفظه لينسب ما يحكى منه إلى الخليل » غير أن السيوطى يقول : « إن هذا الديوان قليل الوجود ، لم يعرج الناس على نسخه بل مالوا إلى جمهرة ابن دريد ومحكم ابن سيده (٥) » .

وبقيت جمهرة ابن دريد مصدراً للغة يرجع إليه العلماء ، ومظهراً من مظاهر تطور تدوين المعجم العربى ، تالياً لمرحلة كتاب العين ، وسابقاً لأخرى خُطت بالمعجم العربى خطرة هامة نحو تمهيد أكنافه وتيسيره .

(١) وذكر السيوطى فى بغية الوعاة : جُخْجُخ ، بجيم ثم خاء معجمتين مضعفتين : ٢ / ١٢٦ ، والقفطى فى إنباه الرواة بجيم وحاء مهملة مضعفتين : ٢ / ١٥٢ والحاشية (٢) منها .

(٢) معجم الأدباء : ١٨ / ١٤٢ المزهري : ١ / ٥٨ وقد ظفر السيوطى بنسخة منها ، عليها بعض تنبيهات واستدراكات لبعض العلماء .

(٣) إنباه الرواة : ٣ / ١٧٧ .

(٤) المزهري : ١ / ٥٤ . إنباه الرواة : ١ / ٢٦٠ ؛ ومعجم الأدباء : ٧ / ١٣٦ .

(٥) المزهري : ١ / ٥٤ .

الجوهري :

يعد صحاح الجوهري مرحلة متطورة ناجحة في مراحل تدوين المعجم العربي بعد أن سبقته مرحلتان هامتان ، كانت الأولى الأساس الأول الخطير لوضع أول معجم عربي ، وفق إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) ، وكانت الثانية جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) . ولكل من هاتين المرحلتين دلالتها البالغة ، وكان لهما من المريدين والأتباع من سار على منهجهما محتذياً ، أو متخذاً سبيلاً أخرى لاتبعه إلا قليلاً منهما ، ولكن « الصحاح (١) » للجوهري يتميز بطريقة مبتكرة فاقت طريقة ماتقدمه من معاجم ، وقربت تناول اللغة ، وسهلت مسالكها ، فقد ذلل أشق صعوبتين بقبتنا إلى عصره تبحثن عن حل موفق .

والإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد النيسابوري الفارابي ، الجوهري (٢) ، نشأ ولوعاً بالعلم واللغة والأدب ، وتعلم ، أول ماتلمذ على خاله أبي إبراهيم

(١) بكسر الصاد المهملة جمع صحيح ويفتحها مصدراً مثل براء . السيوطي: المزهري: ٦٠ / ١ نقلاً عن الخطيب التبريزي .

(٢) أصله من فاراب إحدى بلاد الترك وكان من أعاجيب الزمان ذكاء ، وفطنة ، وعلماً ، إماماً في اللغة والأدب ، وخطه يضرب به المثل ، قال ياقوت : وقد بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شاقاً فلم أقف عليهما . وقيل مات في حدود الأربعمئة .

انظر ترجمته في : إنباه الرواة : ١ / ١٩٤ : بغية الوعاة : ١ / ٤٤٦ شذرات الذهب : ٣ / ١٤٢ معجم الأدباء : ٦ / ١٥١ - ط الحلبي بمصر ، يتيمة الدهر : ٤ / ٣٧٣ - ٣٧٤ ، وغيرها .

إسحق بن إبراهيم الفارابي^(١) (ت. ٣٥٠ هـ) ورحل في طلب العلم، واخترق إليه البدو والحضر، وكان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن، والمسكن، ودخل ديار ربيعة ومضى في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب، ثم عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط الجميل، وكتابة المصاحف الجميلة، والدفاتر اللطائف.

فحياة الجوهري إذاً، حياة عكوف على العلم، ورحلة إليه، وصلاته كانت تدور في هذا المجال نفسه، فأستاذه الأول خاله الفارابي صاحب ديوان الأدب في اللغة، ثم هذان النابهان: أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ).

وإنتاجه عظيم الدلالة على نبوغه وتفوقه، يقول القفطي عنه: «إنه من أعاجيب الدنيا»، ويقول ياقوت: «إنه من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلم». وامتدح ابن رشيقي القيرواني في كتابه: «العمدة» إنتاجه في علم العروض وتنميته وإعطاء صورته النهائية بعد الخليل^(٢)، كما ذكر له العلماء مؤلفاً في النحو.

تاج اللغة وصحاح العربية

منهجه:

يتفق العلماء على أن معجم الصحاح يفوق ماتقدمه من المعاجم نهجاً وحسن مأخذ؛ فقد ذلل صعوبتين شاقتين ورثهما المعجميون الذين وقفوا أنفسهم على تدوين المعجم العربي.

إحداهما: حرص اللغويين على أن يكون البناء الكمي والنوعي، أساساً لا يستغنى عنه في تدوين المعجم. وظهر هذا جلياً في أول معجم عربي مجنس. وماسار على نهجه من معاجم؛ وذلك بتبويب المعجم أبواباً حسب عدد حروف المادة الأصلية ونوع هذه الحروف: ثنائية، ثلاثية، رباعية، خماسية، سائمة أو معتلة، وبلغ التعقيد،

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء: ٦ / ٦١ - ٦٥ بغية الوعاة: ١ / ٤٣٧؛ بروكلمان: ٢٥٨/٢ - ترجمة د. عبدالحليم النجار.

(٢) بروكلمان: ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٣ - ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار.

والتفتيت، والاضطراب مدى بعيداً في المرحلة الثانية من مراحل تدوين المعجم على يد
أبي بكر بن دريد كما سبق توضيحه^(١).

وثانيتها : الحيرة في ترتيب المواد حسب المنهج السابق . وكان جمع مشتقات المادة
الواحدة وحشدها في موضع واحد وسوقها تحت أسبق حروفها من حيث المدارج الصوتية
عند الخليل أو من حيث وضعها في الترتيب الأبجدي المألوف (أ / ب / ت / ث / ج .. إلخ)
عند ابن دريد - كان ذلك شاقاً يتطلب جهداً وعناء في البحث عن المادة، وجهداً
وعناء بعد التوصل إليها، يتمثل في ضرورة قراءة المادة حتى يعثر على مقلوبها المراد .
ومن أجل ذلك كان القضاء على هاتين المشكلتين جميعاً، في معجم الجوهري ،
عملاً هاماً جديراً بالتقدير .

والأساس الوحيد الذي ارتضاه الجوهري في ترتيب كتابه : أنه قسمه أبواباً بعدد
حروف الهجاء ، ووفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، وجعل المواد الواوية
والبيائية الآخر في باب واحد . ثم قسم كل باب فصولاً بعدد حروف الهجاء كذلك .
وحسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، بغض النظر عن عدد حروف المادة وعن
أجناسها . فباب الميم يجمع المواد المنتهية بحرف الميم . وفصل العين منه يجمع المواد
المبدوءة بحرف العين من هذا الباب نفسه وهكذا سائر الأبواب .

وفي باب الجيم وفصل العين منه نجد المواد الآتية : عثج / عج / عذج / عرج /
عرفج / عسج / عسلج / عفج / عفضج / علج / عمج / عنج / عوج / عهج /
عيج ، وبها ينتهي فصل العين من باب الجيم .

ويلاحظ أنه رتب المواد في فصل العين حسب الحرف الثاني، إن كانت الكلمة
ثلاثية، فالثالث إن كانت الكلمة رباعية، ثم الرابع إن كانت الكلمة خماسية: (عنج /
عذج / عرفج / عفضج) وهكذا سائر فصول كل باب .

ويلاحظ كذلك أنه قدم فصل « الواو » وجعله بين النون والهاء . وكذلك صنع في
الترتيب الداخلي للمواد ، مثل : (عوج / عهج / عيج) .

ويلاحظ أن عدد فصول أي باب لا يطابق دائماً عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين
فإن أكثر الأبواب لم يستوف هذا العدد من الفصول .

وهناك خمسة أبواب فقط ضمت فصولها كاملة وهي أبواب : الهمزة ، اللام ،
الميم ، النون ، وباب الواو والياء . وهناك باب واحد وهو باب الزاي ، ينقصه فصل واحد

(١) انظر في هذا الكتاب : ص : ٤٩ وما بعدها .

هو فصل اللام . كما أن هناك باب الظاء المعجمة نقص منه اثنا عشر فصلاً (١) .
وقد أشار الجوهري إلى هذا النهج في قوله : « أودعت هذا الكتاب ماصح عندي من
هذه اللغة .. على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، في ثمانية وعشرين
باباً ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً ، على عدد حروف المعجم وترتيبها ، إلا أن
يهمل من الأبواب جنس من الفصول » .

خصائص المعجم :

ويحسن قبل الحديث عن خصائص هذا المعجم ، أن نمثل لمنهجه بذكر المادة الآتية :

مادة : عج :

العج : رفع الصوت ، وقد عج يعج عجيحاً . وفي الحديث : « أفضل الحج العج
والثج (٢) » ، وعجيج أى صوت . ومضاعفته دليل على التكرار فيه . والعجة بالضم :
هذا الطعام الذى يتخذ من البيض ، أظنه مولداً ، والعجاج : الغبار ، والدخان أيضاً .
والعجاجة أخص منه .

والعجاجة : الإبل الكثيرة العظيمة ، حكاه أبو عبيد عن الفراء ، وأعجت الريح
وعجت : اشتدت وأثارت الغبار ، ويوم مُعجٍ وعجاج ، ورياح معاجيج ضد مهاوين .
وعجت البيت دخاناً فتعجج . والعجاج بن رؤية السعدى الراجز من سعد تميم ،
سمى بذلك لقوله :

حتى يعج ثخناً من عججها

ويقال : أشعر الناس العجاجان ، أى رؤية وأبوه . ونهر عجاج : لمائه صوت ، وقد
يجىء ذلك فى كل ذى صوت من قوس وريح ، والعجججة فى قضاة : يحولون الباء
جيماً مع العين يقولون : هذا راعج خرج معج ، أى هذا راعى خرج معى .

(١) انظر فى إحصاء مانقص من فصول أبواب المعجم : نصر الهورنى : مقدمة الصحاح ، ط بولاق .
وأحمد عبد الغفور عطار : مقدمة صحاح الجوهري : ١٢٧ - ١٢٩ ، ط دار الكتاب العربى بالقاهرة .
(٢) الثج : إراقة دم الهدى ، وهو الذبيحة التى يقدمها الحاج . ثج يشج ، من باب
ضرب . مختار الصحاح والمصباح المنير .

مناقشة :

ويمكن من خلال مناقشة المادة السابقة التعرف على خصائص هذا المعجم ،
ومن بينها :

١ - بدأ المعجم فى هذه المادة ببيان معنى المصدر ، فقال : « العج : رفع الصوت »
ثم عرج على الفعل ، وسائر مشتقات المادة . وليس ذلك بملتزم فى كتابه ؛ ففى مادة :
ع د د ، يبدأ بالفعل ثم يثنى بالاسم منه ، يقول : « عدت الشئ ، عدا : أحصيته
والاسم : العدد والعديد ، يقال هم عديد الحصى والثرى ، أى فى الكثرة .. إلخ » .
وكذلك فى كثير من المواد .

٢ - ذكر المادة الأصلية . ومضعفاتها ، ومزاداتها ، وتطور المعنى بعد الزيادة :
« العج : رفع الصوت ، عجعج أى صوت ، ومضاعفته دليل على التكرير فيه ،
والعجاج : الغبار ، والدخان أيضاً . والعجاجة أخص منه ، وأعجت الريح وعجت :
اشتدت وأثارت الغبار » .

وكذلك نرى فى مادة : ع د د : « عدت الشئ ، عدا : أحصيته ، وعده فاعتد :
أى صار معدوداً ، واعتد به وأعدده لأمر كذا : هبأه له ، والاستعداد للأمر :
التهيؤ له إلخ » .

٣ - يلجأ إلى الضبط بالنص على نوعه ، فيقول فى الأسماء : « العجة بالضم »
والضبط للحرف الأول ، ومثل : العد بالكسر : الماء الذى له مادة لاتنقطع ، كما العين
والبئر ، والعدة بالضم : الاستعداد . ويقال : كونوا على عدة ، ومثل : العسلج بالضم ،
والعسلوج : مالان واخضر من قضبان الشجر ، والكرم أول ما ينبت .

وإن قال فى الأسماء بالتسكين كان للحرف الثانى من الاسم ، مثل : الخلبة
بالتسكين ، وهو يصرح بحركة الحرف الثانى أو سكونه عند الجهل به ، ويتركه إذا كان
معلوماً ، مثل : الرطب بالضم ساكنة الطاء : الكلاً ، وإن قال بالتحريك ، أو محركا ،
كان معنى ذلك فتح الحرفين الأول والثانى ، مثل : العجبة بالتحريك : النخلة تثبت من
النواة ، والعجم بالتحريك : النوى ، وكل ما كان فى جوف مأكول ، كالزبيب وما أشبهه .

وفى الأفعال يكون الضبط لعين الفعل مثال ذلك : أدب الرجل بالضم . فإن ذكر
المضارع بعد الماضى كان الضبط لعين المضارع ، مثل : حصبت الرجل أحصبه بالكسر ،

وقد عجمت العود أعجمه بالضم : إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره.

٤ - ويكرر المادة إذا تعدد معناها واتفق ضبطها ، يقول : العدة بالضم : الاستعداد ، يقال : كونوا على عدة . والعدة أيضا : ما أعددت له لحوادث الدهر من المال والسلاح . ويكررها كذلك في أساليب مختلفة ليتعرف على مدى تلون المعنى في كل أسلوب ، مثل : « ما عجمتك عيني منذ كذا : أي ما أخذتك ، ورأيت فلانا فجعلت عيني تعجمه كأنها تعرفه ، والثور يعجم قرنه : إذا ضرب به الشجرة يبلوه ، وعجم السيف : هزه للتجربة » .

٥ - إذا كان للمادة أكثر من لغة ، نبه عليها كما نبه على اللهجات العربية في شبه الجزيرة ، وقد فعل ذلك في مادة : عجم ، قال : « والعجعة في قضاة ، يحولون الياء جيما مع العين ، يقولون : هذا راعج خرج معج ، أي هذا راعى خرج معى » .

وكذلك يذكر العلل النحوية والصرفية ، وآراء العلماء ومناقشاتهم . يقول في مادة : عد : « ومعد أبو العرب وهو معد بن عدنان ؛ وكان سيبويه يقول : الميم من نفس الكلمة لقولهم تعدد لقله تمفعل في الكلام ، وقد خولف فيه ، وهو تعدد الرجل : أي تزى بزيمهم ، أو تنسب إليهم ، أو تصبر على عيش معد . ويقول في شرح المثل : « أن » تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » : « هو تصغير معدى ، نسبة إلى معد وإنما خفت الدال استثقالا للجمع بين التشديدين مع ياء التصغير » .

٦ - ويلاحظ أنه ينسب إلى العلماء ما نقل عنهم ، وإن تخفف في ذلك حتى لا يثقل على القارئ .

٧ - ويستشهد على المادة بالنصوص الأدبية الموثوق بها ، وفي صدرها كتاب الله ، وحديث رسوله الكريم ، والمروى من الشعر والنثر والحكمة والمثل .

٨ - وما يميز به هذا المعجم ، كما يقول السيوطي : اقتصاره على الصحيح من اللغة ، بينما لم يلتزم ذلك غيره من اللغويين . يقول السيوطي : « وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ماصح وغيره ، وينبهون على ما لم يثبت غالبا ، وأول من التزم الصحيح مقتصرأ عليه ، الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ولهذا سمي كتابه الصحاح (١) » . وقد صرح الجوهري بذلك في مقدمة كتابه ،

(١) المزهر : ١ / ٦٠ .

فقال : « أودعت هذا الكتاب ماصح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها ، على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، وإتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ، ولم آل في ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا » .

وفي هذه العبارة فوق ذلك ، إشارة إلى مصادره التي اعتمد عليها في تدوين المعجم ، فقد اعتمد على الحفظ والرواية عن اللغويين ، وعلى اتصاله بالبادية ليتحرى المنابع التي لم تتأثر بالحضارة الواقدة ، ولم يخالطها غيرها من الأجانب ، فيفسدوا لغتها ويشيعوا اللحن فيها ، ولاشك كذلك في أنه اتصل بمؤلفات من سبقه في هذا المجال ونقل عنها ، ومثل هذا واضح في معجمه .

« ديوان الأدب » و « الصحاح » :

تدل الأخبار على أن أبا نصر الجوهري : تتلمذ على خاله إسحق بن إبراهيم الفارابي ، صاحب « ديوان الأدب في اللغة » ، وتدل كذلك على أنه قرأ هذا الكتاب ورواه ونسخه (١) ومن ثم تأثر به ، وبمنهجه اللغوي ، وبمعنى أدق ، ببعض هذا المنهج . غير أن من يطلع على نهج الكتابين : « ديوان الأدب » و « الصحاح » ، يرى بوضوح أن الجوهري عمل عملاً هاماً جديراً بالتقدير ، وأن معجمه يعد فتحاً في مجال تدوين المعجم العربي .

ويمكن أن يلخص نهج الفارابي في ديوان الأدب فيما يلي : -

- (١) كان الفارابي متأثراً بنهج الخليل وابن دريد في بناء المعجم حسب الأبنية : عدد الحروف وأجناسها ، فقسم المعجم ستة أقسام ، وسمى كل قسم كتاباً ، وهي :
 - ١ - السالم ، وهو ما سلم من حروف العلة .
 - ٢ - المضاعف .
 - ٣ - المثال ، وهو ما كان في أوله واو أو ياء ،
 - ٤ - كتاب ذوات الثلاثة ، وهو ما كان في وسطه حرف من حروف العلة .
 - ٥ - كتاب ذوات الأربعة ، وهو ما كان آخره حرف علة .

(١) معجم الأدباء : ٦ / ٦٣ ، ٦٤ .

٦ - كتاب الهمزة .

ثم قسم كل كتاب من هذه الكتب الستة قسمين : يورد الأسماء أولا ثم الأفعال بعدها (١) .

(٢) بوب الأسماء والأفعال أبوابا ، حسب الأبنية ، وحسب الحرف الأخير من حروفها الأصلية . ففي باب الباء يذكر الكلمات المنتهية بحرف الباء . ويرتب المواد فصولا حسب الحروف الهجائية كذلك ، وحسب الحروف الوسطى الثانية فالثالث فالرابع ، وهكذا ، وترك المهموز والمعتل لأنه أفرد لهما أبوابا خاصة ، وهكذا يتصل معجم الجوهري ومعجم الفارابي ، مما حمل بعض الباحثين على دعوى سرقة الجوهري معجم خاله الفارابي (٣) .

ويمكن الإجابة عن هذه الدعوى بما يلي :-

١ - ليس معيبا أن يتصل الجوهري بمصادر اللغة المعاصرة له والسابقة عليه خاصة إذ قد أثبت أنه كان جوبا ، أثر الرحلة على المقام والسفر على التوطن ، وأنه اتصل بالمصادر اللغوية بالبادية ، ونقل عنها وشافها ، وقد فعل ذلك من قبل ، الفارابي نفسه ، وغيره من رهبان العلم .

٢ - لم يتحدث أحد من العلماء عن دعوى النقل هذه ، ولم يذكروا كتابه إلا مصحوبا بالثناء والإطراء . يقول ياقوت : « وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم ، وعليه اعتمادهم ، أحسن تصنيفه ، وجود تأليفه ، وقرب متناوله ، وأثر من ترتيبه على من تقدمه ، يدل وضعه على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، فهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولا من مجمل اللغة (٤) » .

ويقول القفطي في إنباه الرواة : « وله كتاب الصحاح في اللغة أكبر وأقرب متناولا من مجمل اللغة (٥) » . ويقول أبو زكريا الخطيب التبريزي : « وكتاب الصحاح هذا ،

(١) معجم الأدباء : ٦ / ٦٢ .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح : ٨١ .

(٣) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٥ .

(٤) إنباه الرواة : ١ / ١٩٥ .

كتاب حسن الترتيب ، سهل المطلب لمايراد منه . وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاسير مشكلات من اللغة (١) .

٣ - إن معجم الجوهري يمتاز أول ما يمتاز بهذا النهج الذي ذلل أمرين شاقين : نظام الأبنية وتفريعاته الكثيرة ، وافتنان العلماء في هذه التفريعات ، مما يرى في جمهرة ابن دريد ، وديوان الفارابي : ومشكلة تدوين اللغة تدويناً قريب المأخذ ، سهل التناول ، بهذا الترتيب الأبجدي .

ولابأس عليه أن يكون قد سبقه في هذا الأخير خاله الفارابي ؛ فإن ابتداع الخليل الأبجدية الصوتية واختيارها أساساً في ترتيب كتاب العين ، ثم عدول ابن دريد عنها إلى الأبجدية المألوفة (أ / ب / ت / ث ج .. إلخ) ، كان لاشك يدعو العلماء إلى مواصلة بذل الجهد في هذا الميدان ، مما سيرى أثره فيما بعد الجوهري ومصنفه من معاجم لغوية .

نقد الصحاح :

لا ينتظر أن يسلم عمل هام كمعجم الجوهري من بعض الهنات التي تشوبه ، فليس ذلك من طبيعة البشر ، خاصة إذا ظهر أن الجوهري لم يعد إلى عمله مراجعة وتهذيباً . فقد وردت الأخبار بأنه صنف الكتاب للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي (٢) (ت ٤٥٣ هـ) ، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة ، وبقيت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة ، فبيضة أبو إسحق إبراهيم بن صالح الوراق (٣) ، تلميذ الجوهري ، بعد موته ، فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً (٤) علي أن « ياقوتا (٥) » اطلع بنفسه على نسخة من الصحاح مكتوب عليها ما يفيد أن البيشكي تلقى الصحاح عن الجوهري .

(١) انظر السيوطي : المزهري : ٦٠ / ١ .

(٢) انظر ترجمته في : معجم الأدباء : ٦ / ١٦٣ ومعجم البلدان : ٢ / ٣٣٤ .

(٣) ترجمته في : إنباه الرواة : ١ / ١٦٩ : معجم الأدباء : ١ / ١٦٢ .

(٤) معجم الأدباء : ٦ / ١٥٧ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ٦ / ١٦٣ .

ومما عيب به الصحاح : التصحيف . مثال ذلك ما استشهد به على كلمة الدبديبة ،
ببأين موحدتين ، قال :

عائور شرأيا عائور^(١) دبديبة الخيل على الجسور

قال الخطيب التبريزي : الصواب دندنة بنونين ، وهو أن تسمع من الرجل نغمة
ولاتفهم ما يقول .

وكذلك ما ذكره الجوهري ، قال : احتق الفرس : ضمير ، قال التبريزي : والصواب احتق
الفرس بالنون على افعال : إذا ضم ويبس . وشاح الفرس بذنبه ، صوابه بالسین المهملة ،
وغير ذلك مما تعقبه فيه صاحب القاموس^(٢) وغيره .

وهكذا يبدو أن هذه التصحيفات وأمثالها قد تكون من أخطاء تلميذه الذي بيض
الكتاب وراجعته من بعده كما يقال ، وقد تكون من هنات الجوهري نفسه ، ولعل دفاع
ياقوت عنه يعد أجمل دفاع وأكرمه ، قال : « إنه رحمه الله ، غلط وأصاب ، وأخطأ
المرمى وأصاب ، كسائر العلماء الذين تقدموه وتأخروا عنه فإنني لأعلم كتابا سلم إلى
مؤلفه فيه ، ولم يتبعه بالتتبع من يليه » .

ولجزالة نفع هذا الكتاب تتبعه العلماء بالتهذيب والتنقيح . ومن ذلك : تنقيح
الجواليقي^(٣) مع حذف الشواهد ، وتنقيح الزنجاني ، محمود بن أحمد بن محمود (ت
٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م) ، والصرح ، مع ترجمة فارسية لأبي الفضل محمد بن عمر بن
خالد القرشي (ولد في حدود ٦٢٨ هـ = ١٢٣١ م) .

كما اختصره محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت . في حدود سنة ٦٩١ هـ) .
وأكملاه أو نبه على أخطائه آخرون ومن هؤلاء : أبو محمد عبدالله بن برى المصرى
(ت ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م) في كتابه :

« التنبيه والإيضاح على ما وقع من الوهم في كتاب الصحاح » .

والحسن بن محمد بن الصفاني (ت ٦٥٠ هـ = ١٢٥٢ م) في كتاب : « التكملة
والذيل والصلة » .

(١) العائور : المهلكة من الأرضين ، والشر .

(٢) المزهر : ٢ / ٢٤٢ .

(٣) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت - ٤٦٥ هـ) .

ودافع عن الصحاح بعض العلماء منهم أبو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي التادلي المدني العمري في كتابه : « الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد (مجد الدين الفيروزابادي) للصحاح (١) » .

خاتمة الجوهري :

يقال إن الجوهري لقي مصرعه مترديا من سطح المسجد أو سطح منزله بنيسابور بعد لوثة أصابته في أواخر القرن الرابع الهجري .. ويرجع التحقيق الذي قام به ياقوت أن وفاته كانت بعد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وهي السنة التي أتم فيها الجوهري نسخ « ديوان الأدب » بخطه ، في نسخة رآها ياقوت بدمشق عند الملك عيسى بن العادل بن أيوب صاحب دمشق . ومن ثم يرى بعض العلماء أنه توفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . ويحتاط آخرون فيقولون : في حدود سنة أربعمائة .

ولاشك أنه سيبقى في أذهان الناس بفضل معجمه الكبير : « تاج اللغة وصحاح العربية » .

(١) ط : بولاق ١٢٨١ هـ ثم مصر سنة ١٣٠٥ هـ وانظر بروكلمان :

٢ / ٢٦٣ ترجمة د . عبدالحليم التجار .

رواد تابعون

(١)

محمد بن أبي بكر بن

عبد القادر الرازي^(١)

(ت بعد سنة ٦٩١ هـ)

صاحب «مختار الصحاح»

تقديم :

يعد « صحاح الجوهري » خطوة طيبة على طريق تثقيف المعجم العربي ، دعت كثيرا من الرواد أن يترسموا خطاه ، ويسيروا على دربه ، وأن يضيفوا إلى المكتبة المعجمية معاجم ، يحق أن يطلق على بعضها وصف « الموسوعات » ، كما صنع ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب « لسان العرب » وأن يعمدوا أحيانا إلى كتاب الجوهري بالاختصار والاختصار كما صنع كثيرون من بينهم : محمد بن أبي بكر الرازي صاحب «مختار الصحاح في اللغة» .

وإذا كان عمل الرازي في هذا المعجم هو ما التزمه من اقتباس ما أراد اقتباسه من صحاح الجوهري ، في إيجاز كبير يفى بما أراده من الاختصار على ما تدعو إليه ضرورة الاطلاع السريع ، مع تلبية حاجة الحفاظ ، والأدباء ، ورجال الفقه ، واللغة ، حتى خرج المعجم في هذا القطع الصغير ، كما يقول المشتغلون بفن الطباعة ، إذا كان هذا هو عمل الرازي ، فإنه قد سار كذلك على نهج دقيق ، وكان أنموذجا جيدا لمن يعمد أحيانا إلى ولوج هذه السبيل ، وكان من الضروري لذلك ، تتبع هذا النهج وبيان معالنه فيما يلي من هذه النقاط .

(١) الرازي : نسبة إلى مدينة الري ، من بلاد الديلم ، وهو من رجال القرن السابع الهجري ، زار مصر والشام ، ثم رحل إلى قونية ، ووضع كتاب « روضة الفصاحة » برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي ، الذي ارتقى عرش ماردین سنة ٦٩١ هـ ويبدو أن الرازي عاش إلى ما بعد هذه السنة سنة ٦٩١ هـ : (انظر : عبدالله مخلص : مجلة المجمع العلمي العربي : ج ١١ ، مجلد ٨ ص ٦٤١)

نهج المختار :

١ - ترسم الرازي ماسار عليه الجوهري في صحاحه حين اختار الأبجدية المألوفة (أ / ب / ت / ث / ج / .. إلخ)، أساسا لتنظيم المعجم، ومن اعتبار الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية دليل هذا التنظيم، ومن أجل ذلك قسم المعجم إلى سبعة وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء، بعد إدماج المواد الواوية والبيائية الآخر في باب واحد هو: «باب الواو والياء»، وأتبعها بالباب الثامن والعشرين، وخصه بالمواد المنتهية بالألف اللينة غير المنقلبة عن واو أو ياء. وقسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا، حسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية كذلك، إلا أن يهمل من الأبواب شيء من الفصول.

ويلاحظ المتصفح للباب الثامن والعشرين، وهو «باب الألف اللينة» أنه لم يقتصر على ما خصص له؛ فقد تحدث عن مواد لا تنتهي بالألف اللينة مثل: «إذا» و «أولو» و «أولات» و «أولى» وحرف «الباء» و «ذو» وحرف «الفاء» و «لو». وليس في هذا الباب توجيه يوضح سبب الحديث عن هذه المواد، بل لقد صورته بما يفيد غيره حين تحدث عن «الألف» وأنها ضربان: لينة ومتحركة، فاللينة تسمى ألفا، والمتحركة تسمى همزة. ثم قال: «وذكرنا ما كانت الألف فيه منقلبة عن الواو والياء في الباب الذي قبل هذا، وهذا الباب مبنى على ألفات غير منقلبات من شيء، فلهذا أفردناه»، وكان من الممكن أن يضع هذه المواد في أبوابها المناسبة كما صنع مع «إذ» فقد ذكرها في موضعها من باب الذال، وأن يتحدث عن حرفي الباء والفاء في صدر بابيهما، كما صنع غيره من المعجميين، وأن يتسع باب الواو والياء ليضم بعض ما ذكره في باب الألف اللينة.

٢ - عنى الرازي بالضبط، وهو يلجأ إلى إحدى طريقتين :

(١) النص على نوع الضبط؛ فيقول في مادة: ش ن ء: «وقد شنىء بالكسر شناً بسكون النون، والشين مفتوحة ومكسورة ومضمومة، ومشناً كمعلم، وشنان بسكون النون وفتحها، وقرىء بهما».

(ب) وكثيرا ما يشير إلى الضبط بالتمثيل بلفظ مشهور أو بالإحالة إلى وزن اللفظ كقوله: «رقأ الدمع والدم: سكن وبابه قطع» ومثل: «عند، من باب جلس: أى خالف ورد الحق وهو يعرفه».

وقد نبه الرازي إلى ما التزمه في الضبط وخاصة عند ضبط المواد الثلاثية .
فهناك من أبواب الفعل الثلاثي « ما لا يكفى فيها النص على حركة الحرف الأوسط من الماضى دون معرفة وزن المضارع لاختلاف وزن المضارع مع اتحاد الماضى، فلا بد من النص على المضارع أيضا أو رده إلى بعض الموازين » . فوزن فعل بفتح العين فى الماضى ، يرد مضارعه مضموم العين كنصر - ينصر ، ومكسور العين كضرب - يضرب ، ومفتوح العين كقطع يقطع ، ومن ثم ينبغى التنبيه على وزن المضارع بالنص على ضبط عينه ، أو بالإشارة إلى وزن فعل مشهور، على مثال ما سيظهر بعد قليل .
وإذا اقتصر على ضبط المضارع الثلاثى ، فقال بالضم أو بالكسر ، « فاعلم أن ماضيه مفتوح الوسط لامحالة » .

وفى الأسماء ضبط كل اسم يشتبه على الأعم الأغلب ، إما بذكر مثال مشهور عقيبه، وإما بالنص على حركات حروفه التى يقع فيها اللبس . مثل : العنت بفتحتين : الإثم، والدملج والدملوج بضم الدال واللام فيهما : المعضد . ويقول فى مادة: خ ش ب: « جمع الخشبة خشب بفتحتين وخبب بضمين ، وخبب كقفل ، وخببان كغفران » .
ولاشك أن العناية بالضبط أصون للغة ، وأعون للطالب أن يصل إلى ما ينبغى فى يسر .

٣ - ومما يبرز فى هذا المختصر : العناية بحصر الأوزان الثلاثية ، والتنبيه إليها، وتدارك ما فات الجوهري منها . فكل ما أهمله الجوهري من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التى ذكر أفعالها ، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التى ذكر مصادرهما نبه الرازي إليه ، ونص على ضبط حركاته ، أو رده إلى أحد الموازين العشرين التى بينها متى وجد له سندا من كتب اللغة الموثوق بها ، والمعتمد عليها ، وإلا أهمل النص عليه ، تجنب أن يقحم على اللغة ما لم يتضح لديه الدليل عليه .

والموازين العشرون التى أشار إليها الرازي متفرعة عن أصول ستة ، هى :
الوزن الأول : وزن فَعَلَ يَفْعُلُ بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع .
وذكر منه الرازي سبعة موازين : (نصر - دخل - كتب - رد - قال - عدا - سما)
الوزن الثانى : فَعَلَ يَفْعِلُ ، بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع .

والمذكور منه خمسة موازين : (ضرب - جلس - باع - وعد - رمى) .
الوزن الثالث : فَعَلَ يَفْعَلُ ، بفتح العين فيهما ومنه وزنَان : (قطع - خضع) .
الوزن الرابع : فَعَلَ يَفْعَلُ ، بكسر العين في الماضي ، وفتحها في المضارع .
ومنه أربعة موازين : (طرب - فهم - سلم - صدئ) .
والخامس : فَعُلُ يَفْعُلُ ، بضم العين فيهما ، ومنه وزنَان : (ظرف - سهل) .
والسادس : فَعَلَ يَفْعَلُ ، بكسر العين فيهما ، كوُثِقَ يَثِقُ وُثُوقاً ونحوه ، وهو قليل .
وقد نبه الرازي على ما هو وارد على وزانه في مواضعه من المعجم .

والإحالة على الموازين السابقة تعنى عند الرازي مماثلة الفعل المطلوب ضبطه الفعل المتمثل به في حركات ماضيه ومضارعه ومصدره على التصريف المذكور له في موازينه، فإن كان له غير هذا الوزن نص عليه . مثال ذلك : سلج اللقمة من باب فهم ، وسلجانا أيضا بفتح اللام ، أى بلعها ومثل : الشقرة لون الأشقر وبابه طرب ، وشقرة أيضا . ومعنى هذا : أن تصريفات الفعل «سلج» (الماضي والمضارع والمصدر) تشابه نظائرها من الفعل « فهم » وتزيد عليها صيغة «سلجانا» بفتح اللام . وكذلك الشأن في تصريفات « شقر » تشابه تصريفات الفعل « طرب » وتزيد عليها صيغة « شقرة » أيضا .

٤ - ومن مزايا هذا المعجم الموجز أنه ضم بعض القواعد النحوية والصرفية وأشار إلى آراء بعض العلماء فيها ، على طريقتة في المعجم من الإيجاز المفيد .

مثال ذلك : ما ذكره في مادة : س ج د ، من طريق بناء اسم المكان والمصدر الميمى من الثلاثى قال : « قال الفراء : ما كان على فَعَلَ يَفْعَلُ كدخل يدخل فالفعل منه بفتح العين اسما كان أو مصدرا تقول : دخل مَدْخَلًا وهذا مَدْخَلُهُ إلا أحرفا من الأسماء ألزموها كسر العين منها : المسجد ، والمرْفَق ، من رفق يرفق والمنبت من نبت ينبت . وما كان من باب فَعَلَ يَفْعَلُ كجلس يجلس ، فالمكان بالكسر والمصدر بالفتح للفرق بينهما . وتقول : نزل مَنزَلًا بفتح الزاى - يعنى نزولا ، وهذا مَنزَلُهُ بالكسر أى داره .. » وفي باب : ظهر ، يقول : « والظهير : المعين ، ومنه قوله تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير » وإنما لم يجمعه لما ذكرنا في قعيد (١) » وفي حرف الباء من باب الألف اللينة يتحدث عن

(١) ذكر في مادة : ق ع د : « .. فعيل وفعول ، يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع » .

طريق تعدية الفعل فيقول: « وكل فعل لا يتعدى فلك أن تعديه بالباء والهمزة والتشديد، تقول: طاربه، وأطاره، وطيره. »

٥ - كان من الممكن أن يترك الرازي الاستشهاد على ما يشرحه من معانى المواد قصداً إلى الإيجاز الذى توخاه فى معجمه، ولكنه لم يُخلِ معجمه من النصوص التى تؤيده وتضيف فى الوقت نفسه إليه شيئاً من الإمتاع والإفادة.

وفى مقدمة ما يستشهد به آيات القرآن الكريم كما ترى فى الفقرة السابقة: وحديث الرسول الكريم، كما صنع فى مادة: دفا. قال: « دفا: أدفيت الجريح: أجهزت عليه. وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أتى بأسير يوعك، فقال لقوم: اذهبوا به فأدثوه وأراد: الدفء من البرد، فذهبوا به فقتلوه، فوداه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ». وكذلك بعض الشعر، كما ترى فى مادة: ل م م، قال: ألم الرجل، من اللمم وهو صفائر الذنوب، قال:

إن تغفر اللهم تغفرَ جمًّا وأى عبد لك لا أَلْمَأ

٦ - والاختصار هدف أساسى قصد إليه الرازى. لم يسيء استعماله، ولم يتخذ ذريعة لتشويه المعجم، بل لقد توخى مع الاختصار أموراً ثلاثة:

١ - ألا يحرم المثقفين المتخصصين من الانتفاع بمعجمه، وإنما العكس هو الصحيح، ونبه هو إلى هذا الغرض، فى قوله: « واقتصرت فيه على ما لا بد منه لكل عالم فقيه، أو حافظ أو محدث أو أديب، من معرفته أو حفظه، لكثرة استعماله وجريانه على الألسن. »

٢ - تجنب عريص اللغة وغريبها تسهيلاً للحفظ.

٣ - أضاف ما افتقده فى صحاح الجوهري من فوائد عشر عليها فى مصادر أخرى، كتهذيب الأزهري (١) (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ)، وغيره من أصول اللغة الموثوق بها، «ومما فتح الله تعالى به» عليه. وهذاه إليه، ونبه إلى هذه الإضافات وصدورها بعبارة: « قلت »، حتى لا يقحم على كتاب الجوهري ما ليس منه.

٧ - ومن الأمانة العلمية أنه نسب الفضل لذويه: فحين شرع فى معجمه أشاد بفضل الجوهري وقيمة كتابه، وقال: « هذا كتاب جمعته من كتاب الصحاح للإمام العالم

(١) أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى اللغوى. بغية الوعاة: ١ / ١٩.

العلامة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (رحمه الله تعالى) ؛ لما رأته أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهذيباً ، وأسهلها تناولاً ، وأكثرها تداولاً . وكذلك نبه إلى مصادره التي أخذ عنها واستفاد منها ، شأن الأفاضل من العلماء . هذا وقد فرغ الرازي من تأليف كتابه سنة ستين وستمائة (١) ، رحمه الله رحمة واسعة .

مختار الصحاح في تنظيمه الحديث

لقد لقي مختار الرازي عناية واسعة لدى الباحثين لما رأوا فيه من ميزات سبقت الإشارة إلى بعضها ، حبتهم في تعميم الانتفاع به وخاصة بين الناشئين ، ومن ثم تنبه الذهن إلى تيسير تناوله ، وتغيير منهجه مع الحفاظ على مادته ، والإبقاء على خصائصه .

فوكلت «وزارة المعارف المصرية» إلى الأستاذ محمود خاطر «بك» أمر تثقيف الكتاب وإعادة تبويبه ، ورأت أن يكون على اعتبار الحرف الأول من المادة الأصلية وما يليه : الثاني فالثالث ، وهكذا ، كترتيب أساس البلاغة للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ؛ وأن ترد إلى كل مادة مشتقاتها التي يصعب على الطالب ردها إليها ، ورأت الوزارة أن يضاف إلى هدف المعجم غرض تهذيبي بحذف ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء .

وقد راجع الكتاب بعد تثقيفه الشيخ حمزة فتح الله ، وطبع أواخر سنة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م . ثم أعيد طبعه مراراً .

وقد أدت إعادة تبويب الكتاب إلى إذابة باب « الألف اللينة » وهو الباب الثامن والعشرون حسب ترتيب الرازي ، في سائر أبواب المعجم في ترتيبه الحديث .

ومثال ذلك ما ذكره الرازي في صدر باب الألف اللينة من حديث عن « الألف اللينة » ومدلولها ووظائفها ؛ فقد جعله منظم المعجم الحديث في صدر باب « الهمزة » والمواد : إذا ، إذ ، إلى ، ألا ، أولو ، أولات ، أولى ، إلا ، أنى ، أيا - سلكت كلها في باب الهمزة ؛ والمواد : با ، تا ، حا ، ذا ، ذو ، فا .. إلخ - سلكت كلها في أبوابها الملائمة لصدر ما ينطق به منها ، في الترتيب الحديث .

(١) انظر : عبدالله مخلص : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الثامن :

٦٤١ ، بروكلمان : تاريخ آداب اللغة العربية : ٢ / ٢٦١ - ترجمة : د : النجار .

واتباعا للنهج الحديث ، من ترتيب المعجم حسب الحرف الأول فالثانى وما يليهما ،
ومن رد الألفاظ إلى أصولها والتنبيه إلى أماكن ورودها فى المعجم ، أورد المعجم
الألفاظ مرتبة حسب هذين الأصلين ؛ فلفظ « آخية » ذكر فى باب الهمزة ثم ألف المد
المعجمة، ونبه المعجم إلى أن تفصيل الحديث عنه يرد فى أخ أ ؛ ولفظ « آفة » فى :
أوف ؛ ولفظ « آه » فى : أوه ؛ ولفظ « إبان » فى : أب ن ؛ وهكذا .
ومن المفيد فى هذه الدراسة اختيار أحد النماذج للوقوف على مدى محافظة التنظيم
الحديث على النص القديم للتنبيه إلى بعض ما لم يذكر قبل من خصائصه .

مادة : بهر :

(بهر) بهره غلبه ، وبابه قطع ، والبهر بالضم تتابع النفس ، وبالفتح المصدر يقال :
بهره الحمل أى أوقع عليه البهر بالضم ، فانبهر أى تتابع نفسه . والبهار بالفتح : العرار
الذى يقال له عين البقر، وهو بهار البر ، وهو نبت جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع
يقال له العرارة . وبهر القمر أضاء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب . يقال قمر باهر وبهر
الرجل . برع ، وبابهما قطع .

التحليل :

إضافة إلى ما سبق ذكره من خصائص المختار يرى الدارس الملحوظات الآتية :

١ - وردت المادة السابقة فى مختار الصحاح بترتيبه القديم والحديث دون نقص أو
زيادة . وصدر الحديث عنها بذكرها مجردة شأن جميع مواد المعجم .

وبدىء هنا بصيغة الفعل الماضى وليس هذا بملتزم فى الحديث عن المواد ؛ فقد يبدأ
المعجم باسم الذات ، أو بالمصدر ، أو بأحد المشتقات مع ورود صيغة فعلية للمادة، مثال
ذلك المواد الآتية من باب الرأ فى الترتيب القديم ، وأول ما بدىء به فيها :

(أثر) - الأثر بوزن الأمر : فرند السيف . أثر الحديث . ذكره عن غيره .

(أجر) - الأجر : الثواب ، وأجره الله من باب ضرب ونصر ...

(أشر) - الأشر : البطر، وبابه طرب ، فهو أشر وأشران ، وقوم أشارى بالفتح ،

مثل سكران وسكارى ...

(بخرا) - بخار الماء : ما يرتفع منه كالدخان ...

(بَأْر) - البئر جمعها فى القلة أبؤر كأفلس وآبار كأحجار ... وبأر بئراً ، بهمزة بعد الباء : حفرها ، وبابه قطع .

(خصر) - الخصر : وسط الإنسان .. والخصر ، بفتحيتين : البرد . وقد خصر الرجل : إذا ألمه البرد فى أطرافه ...

٢ - وفى المادة السابقة ، كغيرها من المواد. لم يتوخ الرازى اتباع نهج خاص فى ترتيب مشتقات المادة ، كما تصنع المعاجم الحديثة حين تبدأ بالفعل فى صورته المجردة والمزيدة . ثم الاسم من المادة : جامده ومشتقه ، مجردة ومزيدة . وما سار عليه الرازى سارت عليه المعاجم المتقدمة عليه والمعاصرة له ، وهو لها متبع .

٣ - ويلاحظ أن المعجم تحدث عن نبات البهار وعرف به تعريفاً أظنه لا يغنى فى العصر الحديث ، والمعاجم الحديثة تهتم بإيضاح التعريف بالنبات والحيوان والأدوات تعريفاً يقتصر برسم لها أو تحديد أدق لوصفها . وقد تذكر ما يقابل أسماءها فى لغات أخرى مما يعين الدارسين إلى حد كبير .

وبعد ، فلعل الكلمات السابقة قد أسهمت فى تبيان بعض ما يجد الدارس فى «مختار الصحاح» من مزايا . ثم لعله يجد مزايا أخرى مع ترداد النظر ومعاودة الاطلاع والدرس .

(٢)

ابن منظور

(٦٣٠ - ٧١١ هـ)

صاحب لسان العرب

تهذيب :

بعد « لسان العرب » في مقدمة كتب هذه المرحلة من المعاجم اللغوية ، وقد ألفه صاحبه أبو الفضل جمال الدين بن منظور (١) ، موسوعة يفيد منها اللغوي والأديب والمحدث وعالم التفسير والفقير ، فإنه لم يقصره على حشد المواد اللغوية وتحليلها وتوضيح معانيها ، بل ضم إليها عناصر كثيرة وفيرة الزاد ، وسعت من دائرته وجعلته قبلة سائر العلماء . وابن منظور سعيد بما صنع . مفتبط بما عمل ، ويبدو هنا جلياً من عبارته : « .. نجاء بحمد الله وفق البغية ، وفوق المنية ، بديع الإتيان ، صحيح الأركان ، سليماً من لفظة : لو كان (٢) » وقد مكنت الأيام لهذا الكتاب مع ضخامة مادته ، وثقل ثنونه ، فبقى موضع تقدير العلماء ، جديراً بثقتهم . والزاد اللغوي الذي جمعه ابن منظور مقتبس من مصادر خمسة هي : تهذيب الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، ومحكم ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ، وصحاح الجوهري (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) ، وحواشيه لابن بري (٤٩٩ - ٥٧٦ هـ) ، وجمهرة اللغة لابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) ، والنهابة في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (ت ٦٠٩ هـ) . واستطاع ابن منظور أن يوائم بين مصادره وأن يختار لكتابه منها ما يشد انتباه القارئ في غير إضجار أو

(١) عبدالله محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ، ابن منظور الأنصاري الإفريقي ، ثم المصري ، جمال الدين أبو الفضل . عمر وجمع وحديث واختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة . وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة . انظر : السبوطي : بغية الوعاة : ١ / ٢٤٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب : ٦ / ٢٦ وغيرهما .

(٢) ابن منظور : مقدمة لسان العرب .

إملا ، بل إن تنقله بينها يشعر القارىء أنه عاش معها جميعا ، ونال منها أفضل ما يحتاج إليه . ولا بن منظور فى هذه المصادر وغيرها رأى دفعه لتأليف كتابه ؛ فمؤلفوها بين رجلين : رجل أحسن الجمع . ولكنه لم يحسن التأليف والوضع ؛ وآخر أحسن الوضع وفاتته إجادة الجمع . وكتابا الأزهرى وابن سيده وعرا المسلك عسرا المطلب ، لا يرتاح إلى منهجها الذهن ولا يستريح الفكر . وكلا الكتابين « فرق الذهن بين الثنائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلب (١) » ومهما كان لهذا رأى من صواب فابن منظور أفاد من هذه الكتب ، وخلدها بالرجوع إليها ، واعترافه بفضلها .

وقد صدر ابن منظور كتابه بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليفه ، واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين ، ونقده لمنهجهم ، ومحاولته أن يجمع بين أفضل ما تركوا وأحسن ما ينبغى ، ومنهاجه الذى ارتضاه ، وأمله أن يأتى وافيا بما قصد إليه .

واطلاع ابن منظور الواسع ، وشغفه العلمى دفعاه إلى أن يجعل كتابه لا يبخل على قارئه بما يود منه ، والفصلان القصيران اللذان بدأ بهما ابن منظور كتابه يشعران القارىء بأنه كان يود أن يسترسل فى مثل هذه البحوث لولا تنبهه إلى هدف الكتاب الأول .

وفى أول هذين الفصلين تفصيل لآراء العلماء فى الحروف المقطعة التى بدئت بها بعض سور القرآن الكريم ، مثل : الم ، كهيعص ، ص ، ق ، وغيرها . ويناقش ما قيل فى بناء أو إعراب حروف التهجى ، وتذكيرها وتأنيثها . وأكثر ما ذكره فى هذا الفصل نقله عن تهذيب الأزهرى فى خاتمة كتابه .

وفى الفصل الثانى تحدث عن ألقاب الحروف ، وطبائعها ، وخواصها ، وقسمها إلى مجهورة ومهموسة ، وشديدة ورخوة ، كما تحدث عن مدارج الحروف ، وموقع الحروف من هذه المدارج ، وقد صنع السابقون أوفى مما صنع ابن منظور فى هذا المجال ، كما نرى فى المقدمة الموجزة لكتاب العين ، وفى المقدمة المطولة لكتاب جمهرة اللغة .

(١) انظر : مقدمة لسان العرب ،

منهج الكتاب :

اختار ابن منظور مصادر عدة يقبس منها ولكنه لم يرتض من مناهجها غير المنهج الذى سار عليه الجوهري فى صحاحه ، وصرح بذلك فى مقدمته للسان العرب ، حين قال : « ورتبته ترتيب الصحاح فى الأبواب والفصول » لحسن تهويبه وسهولة تأتبه .
ولكن الناظر فى الكتابين : صحاح الجوهري ولسان العرب يجد شيئاً من الاختلاف فى مسيرة هذا المنهج . وقد قسم الجوهري وابن منظور كتابيهما أبواباً حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، ومع رعاية الترتيب الأبجدي المعتاد (ء / ب / ت / ث / ج ... إلخ .) فباب الباء للكلمات المنتهية بحرف الباء ، وباب الميم للكلمات المنتهية بالميم ، وباب الهمزة للكلمات المنتهية بحرف الهمزة ، أصلية غير منقلبة عن واو أو ياء كالردء ، والظأ والفيء . أما كلمتا السعاء ، والقضاء وأمثالهما فموقعهما باب الواو والياء وفيه جمعت المواد المنتهية بواو أو ياء سواء بقبتنا على حاليهما ، أو تحولتا بسبب الإعلال أو الإبدال ألفا لينة أو همزة . واستحسن ابن منظور صنيع الجوهري فى جمعه الكلمات الواوية واليائية الأخر فى باب واحد ، وعاب من نقد الجوهري فى هذا ، ففصل بين الكلمات الواوية واليائية ، ومن ثم اضطرب ، فكرر الحديث فى المواد التى ترد واوية وياوية .

وقسمت الأبواب إلى فصول مراعاة للحرف الأول من حروف المادة الأصلية؛ فالكلمات : برد ، سعد ، نرد ، نجدها فى باب الدال وفصول : الهاء والسين والنون على التوالى .

غير أن الجوهري قدم فصل الواو على فصل الهاء ، وقدم ابن منظور فصل الهاء على فصل الواو ، وبذا يختلف ترتيب الفصول فى الكتابين مع هذين الفصلين .
وترتيب مواد الفصول فى الكتابين يسير أبجدياً كذلك حسب الحرف الثانى فالثالث فالرابع إن كانت المادة ثلاثية أو رباعية أو خماسية ، فالكلمات : سجد ، سرد ، سعد ، سهد ، كلها فى باب الدال وفصل السين وترتيبها فى الكتابين يتخذ هذا الترتيب المدون .
غير أن الجوهري اتبعا لطريقته المشار إليها فى ترتيب الفصول يقدم فى ترتيب مواد كل فصل حرف الواو على حرف الهاء بينما يعكس ابن منظور فيقدم حرف الهاء على حرف الواو، فالكلمات : ض و ، ض ه ، ض ي ، فى كتاب الجوهري ، تتخذ

ترتيباً آخر في لسان العرب ، إذ تراها فيه هكذا ض ه ، ض و ، ض ي .
والباب الأخير في الكتابين معقود للكلمات المنتهية بالألف اللينة غير المعروفة
الأصل، ومادته في لسان العرب أكثر وفاء وأعظم غزارة ، سنة ابن منظور في كتابه .
وفي هذا الباب يتحدث ابن منظور عن بعض حروف الهجاء إذ تنطق منتهية بألف لينة
مثل : آ ، با ، تا ، حا ، خا . ويتحدث عن مدارجها وموقعها من الجهر والهمس ،
والرخاوة والشدة ، ثم يتطرق إلى سائر ماتصير إليه من صور جديدة ، وعن معانيها في
كل صورة مع التعليل والتحليل والاستشهاد .

ويلاحظ حرص ابن منظور على تسمية أبواب كتابه وفصوله فيقول مثلاً : فصل الباء
الموحدة ، فصل التاء المثناة فوقها ، فصل الثاء المثناة ، فصل الحاء المهملة ، فصل
الحاء المعجمة ، وهكذا . وكذلك يصنع في الأبواب .

وفي مبدأ كل باب يتحدث حديثاً طويلاً أو قصيراً ، حسب الاقتضاء عن الحرف
المعقود له الباب ، فباب الهمزة صدره بحديث بلغ أكثر من خمس صفحات (من القطع
الكبير) عن حرف الهمزة أصلية ومبدلة وزائدة ، وألقابها في جميع ذلك ، وما يطرأ
عليها من تحقيق ، أو تسهيل ، أو إخفاء ، أو إبدال ، وعالج كثيراً من الفوائد الهامة
مسندة إلى مصادرها مؤيدة بشواهد غنية .

خصائص الكتاب :

في صدر هذا الحديث نعود إلى « لسان العرب » فنضع منه نموذجاً موجزاً نتناوله
بالتحليل والدرس ، ونتعرف قدر المستطاع من خلال هذا التحليل والدرس على خصائص
الكتاب ، وليس من الممكن هنا أن ننقل كل ما كتب ابن منظور عن مادة بعينها ، فغزارة
ما كتبه تحليلاً وتعليلاً واستشهاداً يحول دون ذلك .

جاء في مادة ح ل ، في لسان العرب ما يلي :

حلاً : حلات له حَلْوًا ، على فَعول إذا حَكَت له حَجراً على حَجْرٍ ثم جَعَلت الحُكَاكَةَ
على كَفكٍ وصدَّأت بها المرأة ثم كَحَلته بها . والحَلَاة بمنزلة فُعالة ، بالضم .

والحَلْو : الذي يُحَك بين حَجْرين ليُكْتَحَل به ؛ وقيل الحَلْو : حَجْر بعينه يُسْتَشْفَى
من أَرمد بحُكَاكته ، وقال ابن السكيت : الحَلْو : الحَلْو ؛
حَجْر يدلكُ عليه دواءً ثم تُكْحَلُ به العين .

حَلَاهُ بِحَلْوَاهُ حَلًّا وَأَحْلَاهُ : كَحَلِّهِ بِالْحَلْوَاءِ .

والمخالفة : ضرب من الحيات تحلأ لمن تلسعه السم كما يحلأ الكحل الأرمد حكاية فيكحله بها ، وقال الفراء أحلىء لى حلواً . وقال أبو زيد : أحلأت للرجل إحلاء : إذا حككت له حكاية حجرين فداوى بحكاكتهما عينيه إذا رمدتا .

المناقشة :

الفقرة السابقة من مادة : حلأ ، تدور مشتقاتها حول معنى واحد ، وهو الكحل ، صاغ منها الفعل ، والوصف ، والمصدر ، وقد نقل هذه الفقرة من تهذيب الأزهري ، ومن صحاح الجوهري مع توفيق بسير بين هذين المصدرين . والعمل الواضح لابن منظور في هذه الفقرة هو جمع شتات مفرداتها في موضع واحد مع الحفاظ على أصل النص ، فكل ما يوجه إلى هذه الفقرة من نقد ، إن كان ، ينبغي أن يوجه إلى مصدره لا إليه . ولا بأس ، مع ذلك ، من تحليل هذه الفقرة ، ومقارنتها بغيرها ليستطيع التعرف على الملامح التي تسود « لسان العرب » .

١ - وأول ما يلاحظ في الفقرة ، وهي أول ما صدر به من حديث في مادة : حلأ ، أن ابن منظور وضع المادة في بدء الحديث مجردة في أبسط صورها انتظاراً لما يصنع بعد ذلك من سرد مشتقاتها ، ثم شرع في سردها بادئاً بالفعل : « حلأت له حلواً على فعول » والبدء بالفعل ليس دأباً لازماً في لسان العرب ، إذا كان للمادة أفعال يمكن أن تصاغ منها ، فقد يهمل البدء ، وكثيراً ما يصنع ، بالفعل ، ويبدأ بصور أخرى للمادة غيره : ففي مادة : ح م ، يقول ابن منظور : « الحمأة والحمأ : الطين الأسود .. » ، هذا مع وجود الأفعال والأوصاف المصوغة من هذه المادة : فبعد قليل من بدء الشرح يقول ابن منظور : « وحمئت البثر حمأً ، بالتحريك فهي حمئة : إذا صارت فيها الحمأة وكثرت .. إلخ » وفي مادة : ث ق ب ، يبدأ ابن منظور بقوله : « الليث : الثقب مصدر ثقت الشيء أثقبه ثقباً ، والثقب اسم لما نفذ . الجوهري : الثقب بالفتح واحد الثقوب . غيره : الثقب : الحرق النافذ ، بالفتح ، والجمع أثقب وثقوب . والثقب ، بالضم ، جمع ثقبه .. » ثم يورد الأفعال المصوغة من المادة فيقول : « وقد ثقبه يثقبه ثقباً . وثقبه فانثقب ، شدد للكثرة .. » .

والفعل الذى بدأ به ثلاثى مجرد متعد لمفعول به مباشر وآخر غير مباشر ، (بوساطة حرف الجر - له ، للرجل) وحين كره بصورته هذه قرنه بصورة أخرى : صورة الثلاثى المزيد بالهمزة ليفيد اشتراك الصورتين فى أداء لون جديد من ألوان نفس المعنى : « حلأه يحلؤه حلأً وأحلأه : كحله بالحلوء » . وقد أعاده ثانية فى صورة المجرد مرة وفى صورة المزيد أخرى مسنداً كل صورة إلى أحد العلماء ليفيد اختلاف الآراء فى استعمال إحدى الصورتين لمعنى بعينه دون الصورة الأخرى : « وقال الفراء : أحلىء لى حلوءاً ؛ وقال أبو زيد : أحلأت للرجل إحلاء : إذا حككت له حكاكة حجرين فداوى بحكاكتهما عينيه إذا رمدتا » .

وللفعل « حلأ » معان أخرى غير المعنى الذى دارت حوله الفقرة المقتبسة قبل ، وله كذلك صيغ أخرى مزيدة تؤدي هذه المعانى أو غيرها ، ولكن ابن منظور التزم أن يأتى على مشتقات المادة وصورها للمعنى بعينه ، فإذا فرغ منه انتقل إلى المشتقات والصور التى تؤدي المعانى الأخرى ، معنى بعد آخر ؛ ففى نفس المادة : حلأ ، بعد الفقرة المدونة قبل ، قال : « أبو زيد ، يقال : حلأته بالسوط حلأً : إذا جلده به وحلأه بالسوط والسيف حلأً : ضربه به .. » ثم قال : « وحلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة : طردها أو حبسها عن الرود ومنعها أن ترده .. » ثم قال : « وحلأت الأديم إذا قشرت عنه التحلىء والتحلئ : القشر على وجه الأديم مما يلى الشعر ... » والمادة فى الفقرات الثلاثة السابقة ، وفى أخرى تليها فى « لسان العرب » ، تؤدي فى تصرفاتها وصورها معانى غير المعنى الأول الذى سبق تحليله . وابن منظور ، فى عرض هذه المعانى ، يتتبع سائر صورها واشتقاقاتها ، ويستشهد ، على سنته فى سائر كتابه .

وهذا النهج يفيد من وجهين ، أحدهما : أنه يجمع شتات التصريفات والاشتقاقات والصور المستخدمة فى أداء معنى بعينه ، فإذا تم ذلك اتجه إلى غيره من المعانى على نفس الهدى الذى ارتآه . وثانيهما : أن القارىء سيمر بعين خاطفة على الفقرات وكل منها يعالج معنى بذاته ، يختار منها ما هو فى حاجة إلى تتبع ألوانه ، وصور مادته ومشتقاتها ، ولا يضطر إلى استعراض جميع ما جاء فى المادة يضل فى متاهاتها المحيرة ، خاصة فى كتاب غزير المادة كلسان العرب .

وتفضل بعض المعاجم لاسيما الحديثة حشد جميع المعانى للصورة الواحدة فإذا انتهت منها انتقلت إلى صورة أخرى ، وقد تبدأ بالأفعال مجردة ثم مزيدة ، ثم بالأسماء والصفات مجردة ثم مزيدة ، صورة بعد أخرى ، حسب النهج الذى يرتضيه صاحب المعجم لمعجمه (١) .

٢ - ويلاحظ كذلك أن ابن منظور لم يضبط هنا الفعل « حلاً » بصورة من صور الضبط المعروفة لدى العلماء . فالفعل : « حلاً » ثلاثى مجرد . وللثلاثى المجرد نحو عشرين بابا يشار إلى تحديدها بمثال مشهور، أو بالنص على نوع الضبط ، أو إشارات الضبط المعروفة (الحركات) . هنا مع اهتمام ابن منظور بصحاح الجوهري الذى سن لضبط المفردات سنة رسمها فى مقدمة كتابه ، وسار عليها فى علاج مواده (٢) . وكان فى استطاعة ابن منظور أن يسير على نفس التقليد ، أو يدخل من الإضافات أو التعديلات ما يزيد من فائدة الأجيال من بعده ، وعذر ابن منظور أنه يجمع مادته من مصادر عدة ، وأنه يتقيد بنصوص مصادره ، فمما جاء فيها مضبوطا أورده كما وجد ، إلا إذا ارتأى تصحيحه استنادا إلى مصدر آخر . والقول فى صور الفعل الثلاثى يوجه إلى سائر صور ومشتقات المادة ، لا يزيد فيها ابن منظور على ما نقل عن العلماء . مثال ذلك من مادة : حلاً « حلات له حلواً ، على فعول » ، « والحلافة بمنزلة فعالة بالضم » ، و « التحلىء بالكسر ما أفسده السكين » ، « حلىء الأديم حلاً بالتحريك إذا صار فيه التحلىء » ، وجميع ما فى هذه الأمثلة من ضبط منقول عن مصادره ، وبعض مصطلحاته يحتاج إلى تفسير وتحديد ، وخاصة أنها مصطلحات أصحاب المعاجم التى رسموها لكتبهم وليست مصطلحات عامة تواضع عليها علماء اللغة .

٣ - وفى الفقرة المدونة فى صدر هذا الحديث تتبع ابن منظور مشتقات المادة وتصريفاتها ، وأحسن جمعها وتنسيق الحديث عنها، وسجل من هذه الصور ، مما اختاره من مصادره : الفعل الثلاثى المجرد : حلاً ، والمزيد بالهمزة : أحلاً ، والأسماء والصفات :

(١) انظر : الشرتونى : أقرب الموارد ؛ اليسوعى : النجد ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط .

وانظر الدراسة التالية بعد لهذه المعاجم .

(٢) انظر فى هذا الكتاب : ص ٧١ .

الخلوء : « الذى يُحك بين حجرين ليكتحل به » ، و« الحالة : ضرب من الحيات تحلاً لمن تلسعه السم كما يحل الكحال الأرمم حكاكة فيكحله بها .. » .

والأمر كذلك فى سائر معانى المادة ، يجمع لها من الصور والمشتقات ما يستخدم لأدائها ، فالفعل: حَلَّأ تحلينا وتحلئة ، أورده فى موقعه المناسب لأداء معنى جديد: « حلاً الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده .. » والصيغ : التحلىء ، التحلئة ، المحلأة ، الحلاء - وردت فى مواضعها فى سياق شرح المعانى المختلفة للمادة .

٤ - وقد سبق القول إن ابن منظور قد يكرر صيغاً بعينها إذا أدت معانى جديدة ، مثل قوله : « التُّحلىء . : نقشر على وجه الأديم مما يلي الشعر .. » ، و « التحلىء ، بالكسر : ما أفسده السكين من الجلد إذا قشر .. والتحلئ والتحلئة : شعر وجه الأديم ووسخه وسواده » ومثل : « الخلوء : الذى يحك بين حجرين ليكتحل به ؛ وقيل الخلوء : حجر بعينه يستشفى من الرمم بحكاكته ، قال ابن السكيت : الخلوء : حجر يدلك عليه دواء ثم تكحل به العين » .

وكثير من المعاجم اللاحقة للسان العرب قميل إلى الاختصار وتضع رموزاً أو إشارات تغنى عن تكرار الألفاظ التى يراد شرحها (١) .

٥ - وليست تصرفات الأبنية ، ومشتقات المادة ، والصور المنبثقة منها ، وتفسير معانيها - هى الهدف الوحيد عند ابن منظور ؛ فكتابه فياض بشتى فروع العلم ، بين توضيح لقواعد التصريف ، والنحو ، وجوانب من تفسير القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وطرف من الأدب والتاريخ والسير ، يفيض فى جميع ذلك وغيره ، ويؤيد ما يورده بالأدلة المسندة إلى أصحابها ، مما يضمن على الكتاب من دواعى الإمتاع الذهني ألوان الترغيب المحبب ، والأمثلة على ذلك جميع ما فى الكتاب ، ومع ذلك نسوق لطائف قليلة مما يجده القارىء .

فى مادة : « حلاً » ، استشهد ابن منظور على ورود الفعل : « حلاً » بالتشديد

(١) انظر : أقرب الموارد ، والمنجد ، وانظر ماورد بشأنهما من دراسة تالية فى هذا الكتاب .

بمعنى طرد الإبل والماشية عن الماء أو حبسها عنه - بنصوص من الشعر ومن الأحاديث الشريفة . وذكر حديث سلمة بن الأكوع قال : « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلبتهم عنه بذى قرداً » . ويجد ابن منظور الفرصة ليعرج على شرح قاعدة صرفية ، فيقول : « هكذا جاء في الرواية غير مهموز ، فقلبت الهمزة باء ، وليس بالقياس ، لأن الياء لا تبدل من الهمزة إلا أن يكون ما قبلها مكسوراً نحو بير وإيلاف ، وقد شذ قريت في قرأت وليس بالكثير ، والأصل الهمز » .

وفي موضع آخر قال : « حكى أبو جعفر الرؤاسي : ما حلت منه بطائل : فهمز ويقال : حَلَّتْ السويق ؛ قال الفراء : همزوا ما ليس بهموز لأنه من الحَلْوَاء » . وذكر قاعدة الهمز في هذه المواضع استطراد مناسب ، وكان قد ذكرها في مبدأ باب الهمزة مع ما ذكره من أمور متصلة بها .

واستشهد لبعض معاني مادة « حَلَأَ » بالمثل : « حَلَّتْ حَالِثَةٌ عَنْ كَوْعِهَا » ، ووجد الفرصة كذلك لشرح المثل ، وأنه يضرب في حذر الإنسان على نفسه ومدافعتة عنها وقال : « إن حَلَأَهَا [أى المرأة] عن كَوْعِهَا إنما هو حَذَرُ الشَّفْرَةِ عَلَيْهِ لَاعِنَ الْجِلْدَ ، لأن المرأة الصناع ، ربما استعجلت فقشرت كَوْعِهَا » وأطال ابن منظور في شرح المثل ونقل آراء العلماء فيه ، وتحليلهم له واستشهادهم لهذا التحليل . وهذا كله عظيم النفع لمن يتعمق اللغة ولا يرضى منها باليسير ، ومن أجل ذلك كان « لسان العرب » معيناً لدارس اللغة مغنياً ، في كثير من الأحيان ، عن اللجوء إلى مصادر أخرى في هذا المجال .

٦ - عرضت المعاجم العربية ، فيما عرضت له ، لذكر أسماء الأعلام ، والبلدان والأماكن ، كما عرضت لذكر النبات ، والحيوان ، أحياناً ، مع بيان وإيضاح ، وأخرى مع افتقار إليه . ومصادر ابن منظور التي نقل عنها أمدته بزاد قيم في هذا الميدان ، ولا ينقص من قيمة ما سجله تطلع القارىء في العصر الحاضر إلى مزيد من التفاصيل ، فلديه الكتب التي خصصت لهذه الجوانب . يرجع إليها إن شاء (١) .

(١) تحاول بعض المعاجم الحديثة أن توجز الحديث عن أسماء الأماكن والنبات والحيوان مع اهتمام بعضها بتوضيح ما يقابلها من أسمائها في اللغات الأجنبية أو في لهجات البلاد العربية . انظر: أقرب الموارد للشرتونى .

ومن أمثلة ما ذكره من أسماء الأعلام ما جاء في مادة : ث ق ب ، قال : والمثقب بكسر القاف : لقب شاعر من عبدالقيس معروف ، سُمِّيَ به لقوله :
ظهرن بككّة وسدّ لن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون
واسمه عائذ بن محصن العبدى . والوصاوص جمع وصوص ، وهو ثقب فى السّتر وغيره على مقدار العين ينظر منه .

ويلاحظ أن التعريف بالعلم هنا جاء على طريقة ابن منظور ، فقد ذكر العلم ، وعلل للتسمية به ، وشرح ما استشده به ، مما يسمح للقارىء بفرصة طيبة لترويح الذهن .

وفى مادة : س ب ، يقول : « سبأ هى مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال ، ومن لم يصرفه فلأنه اسم مدينة ، ومن صرفه فلأنه اسم البلد ، فيكون مذكراً سُميَ به مذكراً . وفى الحديث ذكر سبأ . قال : هو اسم مدينة بلقيس باليمن .. » .
وفى هذه الفقرة تعرض لقاعدة نحوية أضافها إلى مناقشة طويلة حول لفظ : « سبأ » نقلها من حديث عن « سبأ » بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، إلى حديث عن « سبأ » مدينة بلقيس .

وفى مادة : ل ي ، قال « اللبأء : حبّ أبيض مثل الحمص شديد البياض يؤكل . قال أبو حنيفة : لأدرى أله قطنية أم لا ؟ » . ولم يعقب ابن منظور على رأى أبى حنيفة هذا ، ومعنى هذا أنه لم يجد مصدراً آخر يفيد فى تقديم مزيد من البيان حول هذا النبات .
وفى مادة يأياً ، قال : « البيؤىؤ : طائر : يشبه الباشق من الجوارح ، والجمع البيآيىء ، وجاء فى الشعر البيآيىء .. » وترك ابن منظور التعريف بالطائر إلى الاستشهاد على صيغة الجمع ومناقشتها ورأى العلماء فى أمثال هذه الصيغة ، وكان المقام يقضى باستيفاء التعريف بالطائر ولكنه لم يفعل . ولعل النصوص لم تساعد ابن منظور فى هذا المجال .

تقويم الكتاب :

تحدثت الصفحات السابقة عن فضل كتاب « لسان العرب » وعالجت بعض خصائصه التى تميز بها ، وفى خلال المناقشات ظهر دور ابن منظور فى تأليف هذا الكتاب واعتماده على مصادره يقبس منها ، وينسق بين نصوصها ، ويجيد التأليف بين

مواردها، ولم تصرفه منزلة العلماء الذين استفاد من كتبهم عن أن يبدى رأيه أحيانا أو يتطوع ببعض التفسيرات والإضافات، أو يخالف عن آراء من التزم مناهجهم مع وجاهتها. مثال ذلك: مسلكه في وضع مادة: وراء فقد وضعها في باب الهمزة وترك متابعة الجوهري الذي وضعها في باب الواو والياء. ومن صور مادة: وراء، لفظ: وراء، وهمزته أصلية عند سيبويه، وتصغيره وريته؛ ومنقلبة عن ياء عند الكوفيين، وتصغيره عندهم: وريّة. ويبدو أن الجوهري تبع الكوفيين، واختار ابن منظور رأى سيبويه.

وفي مادة: يأيا، وهن ابن بري نسبة بيت من الشعر لأبي نواس وقال: «ويمكن أن يكون هذا البيت لبعض العرب فادعاه أبو نواس». وعقب ابن منظور علي هذا بقوله: «مأعلم مستند الشيخ أبي محمد بن بري في قوله عن الحسن بن هانيء، في هذا البيت.. وهو وإن لم يكن استشهد بشعره، لا يخفى عن الشيخ أبي محمد، ولا غيره، مكانته من العلم والنظم، ولولم يكن له من البديع الغريب، الحسن العجيب إلا أرجوزته التي هي:

ويلدة فيها زور

لكان في ذلك أدل دليل على نبهه وفضله ... » .

ولأمر ما لم يبالغ ابن منظور في اختيار بعض ما استمده لكتابه. مثال ذلك ماجاء في مادة: هجا: فقد نقل عن مجد الدين بن الأثير نصا يحتاج إلى شيء من التأمل قال: «... قال ابن الأثير: وفي الحديث: اللهم إن عمرو بن العاص هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر، فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني قال: وهذا كقوله: من يراني يراني الله به، أي يجازيه على مرأته» وليس من اليسير قبول هذا النص دون التحري الدقيق الذي تطمئن إليه النفس.

وبعد، فليس هناك من يفض من قيمة هذا الكتاب أو يجحد فضله، فقد استغنى بما فيه، كما يقول مؤلفه، وبقي - كما أمل - مقصد الدارسين ومناطق تقديرهم. وأخرجته مطبعة بولاق للمرة الأولى بمصر سنة ١٣٥٠ هجرية، ونشرته أخيرا دار صادر بيروت، ودار بيروت سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م.

الفيروز ابادى :

من حق القارىء العربى أن يلم بطرف من حياة شخصية فذة ، أسهمت إسهاما بالغيا منتجا فى الدراسات العربية، وخلقت كنوزاً ضخمة، كان من بينها «القاموس المحيط» .
وأبو طاهر مجد الدين الفيروز ابادى محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازى صاحب هذا المعجم المشهور ، ولد بكارزين قرب شيراز ، يوم السبت لعشرين من جمادى الأولى ، من سنة تسع وعشرين وسبعمائة (١) ، بعد أن فقدت الأمة العربية عالماً لغوياً كبيراً ، وهو ابن منظور المصرى (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب لسان العرب ، بثمانية عشر عاماً ، وكان فى ذلك إيماء لدارسى العربية ، بأنه لن تخلو الأرض من عاكف على تراثها ، محى لمجدها .

وكان الميدان الثقافى العربى الفسيح، المنهل العذب الذى اغترف منه الفيروز ابادى، وفيه أنتج، فاعتنى بعلوم الحديث، والتفسير، واللغة، وبرع فيها، وصنف فيها مؤلفات نالت أعظم التقدير فى حياته، كما زاد تقديرها لدى المنصفين بعد وفاته. ومن بينها فى الميدان اللغوى: الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألف، والجلس الأتيس فى أسماء الخندريس (٢)، ألفه لخزانة السلطان الأشرف شعبان (ت ٧٧٨ هـ)، وتجميع الموشين

(١) تفقه بهلاده، ودخل الشام وسمع من أساتذتها، ثم انتقل إلى القاهرة، وزار بلاد الروم فأكرمه ملكها بايزيد خان بن عثمان. وحصل منه ومن تمرلك دنيا طائلة، ثم دخل الهند فتلقاه ملكها الأشرف إسماعيل بالقبول وتزوج ابنته. وكان الفيروز ابادى يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائة سطر، وكان لا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب، يخرج أكثرها فى كل منزلة وينظر فيها ويعيدها إذا رحل ، وكان إذا أملق باعها. ذكر له السيوطى واحداً وعشرين مؤلفاً.

انظر: بغية الوعاة : ٢٧٣/١؛ والضوء اللامع: ٨٦/١٠

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

فيما يقال بالسین والشین^(١)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة^(٢)، والمثلث المتفق المعنى^(٣)، والإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات، وهذا الكتاب الذائع الصيت: «القاموس المحيط»، موضوع هذا الحديث.

ويبدو من ترجمة الفيروز ابادي نفسه، أنه عنى أعظم العناية بالجانب اللغوي، وأنه حصل منه قدراً كبيراً، كاد أن يسمح بوضع كتاب لغوي ضخم قدر له الفيروز ابادي نحو ستين سرفراً^(٤)، واختار له اسم: اللامع المعلم المجاب، الجامع بين المحكم والعباب. وكان سبب تأليفه أنه التمس برهنة من الدهر كتاباً جامعاً بسيطاً، ومصنفاً على النُصَح والشوارد محيطاً، ورأى أن يفيد من كتاب «المحكم» الذي وضعه ابن سيده^(٥)، و«العباب» الذي ألفه الصفاني^(٦)، فهما في رأيه «غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب، وثيراً براقع^(٧) الفضل والآداب». غير أنه رأى بالتجربة، وبعد أن أتم خمس مجلدات من المعجم، أن يعدل عن إتمامه، رغبة في وضع آخر مختصر يفي بحاجات الدارسين، فكان هذا الكتاب: «القاموس المحيط»^(٨).

وانتسب الفيروز ابادي في معجمه بعالم لغوي سبقه، ولم ينكر فضله، هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) صاحب «تاج اللغة وصحاح العربية»، وإن كان لم يسلمه من نقده اللاذع، الذي أوجزه بقوله: إنه «فاته نصف اللغة أو أكثرها،

(١) منه نسخة بالمتحف البريطاني.

(٢) منه نسخة في برلين.

(٣) منه نسخة في الخزانة التيمورية، بنار الكتب المصرية.

(٤) ونقل غير واحد عن خط الفيروز ابادي نفسه، أنه كتب على ظهر كتابه: أنه لو قدر له تمامه لكان في مائة مجلدة. كتبه نصر الهورثي نقلاً عن المناوي، ومرتضى الحسيني. انظر شرح ديباجة القاموس، ص: ١٤، ط. المكتبة التجارية بالقاهرة.

(٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ).

(٦) رضى الدين الحسن بن محمد بن حيدر، العدوي، العمري، الصفاني (ت ٦٥٠ هـ).

(٧) جمع براقع: اسم للسما، السابعة، أو الرابعة، أو الأولى.

(٨) القاموس: البحر، أو أهد موضع فيه غوراً. (القاموس المحيط، مادة: قوس). وقد أورد

الفيروز ابادي هذه التسمية في مقدمة معجمه، وزاد عليها في ختامه قوله: «.. والقاموس الوسيط».

إما بإهمال المادة، أو بترك المعانى العربية النادرة»، ومن ثم عكف الفيروز ابادى على المعجمين : المحكم ، والعياب ، وغيرهما من كتب اللغة كجمهرة ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) ، وتهذيب الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ، ونهاية ابن الأثير (ت ٦٠٩ هـ) ، وحواشى ابن برى (٤٩٩ - ٥٧٦ هـ) ، واستطاع أن يضيف عشرين ألف مادة، فوق أربعين ألفا سبقه بها صاحب الصحاح^(١).

نهج القاموس المحيط ، وخصائصه :

والمنهج الذى ارتضاه الفيروز ابادى لمعجمه ، هو نفس ما ارتضاه الجوهري لصاحبه، وكان نموذجا احتذاء كثير من اللغويين غيرها.

ويمكن ، بالرجوع إلى القاموس المحيط ، وإلى ما ذكره مصنفه فى ديباجته ، وما لاحظته شراح القاموس وناقده ، أن يشار إلى نقاط هامة ، تقتصر منها على ما يلى :

١ - قسم الفيروز ابادى كتابه إلى سبعة وعشرين بابا ، بعدد الحروف الهجائية ، بإدماج بابى الواو والياء فى باب واحد ، وباعتبار الحرف الأخير من المادة الأصلية . ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا ، وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، ورتب مواد كل فصل حسب الحرف الثانى إن كانت المادة ثلاثية ، فالثالث ، فالرابع ، إن كانت المادة رباعية أو خماسية . وجعل الباب الثامن والعشرين للمواد المنتهية بالألف اللينة غير المنقلبة عن أصل ، كما صنع الجوهري . مثال ذلك المواد الآتية من فصل الباء من باب العين :

بمع / بلتع / بلخع / بلع / بلقع / بلقع / بلقع / بلقع / باع (واوية العين) / باع (ياوية العين) . وليس من الحتم استيفاء كل باب فصوله الثمانية والعشرين ؛ فإن بعض الأبواب سقط منه عشرة فصول ، وهو باب الظاء ، وبعضها سقط منه سبعة ، وهو باب الصاد ، وباب الضاد ، وبعضها سقط منه خمسة ، وهو أبواب : الحاء المهملة ، والذال والغين المعجمتين . ولا يفهم كذلك أن الفصول الساقطة مفقودة من اللغة ، فقد توجد فى غير القاموس المحيط من المعاجم .

ويلاحظ أن باب الألف اللينة لم يخصص بما ينتهى بالألف غير المهموزة أو المنقلبة عن أصل ، وإنما ضم مواد أخرى ، مثل : الهمزة ، الباء ، والتاء ، والفاء ، ذو (بمعنى

(١) يضم لسان العرب لابن منظور ثمانين ألف مادة ، ويلاحظ أن الفيروز ابادى لم يشر إليه .

صاحب) ، لو ، الواو ، الياء . وبعض هذه المواد كان يمكن أن يصدر بها الحديث عن أبوابها ، وبعض آخر منها كان يمكن أن يدرج في موضعه من مواد أبواب نهاياتها .

٢ - ويلاحظ كذلك أن أصول المادة هي المرعية في التبريد ، وفي ترتيب مواد كل باب : فكلمة تخمة ، يبحث عنها في : وخ م ؛ واتقى ، في : وق ي ؛ واستجار ، في : ج و ر ؛ وساء ، في : س م و ؛ وهبة ، في : و ه ب ؛ وثبة ، في : و ث ب ؛ وظبة ، في : ظ ب و ؛ ورثة في : رأى .

وفي الفصول : قدم فصل الواو على فصل الهاء ، وجعل الهاء بين الواو والياء . مثال ذلك : مرهم / نرمان^(١) / ورم / هرم / يارم^(٢) (بفتح الراء). وكلها مع باب الميم . وكذلك يصنع في ترتيب مواد كل فصل ، مثل : النم / النوم / النهم / النيم^(٣) (بكسر النون) . وكلها في فصل النون من باب الميم .

٣ - لم يلتزم الفيروزابادي رسماً معيناً للمادة عند وضعها في صدر حديثه عنها؛ فتارة يضعها في صورة الفعل عارياً من أي لاحقة ، أو يصل به ضمير المفعول به أو المكملات الظاهرة ، أو يضعه في جملة غاية الإيجاز مثل : (سَجَم) الدمعُ سجوماً وسجماً .. ؛ و(زَمَد) فأنزم : شده .. ؛ و(سَم) الشيءَ كفرح ..

وقد يضع المادة في صورة المصدر ، مثل : (الرؤية) : النظر بالعين وبالقلب .. ؛ و(اللطم) : ضرب الخد وشفحة الجسد بالكف .. ؛ و(اللكم) : الضرب باليد مجموعة..؛ و(القنوت) : الطاعة والسكوت والدعاء .

وقد يضعها في صورة اسم الذات ، مثل : (القوم) : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو تدخله النساء علي تبعية .. ؛ و(الصُّهريج) ، كقنديل : حوض يجتمع فيه الماء .. ؛ و(الصَّلْت) : الجبين الواضح ..

والمعاجم الحديثة تلتزم رسماً معيناً تصدر به جميع المواد التي يراد شرحها ، ثم تعود إليه بالشرح والتفريع وبيان وجوه الاشتقاق .

٤ - ومن ثم لا يسير الفيروزابادي في شرح المادة على وتيرة واحدة ، ولكنه على أي حال ، يحاول أن يتعقبها ويتعقب مشتقاتها بالضبط والشرح والتفسير ، كما سيتضح

(١) اسم علم : (القاموس المحيط) . (٢) بلد بأصبهان . (القاموس المحيط) .

(٣) النعمة التامة . (القاموس المحيط) .

فى تحليل المادة الواردة بعد قليل . وهو لا يبالغ فى الشرح والتفسير ، بل يلتزم السبيل التى اختطها ، من «حسن الاختصار ، وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وإيراد المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة» . وقد امتدح المحافظ بن حجر هذه السبيل فى القاموس المحيط ، فقال : «إنه لا مزيد عليه فى حسن الاختصار وجموم الكلمات اللغوية» .

٥ - وعنى الفيروزابادى بالتنبيه إلى المواد الواوية والبيائية الآخر ، بأن رسم حرفى : الواو (و) ، والياء (ى) عند ذكرها : فى مادة : رسا ، يقول : «و(رسا) رَسُوًّا ورُسُوًّا ..» : وفى : رأى ، يقول : «ى (الرؤية) : النظر بالعين وبالقلب ..» وإذا وردت المادة الواحدة بالواو ، وبالياء نبه عليها كذلك ، مثل : «و (الرحا) م مؤنثة ، وهما رحوان .. ورحت الحية : استدارت كترحت . ى ك(رحيتها) نادرة فيهما ، وهما رحيان ...» . وبعض اللغويين لا يكتفى برسم حرفى الواو والياء ، وإنما ينص كتابةً على الواوى والبيائى خوفاً من اختلاط الأمر على النساخ . ويبدو أن الفيروزابادى اكتفى برسم الحرفين رغبة فى الاختصار الذى جعله سمة لكتابه .

٦ - ومن مظاهر الاختصار كذلك أنه اختار رموزاً تغنى عن تكرار كلمات كثيرة الترداد ، وهى : ع : بمعنى : موضع ، د : بمعنى : بلد ، ة : بمعنى : قرية ، ج : بمعنى جمع : جمع : بمعنى : جمع الجمع ، م : بمعنى : معروف .

٧ - ومن منهجه فى الاختصار أنه إذا ذكر صيغة المذكر فى الاسم أو الوصف ، وأتبعه المؤنث ، اكتفى بقوله : وهى بهاء ، ولا يعيد الصيغة ، وقد يعدل عن هذا النهج ، مثل قوله : الأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه وفى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر ، وهى عصماء ؛ ومثل : العم : أخو الأب ، وهى عمه .

٨ - اختار الفيروزابادى طريقة لضبط الفعل ، والاسم .

(أ) فإذا ذكر المصدر مطلقاً ، أو ذكر الفعل الماضى وحده مجرداً من الضبط ، كان الفعل على مثال : كتب ، ما لم يوجد مانع عما سيشار إليه بعد ، مثل : نقله : حوله فانتقل ؛ ودهن : نافق ، ورأسه وغيره دهنا ودهنة : بله . ومعنى هذا أن المضارع مضموم العين كمضارع كتب ، ولا يلزم أنه يماثله فى وزن المصدر .

ومن الموانع المشار إليها فى الفقرة السابقة ، أن يكون الفعل حلقى العين ، أو اللام ، فإن الأشهر فى مضارعه أن يكون مفتوح العين ، مثل : فتح يفتح ، وذهب يذهب .

أو يكون الفعل الحلقى اللام معتل العين ، مثل جاع يجوع ، وباع يبيع ، فإن القياس إعلال العين .

(ب) وإذا ذكر الفعل الماضي مقيداً ، كان كما ذكره . مثل : قفل كنصر وضرب ؛ وفهمه كفرح فهما ؛ وفعم الساعد والإناء ككرم فعامة وفعمومة : امتلاً ؛ ونكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا .

(ج) وإذا ذكر المضارع مع الماضي دون تقييد ، كان على وزن ضرب يضرب ، مثل : حذمه يحذمه ؛ قطعه ؛ وقصله يقصله ؛ قطعه ، كاقصله .

(د) وفي الأسماء ينص الفيروزابادي على ضبط غير المشهور أو الذي تضبطه قواعد معروفة ، مثال ذلك : العصمة بالكسر : المنع ، والقلادة ، ويضم . ومعنى ذلك كسر الحرف الأول أو ضمه مع تسكين الثاني ؛ والحرم بالكسر : الحرام .

فإن قال : محرقة أو بالتحريك ، كان المراد فتح أوله وثانيه ، مثل النهل محرقة ؛ أول الشرب ؛ والوجل محرقة ؛ الخوف .

وقد يقول : مثلثة أو بالتثليث ، ويقصد به في الأسماء أن أولها يجوز فيه الفتح والكسر والضم ، مثل : المهلة مثلثة ؛ والقذوة مثلثة ، وكعدة : ماتسننت به واقتديت به . وفي الأفعال يقصد أن عينها يجوز فيها ذلك ، مثل : محل به ، مثلثة الحاء محلا ومحالا ؛ كاده بسعاية إلى السلطان .

وإذا ذكر الأسماء مجردة عن الضبط ، كان مقصده أنها بفتح أولها ، «إلا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين» ، مثل : النُّصل ، والنُّصلانُ : حديدة السهم والرمح والسيف ، ما لم يكن له مقبض ، (بالفتح فيهما) ؛ والنسل : الخلق والولد ، كالنسيلة ؛ والرَّزن : المكان المرتفع وفيه طمانينة تمسك الماء .

ومما اشتهر بغير الفتح : النُّجارة ، والزُّراعة ، وزرنيخ ، وإبريق ، والحجاز ، والخنصر ، وكلها بكسر أولها . وأحدوثة وأكذوبة وأحجية ، وأحثة ، والكناسة ، والثريا ، وهي بضم الأول .

٩ - ويلاحظ قارىء القاموس أنه إذا ذكر موازين الاسم أو الفعل قدم المشهور

الفصيح في الغالب ثم أتبعه اللغات الزائدة إن كان في الكلمة لغتان أو أكثر . مثال ذلك: العَلَّ والعلل ، محرّكة : الشَّرْبَةُ الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا . عَلَّ يَعْلُ ، وَعَلَّهُ يَعْلُهُ عَلَا . وَعَلَّوْا ، وَأَعْلَهُ ، وَأَعْلُوا : عَلَّتْ إِبِلُهُمْ .

وكذلك إذا ذكر المصادر ، قدم المقيس أولا ثم ذكر غيره في الغالب ، مثل : عال فلان عولا وعيالة : كثر عياله كأعول وأعيل ، وعياله عولا وعئولا ، وعيالة : كفاهم ومائهم ، كأعالهم وعيئهم . ومثل : عَضَلُ المرأة يَعْضُلُها مثلثة ، عَضَلًا وَعِضْلًا وَعِضْلَانًا ، بكسرهما ، وعَضَلُها : منعها الزواج ظلما ..

وفي الصفات ، يقدم المقيسة أولا ، ثم يتبعها غيرها من المبالغة أو غيرها ، ويعقبها بذكر مؤنثها بتلك الأوزان أو غيرها ، وقد يفصل بينهما فيذكر أولا صفات المذكر ويتبعها جموعها ، مثل : سيف قاصل ومِقْصَلٌ كمنبر وشَدَادٌ : قَطَّاعٌ ؛ ومثل : كحل العين كمنع ونصر فهي مكحولة وكحيل وكحيلة وكحل من أعين كحلى وكحائل ، وكحل كفرح فهو أَكْحَلٌ ؛ ومثل : الكافل : العائل ج كركع ، والضامن كالكفيل ج كُفِّلٌ وكُفِّلًا ، وكفيل أيضا .

وكذلك عند تصديبه لذكر الجموع ، «يقدم المقيس منها ، ثم يذكر غيره في الغالب ، وقد يهمل المقيس أحيانا اعتمادا على الشهرة» .

ومثال ذلك : كسل وكسلان ج كسالى مثلثة الكاف وكسالى بكسر اللام وكسلى كقتلى وهي كسلة وكسلانة . والقفل بالضم : الحديد الذي يغلق به الباب ج أقفال وأقفل وققول .

ويستثنى الفيروزابادي من قاعدته في ذكر الجموع : ما جاء من جمع فاعل المعتل العين على فعلة ، كبيعة وسادة ، فإنه لا يذكره لاطراده ، إلا أن يصح موضع العين منه ، كجولة جمع جائل ، وخوكة جمع خائل .

١٠ - وقد يذكر الفيروزابادي الكلمة في أكثر من موضع لاختلاف اللغات فيها ، مثل : السراط والصراط ؛ والقسطل ، بمعنى الفبار ، والكسطل والكسطالة ؛ والزدق بالكسر لغة في الصدق .

١١ - لا يلتزم الفيزوزابادى البدء بذكر المادة مجردة من الزوائد ، بل قد يبدأ بالمزيد مع ورود المجرّد ، مثل : أشقن : قل ماله ، والعطيّة : قل لها ، فشقنت ككرم : قلت ، وشىء شقن بالفتح وككتف ، وأمير : قليل ، ومثل : أذعن له : خضع وذل وأقر وأسرع فى الطاعة وانقاد ، كذعن (بكسر العين) ؛ ومثل : الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . أجن ، كضرب ونصر وفرح ، أجنّا وأجنّا وأجونّا ؛ ومثل : الأغشم : الشعر غلب بياضه سواده .. ؛ وغشم له غشماً : دفع له دفعة من المال جيدة .

١٢ - ويعرف الفيزوزابادى بالأعلام ، والأماكن والمدن ، فى إيجاز ؛ فى مادة : ح ر ث ، يقول «وينو حارثة قبيلة ، والحارثيون منهم كثيرون . وذو حرث ، كزفر : ابن حجر أو ابن الحرث الرعيني ، جاهلى ، وكأمير : محمد بن أحمد بن حرث البخارى المحدث ... » . وفى مادة : ت و ث ، يقول : «وّة بمر ، ومنها بحر بن عبد الله بن بحر التوثى الأديب ، وّة بإسفرين وأخرى ببوشنج» . ويقول فى : رها : «الرّها ، كهدى : د منه زيد بن أبى أنيسة ويزيد بن سنان ، والحافظ عبد القادر الرهاويون» . ويقول فى : رى : «الرى : د م ، والنسبة رارى» ؛ و«منيمون : كورة بمصر^(١)» . ويستطاع الرجوع إلى معاجم البلدان وكتب الطبقات لاستيفاء ما يحتاج إلى مزيد من التعرف عليه ، وإن كانت المعاجم الحديثة تتحدث فى مثل هذا المجال بوفاء أكثر .

١٣ - ويذكر النبات والحيوان مع شىء من التعريف بهما ، وكثيراً ما يعنى بالحديث عن منافعها الطبية فى دقة ملحوظة . مثال ذلك ما ذكره فى مادة : م ق ل : قال : «المقل ، بالضم : صغ شجرة ، ومنه هندی وعربى وصقلى ، والكل نافع للسعال ونهش الهوامّ والبواسير وتنقية الرحم وتسهيل الولادة وإنزال المشيمة وحصاة الكلية والرياح الغليظة ، مدرّ مسمن محلل للأورام . والمقل المكى : ثمر شجر الدوم ، ينضج ويؤكل ، خشن قابض بارد مقو للمعدة » ؛ ومثل : الخلزون ، محرّكة ؛ دويبة رميثة^(٢) ، لمعها

(١) ذكرها فى مادة : ن ي م .

(٢) تأكل الرمث ، وهو شجر القضى .

جيد للمعدة وجراحة الكلب الكلب، وتحليل الورم الجاسى^(١) ، وإبراء القروح . ومحروق صدّقه يجلو الجرب والبهق والأسنان ، والتضمد به يجذب السُّلأ^(٢) من باطن اللحم ، ومخلوطاً بالخلّ يقطع الرُعاف .

ولكن هذا التعريف الموجز البالغ الضآلة بالحيوان والنبات ، لا يغنى ، وخاصة أن المعاجم اللغوية لا توضع لعصر كاتبها ، وإنما توضع للأجيال جميعاً ، بل إن المعاصرين أنفسهم ينبغي ألا يحسن الظن بمدى معرفتهم ، وإلا عدت جدوى جهود الباحثين فى كل فن .

١٤ - وكان اهتمام الفيروزابادى بصحاح الجوهري مدعاة لأن يسجل ملحوظاته عليه أحياناً فى نقد لاذع ، بأن ينسب الخطأ إلى الجوهري أو يضيف إليه وصف «الوهم» مع تقديره له . واعترافه بإقبال الناس والدارسين على صحاحه ، وهو جدير بهذا الإقبال . ومن عبارته فى هذا التقدير : «ثم إنى نبهت على أشياء ركب فيها الجوهري (رحمه الله) خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ولا قاصد بذلك تنديداً له وإزراء عليه وغضاً منه، بل استيضاحاً للصواب ، واسترباحاً للشواب ، وتحزراً وحذاراً من أن يُنمى إلى التصحيف أو يُعزى إلى الغلط والتحريف .»

والتصويبات التى أشار إليها الفيروزابادى كثيرة فى قاموسه ، بعضها يرجع إلى الضبط ، أو تحديد معانى المادة ، أو يتعلق بينيتها ، وغير ذلك من وجوه التصويبات . مثال ذلك: ما ذكره فى مادة : ف ل ج ، قال: «الفلج بالتحريك : تباعد ما بين القدمين، وتباعد ما بين الأسنان ، وهو أفلج الأسنان لايد من ذكر الأسنان ، والنهر الصغير . وغلط الجوهري فى تسكين لامه» . وفى مادة : س م و ، يقول : «وسماوة كل شيء شخصه ، و ع بين الكوفة والشام ، وليست من العواصم . ووهم الجوهري .» ويقول فى: م ر ه م : «المرهم : دواء مركب للجراحات ، وذكر الجوهري له فى رهم ، وهم ، والميم أصلية لقولهم : مرهمت الجرح ، ولو كانت زائدة لقالوا : رهمت .»

(١) الصلب .

(٢) الشوك .

ومن الواجب فى مثل هذه التصويبات الرجوع إلى المصادر اللغوية الأخرى ، وخاصة تلك التى تستند آراءها بنصوص قديمة ، وكذلك الاستفادة بالبحوث التى تصل اللغة العربية بأخواتها الساميات ، وباللغات التى استمدت منها العربية مفرداتها دون أن ترشد إلى وجه الحق فى هذه التوهيمات .

١٥ - وفخر الفيروزابادى بهذه التصويبات ، كما فخر بما زاده على صحاح الجوهري، الذى « فاته نصف اللغة أو أكثر » ، كما يقول : ومن أمثلة ما زاده الفيروزابادى مادة : د ع ن ، قال : «الدَّعْن : سَعَف يضم بعضه إلى بعض، ويرمل بالشريط ويبسط عليه التمر ، وككتف : السبيء الخلق والغذاء ، كالمَدْعَن كَمَكْرَم .. » ؛ و«الهرطمان بالضم : حب متوسط بين الشعير والخنطة ، نافع للإسهال والسعال .. » ؛ و الإفرنجية : جيل ، معرَّبُ إفرنك ، والقياس كسر الراء .. »

وقد أحصى شراح القاموس ما زاده الفيروزابادى على ما سجله الجوهري فى صحاحه، فبلغ عشرين ألف مادة ، وهذا يعدل نصف عدد ما سجله الجوهري من مواد ، وهو جهد لاشك فى قيمته .

١٦ - وكى يستطيع قارىء القاموس أن يميز بين مواد الصحاح وزيادات القاموس رأى الفيروزابادى أن يكتب هذه المواد الزيدة بالمداد الأحمر فيظهر للناظر بادية ذى بدء فضل كتابه ، وتتضح المزية بالتوجه إليه .

غير أن الكتابة بالمداد الأحمر تلقى بعض الصعوبات فى المطبعة الحديثة ، ومن ثم عدل الناشر إلى مصطلح جديد يبنى بهدف صاحب القاموس .

١٧ - والمصطلح الذى لجأ إليه الناشر للتفرقة بين مواد الصحاح ومواد القاموس الزيدة بين فيما يلى :

(أ) وضعت المواد المدونة فى صحاح الجوهري ، والمشاركة فيه وفى القاموس المحيط ، بين قوسين (....) .

(ب) ووضع فوق المواد التى زادها الفيروزابادى على الصحاح خط ممتد ، مثل : «الرَّعْشَن كجعفر ، والنون زائدة : الجبان ، ومن الظلمان والجمال : السريع ، وهى بهاء ،

وفرس لمراد ، والرعشنة : ماء لبني عمرو بن قريظ من بني بكر بن كلاب ، سميت برعشن ملكٍ لحميرٍ كان به ارتعاش .

١٨ - ويضاف إلى المصطلح السابق ، مصطلحان آخران ، يراهما قارىء القاموس المحيط فى المطبوعات الحاضرة ، هما :

(أ) (ثج - ثج) : حرفا ج ، فوقهما ثلاث نقاط ، يوضع بينهما ما وجدته المتصدون لتحقيق ونشر القاموس المحيط ، مضيئاً عليه (X) فى النسخة المخطوطة المقرورة على المؤلف ، وحرصوا على الإبقاء عليه . مثال ذلك : (الرمان) م ، الواحدة بهاء ، ثج وحلوه ملين للطبيعة والسعال ، وحامضه بالعكس ، ومزه نافع لالتهاب المعدة ووجع الفؤاد ثج ، وللرمان ستة طعوم كما للتفاح ... » .

(ب) (ط - ط) : حرفا ط ، وضع الناشران بينهما ما وجدوه فى النسخة المقرورة على المؤلف مشطوباً عليه . مثال ذلك : « (العين) : الباصرة مؤنثة ج أعيان وأعين وعيون ، ويكسر ، جج أعينات ، وأهل البلد ، ويحرك ، وأهل الدار ، والإصابة بالعين ، ط والإصابة فى العين ط ، والإنسان ، ومنه : ما بها عين : أى أحد .. » .

ومن المأمول عند إعادة نشر القاموس ، أن ينظر بعين الاهتمام إلى الاستفادة بعلامات الترقيم الحديثة ، فالكتاب فى مسيس الحاجة إلى تنظيم يعم به النفع .

١٩ - وتختتم هذه الملاحظات بالإشارة إلى ما توخاه صاحب القاموس حين «التمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً» فأعياه الطلاب ، وعمد إلى أمهات الكتب اللغوية يقبس منها ويجمع مادته حسب النهج الذى رسمه لكتابه ، ولعل المجلدات الخمس التى وضعها لمشروع كتابه : «اللامع المعلم العُجاب ، الجامع بين المحكم والعُباب» أظهرت له بعده بعض الشئ عن هدف أساسى من أهداف كتابه ، هو أن يكون فى موضع المنافسة لصحاح الجوهري لدى المدرسين ، ولعله كذلك كان جامعاً للأمثلة والشواهد والنصوص الموضحة ، مما جعله يخمن حجمه المرتقب فى ستين سفاً ، أو كما قال هو على ظهر مجلدة اللامع المعلم العُجاب ، فى مائة مجلدة ، فعدل نهجه ، وقوم سبيله ، ولخصه إلى نحو ثلث حجمه ، وضمنه خلاصة ما فى العُباب والمحكم ،

وأضاف إليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم ، فكان كتابه الجديد : «القاموس المحيط» كتاباً وافياً موجزاً ، «محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معرباً عن الفصح والشوارد» ، تاركاً ذكر الأسانيد وأسماء الرواة والنصوص إلا في النادر القليل . وهي ميزات في هذا الكتاب ضمنت له ذبوع الصيت، وبعد الذكر، وعموم الإفادة، وتلقفته، وما زالت ، أيدي الدارسين بكل تقدير وإعزاز .

تحليل مادة : ح م د :

جاء في القاموس المحيط :

(الحمد) : الشكر والرضا والجزاء وقضاء الحق ، حَمَدَهُ كَسَمِعَهُ حَمْدًا وَمَحْمَدًا وَمَحْمَدًا وَمَحْمَدَةً وَمَحْمَدَةً ، فهو حَمُودٌ وحَمِيدٌ ، وهي حَمِيدَةٌ . وأحمدٌ : صار أمره إلى الحمد ، أو فعل ما يحمد عليه ، والأرض : صادفها حميدةٌ كحمدها ، وفلاتاً : رضى فعله ومذهبه ولم ينشره للناس ، وأمره : صار عنده محموداً . ورجلٌ حَمَدَ وامرأةٌ حَمَدَةٌ : محمودة . والتحميد : حمد الله مرة بعد مرة ، وإنه لحماد لله عز وجل ، ومنه : محمد ، كأنه حمد مرة بعد مرة ، وأحمد إليك الله : أشكره ، وحماد له ، كقطام : أي حمداً وشكراً .. ويحمد ، كيمنع ويعلم أتى أعلم : أبو قبيلة ، ج أليحامد . وحمدة النار ، محرقة : صوت التهابها .

المحمدية بنواحي بغداد ود بيرة من ناحية الإسكندرية و ، وكفرح : غضب . والعود أحمد : أي أكثر حمداً ، لأنك لا تعود إلى الشيء غالباً إلا بعد خبرته ، أو معناه أنه إذا ابتداء المعروف جلب الحمد لنفسه فإذا عاد كان أحمد أي أكسب للحمد له ، أو هو أفعل من المفعول ، أي الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمده ، قاله خدّاش بن حابس في الرّباب لما خطبها فرده أبواها ، فأضرب عنها زماناً . ثم أقبل حتى انتهى إلى حلتهم متغنياً بأبيات منها :

ألا ليت شعري يا ربّ متى أرى لنا منك نُجْحاً أو شفاءً فأشتفى

فسمعت وحفظت ، وبعثت إليه : أن قد عرفت حاجتك ، فاغد خاطباً ..

التحليل:

وبقراءة هذا المقتبس من مادة : ح م د ، نرى ما يلي :

١ - وردت المادة السابقة في فصل الحاء من باب الدال . وقد وضعها ناشر القاموس بين قوسين ، إشارة إلى ورودها في صحاح الجوهري ، وتمييزاً لها عن المواد التي زادها الفيروزابادي ، فقد وضع الناشر فوقها خطاً ممتداً ، تجنباً لكتابتها بالمداد الأحمر الذي كتب به الفيروزابادي مواده المزبلة . ولعل إعادة نشر القاموس المحيط نشراً حديثاً يفيد فيه من استخدام إشارات الترقيم ، يزيل هذه الصعوبة التي وجدها الفيروزابادي ، كما يسهل للقارئ المعاصر الاستفادة من القاموس في صورة أفضل .

٢ - وقد بدأ الفيروزابادي بصيغة المصدر : الحمد ، وذكر معانيه ، ثم ذكر في موضع آخر صيغاً أخرى للمصدر : حمداً ، ومَحْمَداً ، وَمَحْمَداً ، وَمَحْمَداً ، وَمَحْمَداً . وليس من دأب الفيروزابادي البدء بالمصدر ، فقد يبدأ بالفعل ، أو بأسم الذات . والمعاجم الحديثة تتخذ سبيلاً واحدة عند وضع المادة في صدر الحديث .

٣ - وذكر الفعل الماضي : حمده ، كسمعه . ويلاحظ أنه ألحق به الضمير ليفيد أنه متعد إلى المفعول به ، وقد ذكر في موضع آخر صيغة اللازم منه ، قال : « أَحْمَدَ : صار أمره إلى الحمد ، أو فعل ما يحمد عليه » . ولم يسر القاموس على نهج واحد في هذا الموقف ، فقد عاد مرة أخرى إلى ذكر الفعل متعدياً ، قال : « وأحمد إليك الله » . أشكره ، ثم لازماً « وكفرح : غضب » . وذكر الفعل مضبوطاً بقياسه على فعل آخر مشهور . وقد سبق بيان الطريقة التي اتبعها الفيروزابادي في ضبط الفعل والاسم .

وكذلك ذكر الفعل أول ما ذكره ، مجرداً : حمد ، ثم ذكره مزيداً : أحمد ، ثم عاد إلى ذكره مجرداً . والمعاجم الحديثة تبدأ بذكر الفعل مجرداً ، ثم مزيداً ، مع تنظيم ذكر صيغ الزيادة .

وليس الشأن دائماً عند الفيروزابادي أن يبدأ بذكر المجرد ، فكثيراً ما يبدأ بالمزيد ثم يعقبه بذكر مجردة .

٤ - ذكر الوصف : فهو حمود وحميد ، وهي حميدة ، ويلاحظ أنه نص على المؤنث

من الوصف ، ليفيد وروده ؛ فمن المعروف أن صيغة فَعول وفعيل في الأوصاف ، يستوي فيها المذكر والمؤنث . ثم عاد بعد فترة إلى استكمال صيغ الوصف : «وإنه لحماد لله عز وجل» . وقد جرت عادة الفيروزابادي أن يبدأ بالقياسي ، أو المشهور ، عند ذكر النصار والأوصاف ، ويتبعه سائر الصيغ .

٤ - ذكر الجمع ، ورمز له بالحرف : ج : «ويحمد ، كيمنع ويُعلم آتى : أعلم (أى على وزن مضارع الفعل : أعلم) : أبو قبيلة ، ج اليحامد» . ويلاحظ أن العلم جاء في صورة الفعل المضارع: يحمد ولم يبالغ الفيروزابادي في التعريف بالعلم ، بل اكتفى بقوله: أبو قبيلة . والمعاجم الحديثة تقدم لمحات أكثر تعريفاً بالأعلام ، وبالنبات ، والحيوان ، والأماكن ، لاتخرجها عن الحدود المرسومة لوظيفة المعجم اللغوي .

٦ - ورمز كذلك بالرمز : ة ، لمعنى : «قرية» ، وبالرمز : د ، لبلد . قال : «والمحمدية ة بنواحي بغداد ، ود بيرقة من ناحية الإسكندرية» . وهناك رموز أخرى يراها قارىء القاموس المحيط ، وقد سبق الحديث عنها في هذا البحث .

٧ - ومن القليل النادر الاستشهاد بالنصوص الأدبية ، كما صنع في هذه المادة .

تقدير القاموس المحيط :

لعل من نافلة القول أن يُتناول كتاب «القاموس المحيط» بعبارات ثناء وإطراء . وأفضل الأمور في ذلك أن يُوجه القارىء إلى ما صنعه الفيروزابادي من عكوف على أمهات اللغة التي سبقته فجمع شتيتها ، ونظم متفرقها ، وحاول أن يجمع دررها ، وأن يضع في مقدمة أهدافه ، أن يضم في كتابه فصيح اللغة وشاردها ، وأن يتعاشى ما رآه عيباً في كتب المتقدمين ؛ فتحصلت له من جميع ذلك مادة صحاح الجوهري . والكتاب بديع الاختصار ؛ للأمور الكثيرة التي سبق توضيحها ، حتى قال الحافظ بن حجر عنه : «إنه لا مزيد عليه في حسن الاختصار وجموم الكلمات اللغوية» .

وتعد المادة اللغوية التي ضمها الكتاب غاية في النفاة وكنزاً عظيم القيمة ؛ فمع وجازة التناول ، يرى القارىء في أثناء شرح المادة لغوياً ، دليل استخدامها في الأسلوب العربي . وما كان ينقصه في تنمة لهذه الناحية غير الاستشهاد بالنصوص ، وهو الأمر

الذي تحاشاه ، إلا في النزر القليل ، رغبة في تيسير كتابه لقارئيه .
هذا إلى الحفاظ على لغات العرب الواردة ، والإشارة إلى لمح من القواعد اللغوية
والصرفية والنحوية لا تشق على القارئ ، ولا تثقل الكتاب .

ومما يؤكد فضل الكتاب أن يتناوله المختصون بالشرح والتعقيب . ولا يعيبه أن يقول
عنه السيوطي: «ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للناد والشوارد، فقد فاته أشياء
ظفرت بها في أثناء مطالعته لكتب اللغة حتى هممت أن أجمعها في جزء، مذيلاً
عليه^(١)» ؛ ففي هذه العبارة نفسها دليل فضله وإشادة بمكانته .

ومن بين من تناول القاموس بالشرح أو التعقيب: السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي، ثم المصري (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) في كتابه: «تاج العروس من جواهر
القاموس^(٢)»؛ وأحمد فارس الشدياق^(٣) (١٣٠٥-١٨٨٧م) في كتابه: «الجاموس
على القاموس^(٤)» ؛ وأحمد تيمور باشا^(٥) (١٨٧١ - ١٩٣٠م) في كتابه: «تصحيح
القاموس^(٦)» .

وتناوله طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ، فغير من نهجه ، وأعاد ترتيبه ، وجعله في
ثوب جديد ، سنعود إليه إن شاء الله ، في الفصل الرابع من هذا الكتاب ، وأسماء:
«ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة^(٧)» .

(١) المزهري: ١ / ٦٣ .

(٢) طبع في عشرة أجزاء كل منها يقع في نحو ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير .

(٣) ولد في عشقوت ، ببلنات سنة ١٨٠٤ م ، ورحل والده إلى الحدث ، بجوار بيروت، فنشأ فيها ،
وتعلم في عين ورقة . وبعد وفاة والده جاء إلى مصر ، حيث أتم تعليمه ، ثم رحل إلى مالطة ولندن وتونس
والأستانة ، وله كثير من المؤلفات الهامة .

(٤) طبع في مطبعة الجوائب ، التي كان يديرها ، سنة ١٢٩٩ هـ .

(٥) أحمد بن إسماعيل تيمور ، ولد في القاهرة ، صاحب الخزانة التيمورية ، جمع فيها من الكتب
المطبوعة والمخطوطة ما يعز وجوده في غيرها من المكاتب . (المنجد في العلوم والآداب) .

(٦) طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٣ هـ .

(٧) طبع بمطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ م .

الفصل الرابع

صاحب دأمان تبتاعة

(١)
أبو القاسم
الزمخري
(٤٦٧ - ٥٢٨ د)

نهجيد :

تميزت طريقة الجوهرى ومن سار على نهجه بالأساس الذى ارتضوه لترتيب معاجمهم ، ويبدو ذلك فى تقسيم المعجم إلى أبواب وفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ، وتقسيم كل باب إلى فصول وفق الحرف الأول ، وترتيب مواد كل فصل وفقاً لحروفها الوسطى : الحرف الثانى إن كانت المادة ثلاثية ، فالثالث فالرابع إن كانت المادة رباعية أو خماسية ، وتشارك كذلك فى تخصيص باب واحد للمواد الواوية والبيائية الآخر ، وفى تقديم فصل الواو على فصل الهاء فى الغالب (١) .

هذا مع احتفاظ كل معجم بمزايا خاصة تبعاً لمنهج صاحبه واتجاهه ، كما التزم « الصحاح » الألفاظ الصعبة وحدها ، وكما غلب على « القاموس المحيط » الاختصار والاهتمام بالأمر الطيبة . غير أن ترتيب هذه المعاجم يجعل الباحث لاتباع أسلوباً مريحاً ، فهو ينتقل من آخر المادة (الباب) إلى أولها (الفصل) ، ويتجه بعدئذ إلى صلب الكلمة لتتبع المادة ، مما لفت أنظار العلماء إلى ضرورة ابتكار طريقة جديدة يسهل معها على الباحث الوصول إلى ما يريد من أقرب سبيل .

وقد ظهرت هذه الطريقة المعجمية الجديدة ، واشتهر من أوائل متبعيها أبو القاسم

(١) يقدم ابن منظور فى كتابه : « لسان العرب » فصل الهاء على الواو انظر ص :

٨٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

جار الله محمود بن محمد بن أحمد الزمخشري^(١) (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) صاحب أساس البلاغة .

وقد سبق الزمخشري إلى هذه الطريقة أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي (٣٧٢ - ٤٣٣ هـ) في كتابه الذي سماه : « المنتهى في اللغة » ، وقال عنه ياقوت إنه « منقول من كتاب الصحاح للجوهري ، وزاد فيه أشياء قليلة وأغرب في ترتيبه^(٢) » .

والترتيب المغرب الذي يشير إليه ، وهو الذي سلكه الزمخشري وغيره من بعده يتمثل في تنظيم مواد المعجم حسب الحرف الأول فالثاني فالثالث فالرابع من حروف المادة الأصلية ، وإشارة ياقوت إلى إغراب البرمكي في ترتيب كتابه تلفت النظر ؛ فهو لم يشر مثل هذه الإشارة عندما عدد كتب الزمخشري ، وذكر من بينها أساس البلاغة الذي ينهج هذا المنهج ، وخاصة أن الزمخشري يكاد يعاصر البرمكي فقد توفي البرمكي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة من الهجرة (٤٣٣ هـ .) ، وولد الزمخشري سنة سبع وستين وأربعمائة (٤٦٧ هـ .) والزمخشري يصرح في مقدمة كتابه بأن ترتيب كتابه الذي اختاره كان مشهوراً في عصره ، ويقول : « .. وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداول ، وأسهله متناولاً ، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعاً على طرف الشام وجبل الذراع ، من غير أن يحتاج في التنقيب عنها إلى الإيجاف والإيضاع^(٣) » . وربما دعا ياقوتا إلى هذا ، ماقرأه في مقدمة كتاب البرمكي من أنه صنف كتابه في سنة سبع وتسعين وثلثمائة من الهجرة (٣٩٧ هـ) وكانت سنة إذ ذاك نحو خمس وعشرين سنة ، وأنه قرأ أيضاً للبرمكي أنه فرغ من نسخ كتاب الجوهري (الصحاح) بخطه سنة ست وتسعين وثلثمائة (٣٩٦ هـ) ، ويقرن ذلك بقوله : « ولاشك أن أحد الكتابين

(١) ولد بزمخشري ، إحدى قرى خوارزم ، وتعلم على أفاضل العلماء ، وورد بغداد غير مرة ، وجاور بمكة ، ومن ثم تلقب بجار الله . وكان واسع العلم ، عدد له صاحب معجم الأدباء نحو تسعة وأربعين كتاباً ، منها التفسير المشهور ، والفائق في غريب الحديث ، والمفصل في النحو ، وغيرها : انظر : معجم الأدباء : ١٩ / ١٢٦ : بغية الوعاة ٢ / ٢٧٩ .

(٢) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٤ : بغية الوعاة : ١ / ٦٨ .

(٣) أساس البلاغة : مقدمة الزمخشري .

منقول من الآخر نقلاً ، والذي أشك فيه أن البرمكي نقل كتاب الصحاح (١) « فهو يقرن بين أمرين : نقل البرمكي كتاب الصحاح بخطه وانتهائه من هذا النقل في سنة ست وتسعين وثلثمائة ، وانتهائه من تصنيف كتابه الذي غير فيه ترتيب الصحاح في سنة سبع وتسعين وثلثمائة ، وهي السنة التالية مباشرة لفراغه من نسخ الصحاح بخطه والأمران هاهنا ، وهن ثم ساق عبارة الشك التي ذكرها .

ولكن عبارة الزمخشري كذلك تدعو للتساؤل؛ فقد ذكر في عبارته المذكورة أنفاً، أنه رتب كتابه على أشهر ترتيب متداول؛ والباحثون يقولون إن البرمكي أسبق الناس إلى هذا الترتيب الجديد، والسنوات القليلة التي تفصل بين زمني البرمكي والزمخشري لا تؤهل لشهرة التداول التي أشار إليها الزمخشري ولا تدعو إلى وصف عمل البرمكي بالإغراب.

ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار أنه شاهد بنفسه قطعة من كتاب البرمكي في مائة ورقة بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدي الخربوطلي أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله ، بالمدينة المنورة ، ووجده مرتباً مثل ترتيب المعجمات الحديثة (٢).

ومسألة أخرى ينبغي أن تذكر هنا ، وهي المصادر التي استقى منها الزمخشري مادة كتابه . ويذكر الزمخشري أنه استمدّه من مصادر عدة. وأن الميدان العربي الفسيح : بدوه وحضره ، أعرابه ومتحضره ، وخطباءه ورجازه وشعرائه ، وسفراءه وسماسته ، كان المعين الذي أفاد منه ، وأضاف إلى هذا، المصادر المسجلة في بطون الكتب والدفاتر ، وإن لم يعين شيئاً منها بذاته. ويقول الزمخشري: «وهو كتاب فُليت له العربية وما فصح من لغاتها، وملح من بلاغاتها؛ وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها؛ ومن قراضية (٣) نجد في أكلايتها ومراتعها، ومن سماسة تهامة في أسواقها ومجامعها، وماتراجزت به السقااة على أفواه قلبها (٤) وتساجت به الرعاة على شفاة علبها (٥).

(١) معجم الأدباء : ١٨ / ٣٥ .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة كتاب الصحاح للجوهري : ٩٠ .

(٣) قراضية : جمع قروض ، وهم الصعاليك واللصوص .

(٤) قلب ، بضمّتين : جمع قليب ، وهو البئر الواسعة .

(٥) علب ، بضمّ ففتح : جمع علبة ، وهي إناء ضخم من جلد أو خشب يحلب فيه اللبن .

وماتقارضته شعراء قيس وتيم في ساعات الماتنة (١) وماتزاملت (٢) به سفراء ثقيف
وهذيل في أيام المفاتنة : وماطولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة،
وجوامع كلم في أحشائها مجتنة (٣) .

منهج الكتاب :

لعل أهم مايلفت النظر في « أساس البلاغة » ما قصد إليه الزمخشري في سائر كتابه،
بل وما أشار إليه منذ البدء حين اختار له عنوان « أساس البلاغة » ، من عرض وجوه
الإعجاز ، وبيان مناهج الفصاحة ، وما يعتور اللفظ ، والأسلوب من ألوان الدلالة .

وإذا كان المعجميون قبل الزمخشري قصدوا أن تسجل معاجمهم تصاريف العرب في
ألفاظهم وأساليبهم بعامه ، فقد عنى الزمخشري أن يقصد إلى « تأسيس قوانين فصل
المخاطب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح » ومن ثم
لم تنصرف عنايته إلى تتبع معاني مفردات المادة ، ولا إلى تتبع مشتقات وتصريفات
أصلها، كما انصرفت إلى هدفه الذي صرح به . والمصطلحات التي وردت في كلام
الزمخشري تؤكد اهتمامه بهذه الغاية ، وتفيد أنه قد حصل من مقاييسها وموازينها قدراً
عظيماً أعانه على ادعاء ما ادعاه ، من أن من وقف على خصائص كتابه وحصلها،
« كان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ، ومعيار حكمة
المواضع وقسطاسها ، وأصاب ذرواً (٤) من علم المعاني ، وحظى برش (٥) من علم البيان،
وكانت له قريحة صحيحة وسليقة سليمة ؛ فحل نثره ، وجزل شعره ، ولم يطل عليه أن
يهاز المقدمين ويخاطر المقرمين (٦) »

(١) الماتنة : محاولة كل شاعر أن يظهر متانة شعره .

(٢) تزاملت : تراجزت : والزمل ، بفتحتين : الرجز .

(٣) أساس البلاغة : مقدمة الزمخشري .

(٤) ذرواً : طرفاً وحظاً .

(٥) رش من علم : بعض قليل منه .

(٦) المقرمين : الفحول البلاء - والعبارة للزمخشري : أساس البلاغة : مقدمة الزمخشري .

ومن الواضح فى العبارة السابقة ، وفى سائر كتاب الزمخشري، بل وفيما جاء فى كتبه الأخرى الكثيرة ، أنه كان واضح التصور للأصول والقواعد التى يمكن أن يناقشها علم المعانى ، وعلم البيان ، وأن هذه الأصول والقواعد يمكن أن توصل من يحيط بها ويدرك أثرها ويتذوقها ، إلى امتلاك ناصية البزغة ، ومناهزة المقدمين المقرمين .

ولكن الأستاذ أمين الخولى لايساير الزمخشري ومن نظر فى كتابه كثيراً فى التسليم لكتابه بهذه التخصيص ، ويقول : « إن المعنى الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى لم يكن قد بلغ مداه ، عندما كتب (جار الله) كتاب أساس البلاغة . ولهذا لايساهم » فى القول بأن أهمية معجم أساس البلاغة ترجع إلى أفراد المجاز ، بمعناه الاصطلاحى الأخير ، عن الحقيقة (١) .

غير أن تتبع « أساس البلاغة » مادة بعد أخرى توقف القارىء على بروز هذا الجانب الذى توخاه الزمخشري ، وإن لم يكن حتماً أن يتفق معه فى جميع مانص على أنه من المجاز ، أو على أن مالم ينص عليه يدخل فى مجال الدلالات الحقيقية ، فإن القطع بمثل هذه الأمور ألصق بمسائل العلم المحسنة التى تخضع للأقيسة المتفق على نتائجها . والمناقشات المقبلة ستحاول أن تجلو للقارىء خصائص هذا الكتاب ، وتتحدث عن مظاهر صدوره فى طبيعته الجديدة ، ومكانه بين المعاجم العربية .

خصائص الكتاب :

ينبغى فى صدر هذا الحديث ، أن يصدر بنموذج مماكتب الزمخشري، يتناول بالتعقيب والتحليل ، رغبة التعرف على هذا الكتاب ، ودراسة مظاهره . وقد وردت مادة: خ ز ن ، فى كتاب أساس البلاغة ، فى طبيعته الجديدة ، كمايلى :

* خ ز ن - خزن المال فى الخزانة : أحرزه . واخترنه لنفسه ، واستخزنه المأل وله مخزن حريز ، وهو صاحب مخزن الأمير .

ومن المجاز : اطلب من خزائن رحمة الله تعالى ، واخزن لسانك وسرك .

قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان

(١) أساس البلاغة : مقدمة بقلم الأستاذ أمين الخولى . ط . أولاد أورفاند : ١٩٥٣ م .

وقال السمهرى بن أسد العُكلى :

ويادر بليلى أوبة الركب إنهم متى يرجعوا يخزن عليك كلامها
واجعله فى خزانتك أى فى قلبك إذا لقنته علماً أو أودعته سراً . وفى حكمة لقمان
« إذا كان خازنك حفيظاً وخزانتك أمينة رشدت فى دنياك وأخرتك » .
وقولهم : خزن اللحم إذا تغير ، ومعناه خزنه فخزن أى ادخره فايض بسبب الادخار.
ألا ترى إلى قوله :

ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر

المناقشة :

١- أول ما يلاحظ فى المادة السابقة وضع أصولها حروفاً متفرقة ، صاغ منها الزمخشري الأفعال والصفات وسائر الصور التى يمكن أن تنبثق منها ، وفى الإطار الذى رسمه لنفسه . وذلك أن الزمخشري لم يعن بتتبع جميع الصور الممكنة من المادة ، ليس فى هذه المادة حسب ، ولكن فى كثير من مواد كتابه ؛ فاهتمامه موجه أكثر التوجه إلى سوق التراكيب والأساليب ، والتوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، لاسوق الألفاظ ومعانيها مرسله بدداً ، وطرائق قدداً ، ومن أجل ذلك كان نصيب ما ذكره من الصيغ عنها محدوداً . وقد بدأ من الصيغ بالفعل: خزن، وبعض مزيداته: اختزن، واستخزن، واسم المكان: مخزن، ثم ذكر فيما بعد الوصف: خازن، والاسم: الخزانة. وجميع ما ذكره من هذه الصيغ ساقه فى تعبير تام، أوفى نص قديم. ولم ينبه على ما يمكن أن تفيده الصيغة من تلون فى المعنى الأساسى الأول للمادة ، أو على نوع المشتق، وترك ذلك للقارىء يدركه من خلال ما يسوقه من تراكيب ونصوص. والقارىء لا يقف على ذلك إذا لم يكن ذا دراية سابقة بهذه المبادئ التى لاغنى عنها، ومع ذلك لا يستغنى عن التنبيه عليها المعجم .

وإذا رأينا هذه المادة فى «القاموس المحيط» وجدنا نهجاً آخر، ففيه: «خزن المال: أحرزه كاختزنه، واللحم خزناً وخزونا: تغير، كخزن كفرح وكرم فهو خزين، وككتابة فعل الخازن ومكان الخزن، ولا يفتح، كالمخزن كمقعد، والقلب، والخزان كشداد: اللسان كالخازن، والرطب المسود الجوف لآفة، ومخازن الطريق مخاصره، واختزن طريقاً: أخذ أقربه، وأخزن: استغنى بعد فقر، وعلى بن أحمد وأحمد بن محمد بن موسى الخازنان محدثان» .
فصادة : خزن فى القاموس وافرة ذكر المشتقات ، والصيغ ، مع التنبيه عليها ،

وهذا هام لمن يلجأ إلى المعاجم ، وينقصه صنيع الزمخشري في أساسه .

والزمخشري لا يأخذ نفسه بالبدء بالصيغ الفعلية إن وجدت ، فقد يبدأ بغير الفعل من الصيغ والصور ، بل قد يبدأ بتركيب مستحسن يريد أن يلفت إليه النظر ، أو عبارة جميلة أو مضطوح يدعو إلى التنبيه لهما ؛ ففي مادة : ب ع د ، بدأ بقوله : « أما بعد فقد كان كذا » وفي مادة : رأس ، بدأ بقوله : « أهل مكة يسمون يوم القَرِّ : يوم الرموس ، لأنهم يأكلون فيه رموس الأضاحي » .

وكذلك يدرك القارئ من خلال ما يذكره الزمخشري من أساليب؛ أحوال الصيغ والمشتقات، من لزوم الفعل والوصف والمصدر أو احتياجها إلى المفعول المباشر أو غير المباشر، ومن التجرد والزيادة، مثل: خزن المال في الخزانة، واختزنه لنفسه، واستخزنه المال.

٢ - وفي كتاب « أساس البلاغة » ظاهرة تستحق العناية فإن الغالبية الغالبة من المواد التي أفردها بالذكر والشرح مستقلة ، ثلاثية الأصول ، وقل ما ذكره من مواد غير الثلاثي . بل يمكن إحصاء هذه المواد ومناقشتها . وتبلغ نحو اثنتين وستين مادة رباعية ^(١) ، ومادتين خماسيتين هما مادتا : ص هـ ص ل ق ، ع ن د ل ب . ولم يبدأ من الزمخشري أنه سيصرف عنايته إلى المواد الثلاثية ، أو إن أمراً ما خفف من تسجيل المواد الرباعية والخماسية . وغلبة المواد الثلاثية في اللغة العربية ، بل وفي اللغات السامية ، ظاهرة معروفة . يقول ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه الخصائص : « إن الأصول ثلاثة : ثلاثي ورباعي وخماسي ، فأكثرها استعمالاً وأعدلها تركيباً الثلاثي ، وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثي لقله حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه اعتدالاً ، لأنه أقل حروفاً ، وليس الأمر كذلك ^(٢) . »

والمواد غير الثلاثية مع ذلك ليست من الندرة بالقدر الذي سجله الزمخشري . ويمكن تصنيف المواد الرباعية التي سجلها مستقلة مجموعتين : إحداهما رباعية الأصول ، وتبلغ نحو ست وثلاثين مادة ، مثل : ج ح ف ل ، ج ر ث م ، ع ق ب ل ، ع ن ص ر ؛ والأخرى رباعية مضعفة ذات أصلين مكررين مثل : ب أ ب أ ، ز ع ز ع ، ف د ف د ، و ل و ل . وإذا عولجت المجموعة الأولى من المواد الرباعية علاجاً فقهياً ، أمكن أن

(١) انظر الجدول (١)

(٢) ابن جنى : الخصائص : ١ / ٥٥ .

يعود بعضها إلى أصول ثلاثية مزيد بعض حروفها ^(١)، مثل : س ف س ق ، س ل هـ ب ، ز ن ج ر ، ز ع ن ف ، ع ب هـ ل . فهذه وغيرها يمكن بالمناقشة أن تعود إلى مواد ثلاثية . ومع ذلك ، لا يتطلب من المعاجم اللغوية أن تناقش جميع المواد مثل هذه المناقشة ، وإنما يطلب تيسيراً على الدراسين ، إن أمكن ، تسجيل الكلمات حسب منطوقها لأحسب أصول موادها فقط .

والمواد الرباعية المضعفة كان يمكن أن يعالجها مع علاج المواد الثنائية ، أو المواد الثلاثية ، كما صنع نبي بعضها ، مثل قهقه ، التي عالجها في مادة : ق هـ هـ ، وكما عكس في مادة : م هـ م هـ ، فقد ذكر في ثناياها كلمة : مه ؛ ومادة : روى د ، فقد شرح في أثناء علاجها مادة رود ؛ ومادة : ف د ف د ؛ فقد شرح في ثناياها مادة : ف د د .

وشئ آخر يذكر في هذا المجال ، هو أن الجوهري ، وهو أسبق من الزمخشري ، وله نهجه المختصر في تسجيل المعجم العربي إذا قيس بمن سبقه من المعجميين كالأزهري صاحب التهذيب ، ذكر في فصل الباء من باب الميم ، إحدى عشرة كلمة رباعية ، في حين لم يذكر الزمخشري في الأساس ، من المواد البائى أول أصولها ، الميمى آخرها ، أية مادة ، وهو أمر لا يمكن تعليقه .

وأضاف الفيروزابادى بعده ، في هذا الموضوع نفسه ، اثنتى عشرة مادة جديدة . وهناك بالضرورة ، مواد أخرى كثيرة في غير فصل الباء من باب الميم في كتاب الجوهري ومن سبقه من اللغويين .

٣ - ويرى قارىء الأساس أن المشتقات والصيغ مفتقرة إلى ضبطها بطريقة من الطرق التى لجأ إليها من سبق الزمخشري ، فضلاً عن توقع ابتكار جديد يفيد . فالفعل : خزن ، يختلف معناه باختلاف النطق به ، فهو بمعنى أحرز إن كان من باب نصر أو قعد ؛ وبمعنى تغير ، إن كان من باب نصر أو فرح أو كرم . والخزانة ، بكسر الخاء مصدراً أو اسماً لمكان الخزن ، ولا يصح أن تفتح . ولم يتنبه الزمخشري على الضبط فى كتابه الإقليلا ، وكذلك لم يذكر فى مقدمة كتابه رأيه فى هذا الأمر ، ولولا ما صنعه ناشرو أساس البلاغة من ضبط المواد وكثير من النصوص برموز الحركات ، للقى الدارسون كثيراً من العنت ، وقل الانتفاع بالكتاب ، مع أهميته ودسامته مادته .

(١) انظر : Brockelmann: Grundriss d. v. Gram. d. Sem .d. sem Sprachen, 1:521. وانظر : دكتور مراد كامل : نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية .

المواد الرباعية في كتاب أساس البلاغة

(٤)	(٣)	(٢)	(١)
فردن	ضعضع	روىد	بأبأ
فسكل	طأطأ	زعزع	بخنق
لؤلؤ	طحطح	زعرر	برطل
لهله	ظبظب	زغنن	برقش
معمع	عبعهل	زغزغ	بعثط
مهمه	عصفر	زمجر	تمهل
نأنأ	عقبب	زنجر	ثفرق
نعنع	علهز	سفسق	جحفل
نغنغ	عندم	سلهب	جرثم
نهنه	عنصر	سنبك	جهجو
هيمن	عنكب	شأشأ	خضرم
هينم	غرنق	صأصأ	دغدغ
وأوأ	فأفأ	صعلك	دغفل
وعوع	فدفد	ضأضأ	دمقس
ولول	فرعن	ضحضح	دهدي
		ضرغم	ذعذع

الجدول (١)

مواد رباعية من فصل الباء من باب الهيم
من صحاح الجوهري

(٢)	(١)
البرهمة بسطام البلدم البلعوم البلغم	البجارم البرجمة البرسام برشم البرطام البرعم

المجدول (٢)

مواد رباعية من فصل الباء من باب الهميم
من القاموس المحيط

(٢)	(١)
البِظْرَم	البِجَارِم
بَعَثَم	بِحْرَم
بَغَثَم	بِخْذَم
البَلْتَم	بِرْشَم
بَلْحَم	البُرْجَمَة
البَلْدَم	البِرْسَام
بَلْسَم	بِرْشَم
البَلْعُوم	البِرْصُوم
البَلْغَم	البِرْطَام
البِهْرَم	البِرْعَم
البِهْصَم	البِرْهَمَة
	بِسْطَام

الجدول (٣)

ملحوظة : سجلت المواد هنا حسبما دونت في القاموس المحيط .

٤ - وقد سبق الحديث عن ترتيب المواد فى «أساس البلاغة»، وهو الترتيب الذى انتهجته المعاجم الحديثة. والزمخشرى قسم كتابه أبواباً وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية، وأطلق على كل باب منها اسم: «كتاب». ولم يتحدث فى بدء كل كتاب، كما تحدث غيره، عن الحروف التى عقدت لها الكتب، ولكنه بدأ بشرح المواد مباشرة. ورتب المواد فى كل كتاب وفق الحرف الثانى من حروف المادة الأصلية، ثم الحرف الثالث إن كانت المادة ثلاثية، فالرابع، فالخامس إن كانت المادة رباعية أو خماسية.

ونلاحظ بعض الاضطراب فى ترتيب بعض المواد الرباعية وإحدى المادتين الخماسيتين. مثال ذلك: مادة: س ف س ق، فقد وضعت بعد مادة "س ف ف"، وقبل مادة: س ف ل، والحرف الثالث فى الكلمات الثلاثة هو على الترتيب: ف، س، ل، ومن حق السين أن تتقدم حرف الفاء. ومثل: طح طح، فقد وضعت بين كلمتى: ط ج ن، و: ط ح ر؛ ومن حق الكلمة الأخيرة أن تتقدم الكلمة الرباعية.

وهناك نموذج آخر من هذا الاضطراب، مثل: ج ه ج ه، فقد وضعت بين: ج ه و، و: ج و ب؛ ومن نظام «الأساس» رعاية تقديم حرف الهاء على حرف الواو فى جميع الظروف، فضلاً على أن الحرف الثالث: (ج)، يسبق الحرفين: (ه، و) جميعاً.

ونموذج ثالث يرد فى هذا المقام، مثل: روى د فقد وضعها بين كلمتى: روح، و، روز، ومن حق الكلمة الأخيرة أن تتقدم الكلمة الرباعية. ومثل: ه ي م ن، فإنها توسطت الكلمتين: ه م م، و: ه م ي.

والنماذج الثلاثة المتقدمة يمكن أن يشار إليها ببعض رأى. وفى النموذج الأول يحتمل أن الزمخشرى يوعز بهذا الترتيب إلى احتمال زيادة الحرف المكرر، وهو: السين فى المثال الأول والطاء فى المثال الثانى، وإن لم يرد فى شرحه لهذه المواد ما يرمى إلى هذه الملاحظة.

وفى النموذج الثانى خطأ فى ترتيب المواد على أى حال، فمع افتراض صحة الملاحظة السابقة يبقى وجوب الترتيب بين حرفى الهاء والواو الذى التزمه الزمخشرى،

فحق كلمة: ج هـ ج هـ أن تتقدم على كلمة: ج هـ و؛ لسبق الهاء الواو في الترتيب، هذا، إذا لم نضف أمراً آخر وهو احتمال أن الكلمة الرباعية أصلها مادة ثنائية ضعف حرفها .

أما النموذج الثالث ففيه ترجيح ملاحظة الزمخشري أن بعض حروف المادة الرباعية زائد على الأصل الثلاثي ، فمادة : روى د ، أصلها : رود ، بدليل أنه شرحها في أثناء شرح مادة : روى د . ومادة : هـ ي م ن ، هاؤها زائدة ، وياؤها مقلوبة عن همزة . وأصل: هـ ي م ن: أ م ن ، سهلت الهمزة الثانية وأبدلت ياء ، ثم أبدلت الهمزة الأولى هاء . ويقول الرازي في مختاره ، في مادة : أمن: «وأصل مهيمن: مؤامن ، لينت الثانية وقلبت ياء كراهة اجتماعهما وقلبت الأولى هاء ، كما قالوا: أراق الماء ، وهراقه» .

وفي الجدول رقم (٤) بيان المواد الرباعية ، والمادة الخماسية ، التي وقع فيها الاضطراب المشار إليه في الفقرة السابقة .

٥ - وأضاف ناشر «أساس البلاغة» بعض الرموز التي تصطنعها المطبعة الحديثة، فوضع نجما مشعاً * قبل كل مادة جديدة يبدأ شرحها . ووضع الشواهد القرآنية بين هلالين ، مثل : (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ) ، في مادة ش ك ل ؛ و (فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ) في مادة : ش م ت . ووضع سائر النصوص الأخرى بين علامتى تنصيص « . » ، مثل : وفي الحديث : « لما أراد الله أن يخلق لإبليس نسلا وزوجة ، ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته » ؛ ومثل : وفي حكمة لقمان «إذا كان خازنك حفيظا وخزانتك أمينة رشدت في دينك وأخرتك» .

تقديم الكتاب :

لا حاجة لشخصية أدبية محققة عالمة لغوية كشخصية الزمخشري صاحب المؤلفات الكثيرة القيمة ، إلى مزيد من التعريف ، وليس كتابه «أساس البلاغة» بعد الحديث السابق، في حاجة إلى شيء إلا أن يكب عليه الدارسون كماكبوا عليه من قبل . ولعل التفسير الذي قدمه للناس ، ونهجه في ترتيب مواد ، وعنايته بتخير ما وقع في عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين من التراكيب التي تملح وتحسن ولاتنقبض عنها الألسن ، ثم اهتمامه بتأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح ، بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح ، لعل هذا وغيره مما يفيد منه قارىء معجم لغوى ، يغنى عن أن يقال فيه جديد . وقد قال فيه ابن خلدون :

المواد الرباعية والخماسية ومواقعها من أساس البلاغة

المواد	الباب
ج هـ و / ج هـ ج هـ / ج و ب .	كتاب الجيم
د غ ر / د غ ص / د غ د غ / د غ ف ل / د غ ل	كتاب الدال
ذرى / ذعر / ذع ذع / ذع ف .	كتاب الذال
روح / روح / روى د / روز .	كتاب الراء
س رق / س رول / س رو .	كتاب السين
س ف ف / س ف س ق / س ف ل .	كتاب السين
ص هر / ص هـ ص ل ق / ص هـ ل .	كتاب الصاد
ض ر ن / ض ع ض ع / ض ع ف .	كتاب الضاد
ط ج ن / ط ح ط ح / ط ح ر .	كتاب الطاء
ع ل ن / ع ل و / ع ل هـ ز / ع م ج .	كتاب العين
ف د ح / ف د ف د / ف د ر .	كتاب الفاء
ل هـ ن / ل هـ ل هـ / ل هـ و .	كتاب اللام
م هـ ن / م هـ م هـ / م هـ و	كتاب الميم
ن ع ظ / ن ع ن ع / ن ع ف .	كتاب النون
ن غ ض / ن غ ن غ / ن غ ف .	كتاب النون
هـ م م / هـ م ن / هـ م ي .	كتاب الهاء
هـ ن ف / هـ م ن م / هـ ن م .	كتاب الهاء
و ع ظ / و ع و ع / و ع ك .	كتاب الواو
و ل ق / و ل و ل / و ل م .	كتاب الواو

الجدول رقم (٤)

ملحوظة : وضعت هنا المواد الرباعية والخماسية المحتاجة إلى إعادة التنظيم .

« ومن الكتب الموضوعية أيضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز . نية كل ما تجاوزت به العرب من الألفاظ ، وما تجاوزت به من المدلولات ، وهو كتاب شريف الإفادة (١) . وبالرغم من ظهور هذا المعجم فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين فإن كثيراً من المعجميين المتأخرين عن الزمخشري لم يستفيدوا من طريقته كصاحب اللسان (٦٣٠ - ٧١١ هـ) ، وصاحب القاموس المحيط (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) . وإنما استفاد منها أصحاب المعجمات الحديثة كالبيستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) في : « محيط المحيط » ومختصره : « قطر المحيط » ، والشرتوني (١٨٤٨ - ١٩١٢ م) في كتابه : « أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد » والأب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧ - ١٩٤٦ م) في كتابه : « المنجد » ومثل الشيخ محمود خاطر في ترتيبه الحديث لكتاب : « مختار الصحاح » للرازي . وقد اختار المجمع اللغوي بالقاهرة هذا النهج لمعاجمه التي أصدرها وهي : « المعجم الكبير » الذي أصدر منه القسم الأول من الجزء الأول سنة ١٩٥٦ م . و « المعجم الوسيط » الذي صدر بين سنتي ١٩٦٠ ، ١٩٦١ م .

(١) ابن خلدون : المقدمة : ٤٨٥ ط المطبعة الأزهرية بالقاهرة .

تقديم :

يحتاج الدارس لحل مشكلاته اللغوية في كثير من الأحيان إلى الموجزات التي يخف حملها ، ويسهل استعمالها ، فإن أعجزه الوصول إلى مايفى اضطر إلى اللجوء إلى الموسوعات ليجد فيها طلبته .

ومن الموجزات التي حظيت باهتمام القارئ العربي الموجزات التي اقتبست من كتاب الجوهري ، ومن أشهرها مختار الصحاح للرازي (ت بعد سنة ٦٩١ هـ) ، وقد سار على طريقة الجوهري في تنظيم أبوابه وفصوله وترتيب مواده . وهناك موجز نال الشهرة كذلك ، ولكنه لم يقبس من الجوهري وحده ، كمالم يسر على طريقته ونهجه ، وإنما اتخذ المنهج الذي بدأه البرمكي ، وشهره الزمخشري . وأعنى بهذا : كتاب « المصباح المنير » الذي ألفه أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ثم الحموي ^(١) والناظر في هذا المعجم الموجز يعجب لما حوى من الفوائد العلمية المتنوعة إلى جانب هدف المعجم اللغوي؛ فالتحليل اللغوي للمواد مقرون بتعليلات مسندة إلى كبار العلماء ، وملح نحوية وصرفية واهتمام بشرح المصطلحات الفقهية ، وهو هدف أساسي من أهداف هذا المعجم ، فإن

(١) نشأ بالفيوم واشتغل ومهر وتميز في العربية عند أبي حيان ، ثم قطن حماه ، وخطب بجامع الدهشة الذي بناه الملك المؤيد إسماعيل ، وكان الفيومي فاضلا عارفا بالفقه واللغة: توفي بعد سنة سبعين وسبعمئة. الدرر الكامنة : ١ : ٣١٤ . وذكر السيوطي في بغية الوعاة (١ : ٣٨٩) أنه توفي سنة نيف وسبعين وسبعمئة . وفي مادة : نون ، ذكر صاحب المصباح : « قال أبو العباس : الذي حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث والبضع من أربع إلى تسع » ، فترجح اختيار سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة توقيتا لوفاة الفيومي رحمه الله .

الفيومي قصد أن يشرح مشكلات غريب « الشرح الكبير » الذي ألفه الرافعي ، شارحاً كتاب الوجيز « للغزالي » ؛ ومن ثم يجد الناظر فيه تعريفاً بهذه المصطلحات ، وعلاجاً يسيراً وسريعاً لبعض قضايا الفقه الإسلامي ، ترد نماذج منها في هذه الدراسة .

وقد كان صاحب المصباح ألف قبل هذا المعجم كتاباً مطولاً في « غريب الشرح الكبير » للرافعي ، أوسع فيه من تصاريف الكلمة . وأضاف إليه زيادات من لغة وغيره ومن الألفاظ المشتبهات والمتماثلات ، ومن إعراب الشواهد وبيان معانيها ، وقسمه تقسيماً لم يرتح هو نفسه إلى منهجه ، وقال عنه : « وقسمت كل حرف منه باعتبار اللفظ إلى أسماء متنوعة : إلى مكسور الأول ومضموم الأول ومفتوح الأول وإلى أفعال بحسب أوزانها ، فحاز من الضبط الأصل الوفي ، وحل من الإيجاز الفرع العلي . غير أنه افرقت بالمادة الواحدة أبوابه ، فوعرت على السالك شعابه ، وامتدحت ^(١) بين يدي الشادي رحابه ، فكان جديراً بأن تنبهر دون غايته ركابه ، فجر إلى ملل ، ينطوي على خلل ^(٢) . وهذا الخلل ، أو الاضطراب ، الذي أشار إليه الفيومي حداً به إلى أن يقوم حين عمد إلى تأليف هذا المختصر لكتابه المطول ، وأن يتخذ له منهجاً سوياً ، ستعرض له هذه الدراسة بعد قليل .

والصادر الكثيرة التي رجع إليها الفيومي في إعداد كتابه المطول الذي اختصره في « المصباح المنير » وتبلغ نحو سبعين مصنفاً بين مطول ومختصر ، تشير إلى مدى الجهد الكبير الذي بذله ، وإلى ما ينتظر من قارئ مستوعب لها . وقد عدد بعضها الفيومي في خاتمة كتابه المصباح ، ونبه عليها في مواضع الأخذ عنها في ثنايا الكتاب حيث يبنى عليها حكم . ومع اهتمام الفيومي بجوانب لغوية ونحوية وصرفية عرض لها في مادة كتابه ، لم يترك مصباحه قبل أن ينبه على طائفة قيمة منها في خاتمته ، فسلكها فصولاً تبلغ نحو أربعين صفحة ، وهي فصول يفيد منها الدارس ويحتاج أن يردد النظر فيها بين حين وحين .

(١) اتسعت . قال الخطيب التبريزي : المدح من قولهم : امتدحت الأرض إذا اتسعت ، المصباح .

(٢) مقدمة المصباح المنير .

منهج الكتاب :

يبدو أن الفيومي تأثر بالزمخشري عندما وضع كتابه « المصباح المنير » ؛ فقد ذكره بين مصادره التي رجع إليها ، واقتبس منه أو أسند إليه كثيرا من الآراء ، أو أشار إلي كتابه في كثير من المواضع في مصباحه ، وتأثر به كذلك في اختيار ترتيب مواد كتابه رغم اهتمامه بصحاح الجوهري (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) ، وتهذيب الأزهرى (٢٨١ - ٣٧٠ هـ) ، ومختصر العين لأبى بكر محمد الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) وغيرها من كتب اللغة السابقة لعصره . ولم يشر الفيومي إلي ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) صاحب « لسان العرب » ، بين مصادره ، رغم تعاصرها ، فقد توفي ابن منظور سنة إحدى عشرة وسبعمائة من الهجرة . ولم يشر كذلك إلي البرمكى (٣٧٢ - ٤٣٣ هـ) مبتدع الطريقة التي نهجها الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) ، بينما ذكر ديوان الأدب للفارابى (ت ٣٥٠ هـ) ، وصحاح الجوهري في موضع واحد ، والصلة بين الكتابين قريبة كالصلة بين كتابى البرمكى والزمخشري^(١) .

وطبيعى أنه لم يتصل بالقاموس المحيط للفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) ؛ فقد فرغ الفيومي من مصباحه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وسن الفيروزابادى إذ ذاك نحو خمس سنين .

ولكن تأثره بالزمخشري لايعنى أنه سار على دربه في جميع أموره ؛ فإن له شخصيته المستقلة ، ورأيه الحر في تنظيم كتابه ، وفي جمع مادته .

والمصباح المنير مقسم أبوابا ، وفق الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، وسمى كل باب منها كتابا . ويلاحظ أنه عد حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً ، فقد عقد بابا خاصا للحرف (لا) ، بين باهى الواو ، والياء ، وقد سبقه بعض اللغويين ، ولكن باعتبار آخر ، فجعلوا الحروف الهجائية تسعة وعشرين ، منها الهمزة ، التي تحقق ، أو تجعل حرف لين ، ومن هؤلاء الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) . صاحب التهذيب ، وابن دريد

(١) انظر : ص : ٧١ من هذا الكتاب وفيها حديث عن الصلة بين كتابى الفارابى والجوهري .

(٢٢٣ - ٣٢١ هـ) حين تحدث في مقدمة كتابه « الجمهرة » عن حروف الهجاء ، فقال : إنها تسعة وعشرون حرفا ، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا (١) .

وقسم كل كتاب إلى فصول حسب الحرف الثالث إن كانت المادة ثلاثية ولكنه لم يسم هذه الأقسام فصولا ، واكتفى بمثل قوله : « الألف مع الباء ومايثلثهما » ، « الباء مع العين ومايثلثهما » ، وهكذا . ووضع الكلمة الزائدة على ثلاثة أصول بعد المادة الثلاثية المشتركة معها في الحرف الثالث إن وجدت ، فكلمة : « برقع » وضعها بعد كلمة : « برق » ، وكلمة : « عسلوج » يضعها بعد مادة : « عسل » .

فإذا لم تشترك الكلمة الزائدة على الأصول الثلاثية مع المادة الثلاثية الأصول في الحرف الثالث لهما التزم في ترتيبها الحرف الأول فالثاني ، ووضعها في صدر الفصل مثل المواد :

« أذربيجان » وضعها في صدر فصل « الألف مع الذال » قبل كلمة : إذ ، و« إصطبل » وضعها في صدر فصل الألف مع الصاد ، وكلمة « بوشنج (٢) » وضعها في صدر فصل الباء مع الواو ، وبعدها كلمة : « الباب » وكلمة « سجستان » وضعها قبل « سجد » في صدر فصل السين مع الجيم ، وكلمة : « العسكر » وضعها قبل « عصب » في صدر فصل العين مع السين ، وكلمة : « العَصْفُرُ » وضعها قبل كلمة : « العَصْبَة » في صدر فصل العين مع الصاد (٣) . وقد ترجم الفيومي عن رأيه هذا بقوله :

(١) انظر الحديث عن ابن دريد : ص ٤١ من هذا الكتاب .

وعلل ابن جنى عد (لا) بين حروف الهجاء فقال : « .. لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتداء باللام ، ثم جاء بالألف بعدها ساكنة ليصح لك النطق بها ؛ كماصح لك النطق بسائر الحروف غيرها » ابن جنى : سر صناعة الإعراب : ٤٨/١ - ٤٩ . ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٥٤ .

(٢) بلدة من خراسان بقرب هراة ، وأصلها : بوشنك ، ثم عريت إلى الجيم . المصباح المنير .

(٣) وضع مصحح « المصباح المنير » ، الشيخ حمزة فتح الله ، مادة : « عصف » مرة أخرى بعد مادة : « عصف » ، وقال : « إن ذكره هنا أنسب بقاعدته » . وقد وضع مما ذكر في المناقشة مفهوم قاعدته ، ومدى التزامه بها .

« وأما الأسماء الزائدة على الأصول الثلاثة ، فإن وافق ثالثها لام ثلاثي ذكرته في ترجمته نحو « البرقع » فيذكر في « برق » ، وإن لم يوافق لام ثلاثي فإنما ألتزم في الترتيب الأول والثاني ، وأذكر الكلمة في صدر الباب مثل : « إصطبل »^(١) .

وهناك أمر هام آخر خاص بنظام وضع المواد حسب أصولها . فمن المعروف في ترتيب المواد المعجمية في اللغة العربية أن تعود إلى أصولها إن تحولت عنها ، فإن كانت عين المادة ألفا منقلبة عن واو أو ياء عادت إلى أصلها الواوي أو اليائي في وضعها المعجمي ، فكلمة : « أب » موضعها فصل الألف والواو والياء ، وكلمة : « باع » موضعها فصل الباء ، والياء ، والعين . وإن جهل أصل الألف، ولم تمل، وضع الفيومي المادة في فصل الحرف الأول ، الواو ، لأن العرب ألحقت الألف المجهولة بالمنقلبة عن الواو ففتحتها ولم تملها فكانت أختها ، نحو الخامة^(٢) والآفة^(٣) والمعاجم الأخرى تسير مثل هذه المسيرة .

وخالف الفيومي المعاجم في وضع المواد المهموزة العين ، ورأى أن يلاحظ حركة ما قبلها ، فإن كانت كسرة ألحقها باليائية العين ، وإن كانت ضمة ألحقها بالواوية العين ، فكلمة « بثر » وضعها في فصل الباء والياء ، وكلمة : « بؤس » وضعها في فصل الباء والواو ، وكذلك الكلمة المهموزة العين المفتوح ما قبلها .

وكثير من المعجميين راعوا الهمزة غير ملتفتين إلى حركة ما قبلها^(٣) .

خصائص الكتاب :

من المفيد بعد ماتقدم عرض مادة من مواد « المصباح المنير » ومناقشتها ، والتعرف من خلال هذه المناقشة على خصائص الكتاب ، تمهيداً لوضعه في مكانه من المعاجم العربية . وفي فصل السين والحاء وردت المادة الآتية :

(١) مقدمة المصباح : ٢ .

(٢) الغضة الرطبة من النبات . (مختار الصحاح) ؛ وزاد المصباح : والحام من الثياب الذي لم يقصر،

وثوب خام غير مقصور .

(٣) انظر : أساس البلاغة ومختار الرازي والقاموس المحيط وغيرها .

(السحر) الرئة ، وقيل مالصق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن ، وقيل هو كل ما تلحق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة ، وفيه ثلاث لغات: وزان قلس وسبب وقفل . وكل ذى سحر مفتقر إلى الطعام ، وجمع الأولى سحور مثل قلس وفلوس ، وجمع الثانية والثالثة أسحار . والسحر بفتحين قبيل الصبح ، وبضمين لغة ، والجمع أسحار . والسحور وزان رسول مايؤكل فى ذلك الوقت ، وتسحرت أكلت السحور ، والسحور بالضم ، فعل الفاعل . والسحر قال ابن فارس : هو إخراج الباطل فى صورة الحق . ويقال هو الخديعة . وسحره بكلامه : استماله برقته ، وحسن تركيبه ، قال الإمام فخر الدين فى التفسير : ولفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يفتنى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع قال تعالى : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (١) » : وإذا أطلق ذم فاعله ، وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد ، نحو قوله (عليه الصلاة والسلام) : « إن من البيان لسحرا » ، أى أن بعض البيان سحر لأن صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر . وقال بعضهم: لما كان فى البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقى وقيل هو السحر الحلال .

مناقشة :

ليس من الطبيعى أن يوازن ماورد من المادة السابقة فى المصباح المنير بما ورد فى كتب المطولات ، وإنما تصلح الموازنة بماورد فى الموجزات السابقة عليه . وماذكرمع ذلك ، فى هذه المادة ، ليس بالقليل ، وماجاء فيها من المناقشات وأساليبها وتنوعها يكفى للحكم على هذا الكتاب ، ويحسن أن نتناول بشئ من الإيضاح بعض هذا الإجمال .

١ - وردت المادة السابقة فى فصل السين مع الحاء ومايثلثهما بعد مادة (سح) وقبل مادة (سحق) ووضعت المادة فى صورة اسم معرف بأداة التعريف : السحر . ولم يلتزم القيوى وضع المادة ، عندما يبدأ الحديث عنها ، فى صورة معينة ، فقد يضعها فى صورة الفعل متصلا بفاعله وبمصدره ، وبمفعوله المباشر أو غير المباشر (بوساطة حرف الجر) ، وهذا غالب مايصنع ، خاصة إذا غلبت صورة الفعل واستعمالاته:

(١) سورة : ٢٠ - آية : ٦٦ .

مثل : (سبكت) الذهب سبكا من باب قتل : أذبتة وخلصته من خبثه ، ومثل :
(سجعت) الحمامة سجعا من باب نفع : هدرت وصوتت .

وقد يذكر المادة في صورة المصدر مثل : (التسبيح) . التقديس والتنزيه ؛ أو اسم
الذات يضعه في صورة المفرد وهو الغالب ، مثل : (الرصد) : الطريق وأجمع أرساد
مثل سبب وأسباب، أو في صورة الجمع ، مثل : (الرعا ع) بالفتح : السفلة من الناس ،
الواحد رعا عة ، ويقال هم أخلاط الناس .

وقد عالجت الدراسة في هذا الكتاب ، في غير موضع ، نهج المعجميين السابقين
واللاحقين في وضع صورة المادة عند بدء الحديث عنها .

٢- ويتبع الفيومي مشتقات المادة وصورها المستعملة، مثل تسَحَرْتُ أكلت السحور،
والسحُور بالضم: فعل الفاعل، والسحور بالفتح وزان رسول: ما يؤكل؛ وسحره بكلامه:
استماله، والسحَر بفتحيتين: قبيل الصبح، والسحر ما يجري مجرى التمويه والخداع .. إلخ.
وقد ذكر الرازي في مختاره صوراً أخرى من مادة سحر، لم ترد في المصباح. واعتذر
الفيومي مقدما عن مثل هذا الصنيع، بأنه اقتصر على ما هو الأهم ولا يكاد يستغنى عنه.
ومن المعروف أن الحكم على بعض صور المادة بأهميته، أو بأنه يمكن الاستغناء عنه،
نسبي يختلف فيه تقدير الناس، ولكن الاقتصار عليه ضرورة تحتمها طبيعة المعجم الموجز.

٣- وعناية الفيومي بضبط صور المادة تعوز معاجم أخرى، وقد رسم له خطة اتبعها ،
وزاد عليها ، وتتضح بعض معالمها في المادة المقتبسة قبل ، ومن مظاهرها التمثيل بلفظ
مشهور : فلفظ : السحر ، فيه ثلاث لغات : وزان قلس ، وسبب ، وقفل : والسحور
وزان رسول : ما يؤكل . وكذلك في غير هذه المادة ، مثل : الجعبة للنشأب والجمع جعاب
مثل كلبة وكلاب ، ومثل : جمره النار : القطعة الملتهبة ، والجمع جمر مثل تمره وتمر .

ويلاحظ في هذه الصور ذكر الجموع إن كان للكلمة جمع وضبطها بنفس الطريقة
وكثيرا ما ينص على نوع الضبط، فيقول: السحر بفتحيتين: قبيل الصبح، وبضمتين لغة،
السحور بالضم: فعل الفاعل ومثل: الجهد بالضم، في الحجاز، وبالفتح في غيرهم: الوسع
والطاقة. وقيل: المضموم الطاقة والمفتوح المشقة. والجهد بالفتح لا غير: النهاية والغاية. وفي
الأفعال يمثل بفعل مشهور الضبط فإن ذكره مع مصدره دخل المصدر في التمثيل، وإلا
احتاج إلى نص خاص إن دعت الضرورة ، مثل : سخرت منه ، وبه . قال الأزهري ،
سخرأ من باب تعب : هزئت به ؛ ومثل : سكرت النهر سكرأ من باب قتل : سدده،

والسكر بالكسر : ما يسد به . وزل عن مكانه زلا ، من باب ضرب: تنحى عنه ، ومثل: زل زللا ، من باب تعب ، لغة، ومثل : سحقت الدواء سحقا من باب نفع ، فانسحق .

ويلاحظ في هذا المجال أن الفيومي استغنى عن تكرار الضبط إن كان للفظ الواحدة أكثر من معنى أو استعمال ، مثل: أنف من الشيء ، بالكسر: إذا غضب ، وأنف : إذا تنزه . فالفعل في الاستعمالين بنفس الضبط الذي نبه عليه من قبل .

ولاشك أن العناية بالضبط تفيد الدارسين المبتدئين والناشئين ويقرب الشقة للمشتغلين بالعلم . وقد نبه أبو بكر الرازي إلى أهمية الضبط وجدوى العناية به فقال : « وإن أكثر أصول اللغة إنما يقل الانتفاع بها ويعسر لعلتين : إحداهما عسر الترتيب بالنسبة إلى الأعم الأغلب . والثانية قلة الضبط فيها بالموازن المشهورة ، وقلة التنصيص على أنواع الحركات اعتماداً من مصنفها بالشكل الذي يعكسه التبديل والتحرير عن قريب ، واعتماداً على ظهورها عندهم فيهملونها من أصل التصنيف » .

٤ - ولعل من أهم ما هدف إليه الفيومي من تصنيف مصباحه أن يجعل للقارىء المعنى بالتشريع ، المعانى الشرعية والمصطلحات الفقهية، وبعض الأحكام يعرض لها في يسر وإيجاز. والأمثلة في كتابه لا يحصيها عد . ففي مادة : السحر ، حدد مفهوم السحر في عرف الشرع ، بعد أن مهد له بالشرح اللغوي . فقال : « وسحره بكلامه : استماله برقته وحسن تركيبه . قال الإمام فخر الدين في التفسير : ولفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع » ومثل هذه الإشارة لم تعن بمثلاً بعض المعاجم ، فلم يشر إليها معجم موجز ، كمختار الصحاح ، ولم يشر إليها معجم مبسوط لاحق كالقاموس المحيط . وفي مادة : سكر ، حديث طويل ، ونقد طويل لتأولى النصوص المفيدة تحريم مايسكر ، ومناقشة لغوية ونحوية تعيد الحق وتدحض الباطل .

وعناية الفيومي بهذا الجانب تتفق مع تكوينه الثقافى واتصاله اتصالاً كبيراً بدراسة التشريع الإسلامى ، وحرصه على أن يخدم كتاب « الشرح الكبير للرافعى » ، ومن ثم جاء اسم كتابه : « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » .

٥ - وتتمثل عنايته بكتاب الرافعى كذلك ، فى أنه أضاف إلى اهتمامه بجلاء المشكلات اللغوية والشرعية ، اهتمامه بجلاء مايعين على فهمها ، بماعرض له من مناقشات صرفية أو نحوية ، أو ذكر طرائف من منقول الأدباء والعلماء .

ولا تعوز القارىء الأمثلة الكبيرة على هذه العناية ، ففي مادة : سوسن ، يقول :
« والسوسن : نبات يشبه الرياحين ، عريض الورق وليس له رائحة فائحة كالرياحين .
والعامية تضم الأول ، والكلام فيها مثل جوهر وكوثر ، لأن باب فوعل ملحق بباب فعلل
بفتح الفاء واللام ، وأما فعلل بضم الفاء وفتح اللام فلا يوجد إلا مخففاً مثل جندب ، مع
جواز الأصل ، والأصل هنا ممتنع فيمتنع الإلحاق » .

وفي مادة : شكوى ، يناقش الفيومي معنى همزة التعدية التي تصير الفعل اللازم
متعدياً ، ويبين أن معانيها السلب والإزالة ، كأعجم بمعنى : أزال العجمة ، وأشكى
بمعنى : أزال سبب الشكوى ، يقول الفيومي : « وأشكيت بالالف : فعلت به ما يحوج
إلى الشكوى ، وأشكيت : أزلت شكايته ، فالهمزة للسلب مثل أعريته إذا أزلت عريه
وهو فساد ، ومنه شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حر الرضاء في
جباهنا ، فلم يشكنا أى لم يزل شكايتنا » .

وفي مادة : حوز ، يقول : « والحوزة : الناحية ، والحيز : الناحية أيضاً . وهو فيعمل ،
وربما خفف ، ولذا قيل فى جمعه أحياز ، والقياس أحواز ، لكنه جمع على لفظ المخفف ،
كما قيل فى جمع قائم وصائم : قيم وصيم على لغة من راعى لفظ الواحد » .
وكثير من أمثال هذه المناقشات لا يعنى بها بعض المعاجم .

٦ - وأيد الفيومي قضاياه بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، وبحديث رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) ، وبالمأثور من كلام العرب ، شعرهم ونثرهم . وقد مرت أمثلة كثيرة
فى المناقشات السابقة دليلاً على هذه الملاحظة . ومن استشهاده بالشعر ما جاء بعد
مناقشة ، حول تأنيث أو تذكير لفظ « السكين » ، وأن تأنيثه قد يرد فى الشعر ،
كما أنشد الفراء : بسكين موثقة النصاب .

وفي مادة : ذوى استدل على استخدام كلمة : « ذات » بمعنى شىء ونفس ، ببيت
حكاه ابن فارس هو :

فنعم ابن عم القوم فى ذات ماله إذا كان بعض القوم فى ماله كلباً
أى : فنعم فعله فى نفس ماله من الجود والكرم إذا بخل غيره ، ويقول النابغة :
محلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون خيراً العواقب
أى كتابهم عبودية نفس الإله .

٧ - والمعجم لا يهمل التعريف بالنبات والحيوان ، في النطاق الذي يسمح به معجم لغوى موجز ، ولا يضمن عند هذا التعريف بالضبط ، والمناقشة اللغوية ، أو التعرض لبعض قضايا التصريف أو النحو ، أو الاستشهاد بمأثور قديم ، شأنه في علاج سائر المواد . ومن ذلك تعريفه بالسوسن ، السابق الإشارة إليه في الفقرة السابقة ، ومثل ما ذكره في مادة : الإجاص ، مشدد : معروف ، الواحدة إجاصة، وهو معرب لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية .

وفي مادة : البير ، قال : البير حيوان يعادى الأسد ، والجمع بيور مثل قلس وقُلوس . قال الأزهرى : وأحسبه دخيلاً وليس من كلام العرب .

وفي التعريف بالبيغاء ، يقول : البيغاء طائر معروف، والتأنيث للفظ لاللمسمى كالهاء في حمامة ونعامه ، ويقع على الذكر والأنثى، فيقال: بيغاء ذكر وبيغاء أنثى ، والجمع بيغاوات مثل صحراء وصحراوات .

تقدير الكتاب

ليس عسيراً بعد الدراسة المتقدمة الحكم على معجم « المصباح المنير » ، النماذج اليسيرة التي تقدمت مناقشتها لاتغنى عن ضرورة العودة إليه مرات ومرات . فاهتمام صاحبه باستمداد مواده من المصادر العربية الأصيلة التي أشار إلى بعضها في خاتمة كتابه ، وأثر هذا الاستمداد ، واضح في علاج المادة من نواحيها اللغوية ، ومن جوانب الاشتقاق والتصريف والتعليل النحوي والتشريعى المستند إلى آراء العلماء ، المستشهد له بالصفوة المختارة من مأثور اللغة ، وفي قمتها القرآن الكريم ، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم البليغ من سائر كلام العرب .

وإذا كان هذا الموجز لا يبنى بحاجات الدارسين على تنوع ثقافتهم ، فإنه يفيد في بعض جوانبها . ولن ينشأ أى موجز معجمى آخر بحاجات جميع الدارسين كذلك .

ولكن هذا المعجم قد يكون هادياً عند التصدى لوضع معجم موجز للدارسين في هذا العصر ، وهو الهدف الذى يسعى إليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وتحاوله العلماء والهيئات المعنية بتيسير المعجم العربى . وقد فطنت « نظارة المعارف العمومية » فى مطلع هذا القرن إلى أهميته ، فنشرته، ووضعت بين أيدي الدارسين .

تقديم :

أشرنا فيما تقدم إلى أن العصر الحديث وجه العناية إلى اللغة العربية بما وضع علماءها من معاجم سارت على درب الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ .) في اختياره الحرف الأول من حروف المادة الأصلية أساساً لتبويب كتابه ، وأن من بين هؤلاء البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣ م .) صاحب « محيط المحيط » .

ونود ألا يفوتنا في هذا المقام الحديث عن معجم سعيد بن عبدالله بن ميخائيل الخوري الشرتوني ^(١) الموسوم بـ « أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد » ، مستجيباً بذلك رغبة الآباء اليسوعيين في لبنان « الذين جذبهم حب هذه اللغة الشريفة ، و عرفان مرتبتها المنيفة ، مع أجنبييتهم عنها ، إلى أن يفرضوا تعليمها في مدارسهم ، وذلك ليأتى الطالب على اللغة ولو مرة في مدة الطلب ، فتتعرف المعاني في ذهنه إلى ما يليق بها من الألفاظ ، ويتمرس بأساليب اللغويين ، وتترأى له بلاغة كلامهم » . ولم يجد الآباء اليسوعيون في كتب اللغويين السابقين ما يحقق أغراضهم التربوية ، وذلك لالتزام المؤلفين ذكر ألفاظ السوءات وما يتعلق بها ^(٢) . وبهذا يستهدف هذا المعجم الجديد غرضاً تهذيبياً بجانب أغراضه العلمية غير العديدة .

ويصرح الشرتوني في مقدمة معجمه بمصادره التي استقى منها مادته ، فيذكر منها : لسان العرب لابن منظور ، والأساس للزمخشري ، والصحاح للجوهري ، ومصباح الفيومي ،

(١) ولد في شرتون بلبنان ، وتعلم في مدرسة عبية الأمريكية ، وعكف على تدريس اللغة العربية في مدرسة اليسوعيين ببيروت . كتب أبحاثاً كثيرة في المجلات السورية والمصرية (الأعلام) .

(٢) مقدمة المعجم : ٨ .

وقاموس الفيروزآبادى ، ومختار الرازى ، ومجمل ابن فارس ، وكتبا أخرى ذكرها فى صدر كتابه .

وأراد ألا يقع فيما وقع فيه السابقون من اللغويين حين يتحدثون عن الحيوان والنبات فلا يوضحون مبهما أو يزيلون غرابة . فلجأ إلى طريقة جديدة بينها بقوله: «واعلم أن أقرب طريقة عندي لتعريف كل نوع من النبات والحيوان هى أن يفسر اسمه فى الصحيح بما يعرف به من الأسماء العامية فى كل طرف من أطراف البلاد العربية، مع ذكر اسمه بالفرنسية، فإن تأليف الإقرنج فى ذلك على غاية الوضوح، لأنهم إذا ذكروا نباتاً أو حيواناً رسموا صورته، وذكروا من أى فصيلة هو، وعدادوا أوصافه وخاصياته ومنافعه، كما فعل ابن البيطار، ويستطيع القارىء حينئذ سبيلاً إلى معرفة مسمى ذلك الاسم^(١) .

ولاشك أن الاستعانة باللهجات العامية للبلاد العربية ، وبلغة أجنبية دقيقة التعبير والتحديد، مما يسهل مهمة المعجم ، ويسر على الباحث الوصول إلى ما يبغي وإن كان ذلك قد أضاف إلى المؤلف عبئاً مضمياً يذكر له بالتقدير .

ويلاحظ أن الشرتونى تصرف فيما نقل من الكتب القديمة بالحذف ، أو تغيير العبارة متى رأى ضرورة لذلك ، وحافظ على الأصل فيما لم تمس الحاجة إلى تناوله بالتعديل . ويقول فى هذا : «وقد تحريت المحافظة على عبارات الأقدمين ، والوقوف عند كلام الفحول المقرمين ، ائتماً بمن تقدمنى من عليه المؤلفين وثقات المصنفين ، فهم أرحب منا فهما لمعانى كلام العرب، لمكان مشافهتهم وأعلى بدأً فى تفسيره لموضع مخالطتهم ومعاشرتهم^(٢) .»

وعدل الشرتونى عما كان قد اعتزمه من الاقتصار على المشهور الشائع وهجر ما يقل دورانه على الألسن أو عزف الأدباء والكتاب عنه . دعاه إلى هذا ما قصد إليه من وفاء كتابه بحاجات الناس جميعاً، وتلبية رغبات الباحثين ، خاصة عندما رأى فى بعض مطبوعات الكاثوليكية من كلام العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ما لا ذكر له^(٣)؛ ومن

(١) مقدمة المعجم : ٩ .

(٢) مقدمة المعجم : ٧ .

(٣) أقرب الموارد : الخاتمة : ٤ : ١٥٠ .

ثم نجد الشرتونى يستشهد بكلام الأقدمين . وما أثر من مذخورهم .

وصدر الشرتونى معجمه بمقدمة وسبعة مقاصد تحدث فيها عن نهج الكتاب وما ارتضاه من تنظيم رجا منه فائدة الدارس .

وقسم الشرتونى كتابه قسمين ، أولهما فى مفردات اللغة الصرفة . والثانى فى المصطلحات العلمية والكلام المولد والأعلام . وللكتاب ملحق أطلق عليه اسم « الذيل » ضمنه ثلاثة مقاصد تحدث عنها فى مقدمة كتابه فقال : الأول : ما كنت قد أهملته وذهلته من الكلام الوارد فى كتاب أهل اللسان . والثانى : كل مانء عن التدوين مما أفلتته أقلام العلماء من أصحاب هذا الشأن ، وهو الضوال (١) التى من الله على باستدراكها على المتقدمين فى العلم والزمان . وقد استخرجها المؤلف من تصانيف البلغاء ، ودواوين الشعراء ، ومن كتب اللغة التى عنيت بأمثال هذه البحوث . والثالث : إصلاح ما أدب إليه الاطمئنان إلى القاموس وغيره من الأغلاط اللغوية . وقد ضمن الشرتونى هذا البحث جدولا مطولا يشتمل على بيان الأغلاط التى وقعت فى معجمات المتقدمين مع إصلاحها ، اعتماداً على ما نقله من الثقات من أهل اللسان .

وقد طبع القسم الأول من أقرب الموارد مع الذيل فى جزئين يضمن ألفا وخمسمائة صفحة سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ . بمطبعة مرسلى اليسوعية ببيروت .

خصائص الكتاب :

يضيف هذا الكتاب إلى المكتبة المعجمية زاداً جديداً قيماً سهل التناول عظيم النفع ، أفاد من تجارب اللغويين قبله ومن أعمالهم ، كما أفاد من اتصاله بالدراسات الأجنبية الحديثة ، فجاء كتابه جامعاً لخير القديم والحديث . ويبدو هذا بالعودة إلى الكتاب وفحصه ، ونستطيع أن نعرف ببعض خصائصه فيما يلى :

١- قسم الشرتونى معجمه أبواباً حسب الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، فباب الهمزة للكلمات المبدوءة بهمزة أصلية ، وباب الباء للمواد المبدوءة بالباء ، وهكذا . وقسم كل فصل حسب الحرف الثانى من حروف المادة الأصلية ، ورتب المواد فى كل

(١) جمع ضالة : الشاردة .

فصل حسب الحرف الثالث، فالرابع فالخامس إن كانت المادة ثلاثية أو رباعية أو خماسية على التوالي. ومع اتصال الشرتونى بالمعاجم الأوربية، واختيار ترتيب كلماتها ترتيباً يخضع لهجائها، اختار الشرتونى العودة بالكلمات إلى أصول موادها، اغتناماً لما فطن إليه اللغويون العرب من الصلة القوية بين أصل المادة ومشتقاتها وسائر صورها من جهة، وللرابطة التى تربط أصل المادة بسائر فروعها وصورها المنبثقة منها بطرق التنمية اللغوية المعروفة فى العربية: الاشتقاق وغيره، من جهة أخرى. ولأن اختيار نهج اللغويين العرب يعين فى الحفاظ على حجم الكتاب المعجمى وصورته، إذ يحول دون اضطرار الكاتب إلى تكرار الحديث عن المعنى الواحد فى أكثر من موضع تبعاً لكثرة المشتقات المنبثقة من أصل واحد وتعددتها، ودلالاتها على ظلال أو صور لمعنى واحد.

ويلاحظ أن الشرتونى قدم لكل باب بالحديث عن الحرف المعقود له الباب، وفى باب الهمزة، تحدث عن أقسامها لينة ومهموزة، وعن موقعها من الحروف الهجائية، واستعمالاتها المختلفة، وتصرفاتها فى كل استعمال.

وقد فعل ذلك من قبله من أصحاب المعاجم الحديثة بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) فى كتابه « محيط المحيط » وزاد عليه أنه كان يعرض لذكر أسماء الحرف فى اللغات السامية. وصنع ذلك الصنيع من بعده: « المعجم الكبير » الذى يصدره المجمع اللغوى بالقاهرة.

٢ - ووضع الشرتونى المادة التى يتوخى شرحها فى بدء السطر بين نجمين * .. * ، ووضع فروعها بين قوسين (..) ، وأكثر ما يكون ذلك فى بدء سطر جديد إلا إذا كانت متصلة بكلام قبلها.

ولاشك أن هذا التنظيم مفيد، وأنه ثمرة اتصال الشرتونى ودرأيته بالمعاجم الإفرنجية.

٣ - عنى الشرتونى بضبط مواد معجمه، واستفاد من كتب المعجميين السابقين ونهجهم فى الضبط، وكذلك استفاد من رموز الشكل للكلمات العربية، وضم النهجين بعضهما إلى بعض، فضبط الألفاظ بالقلم بجانب النص على نوع الضبط.

فإذا ذكر اسماً وعقبه بقوله: « بالضم »، نحو: (الذرعة) بالضم، فالضبط لأول الاسم، وإذا عقبه بقوله: « بالتسكين »، كان الضبط للحرف الثانى، لأن العربية

لا تبدأ بساكن . وإذا عقبه بقوله : « بالتثليث » أو بقوله « مثلثة » ، فذلك إشارة إلى أن
فى أول هذا الاسم ثلاث لغات . مثل : (الطحمة) مثلثة ، من الوادى . والسيب :
دفعته ومعظمه . فحرف الطاء من هذه الكلمة فيه لغات الضم والفتح والكسر .

وإن ذكر الاسم ، وقال بعده : « بالتحريك » أو : « بمحركة » ، كان المراد فتح
الحرفين الأول والثانى ، مثل : (السحر) ، محركة : قبيل الصبح : ومثل : (الشبر)
محركة : مثل الخبْط والخبْط والنَّفْض والنَّفْص . فبالسكون مصدر وبالتحريك اسم العطية
والخير . ومثل : (الشبث) محركة : العنكبوت ودويبة كثيرة الأرجل من أحناش
الأرض ج شبثان وأشبات .

وكذلك يضبط أحيانا الحرفين الأول والثانى من الاسم بمثل قوله : بضم ففتح ، أو
بفتح فكسر ، أو بفتح فضم ، أو بضميتين ، أو بكسرتين .

وإن كانت الكلمة رباعية وعقبها بقوله : « بالتثليث » ، كان الضبط لأولها وثالثها ، مثل :
(الطحربة) مثلثة : القطعة من الغيم ، ومن الثوب . وقيل خاص بالجحد : يقال : « ماعلى
فلان طحربة » : أى قطعة خرقة « مافى السماء طحربة » : أى شىء من غيم .

وكذلك يضبط الحرفين الأول والثالث من الكلمة الرباعية بمثل قوله : « بالضم ، أو
بالفتح ، أو بالكسر » ، إشارة إلى اشتراكها فى الحركة .

وكثيرا ما يجمع بين الضبط والتمثيل بلفظ مشهور ، مثل : (الطحلب) كقنفذ
وجندب وزبرج : خضرة تعلو الماء المزمع ، والقطعة طحلبة ، ومثل : (الضحضع)
كجعفر : الماء اليسير .

٤ - واهتماماً بضبط الفعل الثلاثى ، استخدم الشرتونى رموزا لضبط أبوابه الستة
وهى :

الباب الأول : باب نصر ينصر بفتح عين الفعل الماضى وضم عين الفعل المضارع ،
ورمز له بالحرف (ن) .

الباب الثانى : باب ضرب يضرب ، بفتح عين الفعل الماضى وكسر عين الفعل
المضارع ، ورمز له بالحرف (ض) .

الباب الثالث : باب قطع يقطع ، بفتح عين الفعل الماضى والمضارع ، ورمز له بالحرف (ع) .

الباب الرابع : باب علم يعلم ، بكسر العين فى الفعل الماضى وفتحها فى الفعل المضارع ورمز له بالحرف (ل) .

الباب الخامس : باب كرم يكرم ، بضم العين فى الماضى والمضارع ، ورمز له بالحرف (ر) .

الباب السادس : باب حسب يحسب، بكسر العين فى الماضى والمضارع ورمز له بالحرف (ب) .

ويلاحظ أن الشرطونى لم يتبع فى اختيار الرموز السابقة موقفاً واحداً ، فقد اختار الحرف الأول أحيانا : (ن ، ض) كما اختار الحرف الأخير فى الباب الثالث : (ع) والحرف الأوسط فى الأبواب الرابع والخامس والسادس : (ل ، ر ، س) ، وكان الأولى أن يوحد أساس الاختيار .

٥ - من أهم ما يرى فى هذا المعجم أن الشرطونى بدأ بالحديث عن الأفعال فى المواد التى ترد من أصولها الأفعال والأسماء . ففى مادة : ط ر ز ، يتناول الفعل، لازمه ومتعديه . ومجرده ومزیده ، ثم يتناول الصفات والأسماء المتصلة بأصل المادة . وكذلك يصنع فى سائر المواد .

وليس ضرورياً أن يبدأ من الأفعال بلازمها أو متعديها ، فإن الضابط لديه أمر آخر هام هو وزن الفعل الثلاثى ، يجعله مفتاحاً لحديثه . مثال ذلك مادة : ش ب ر ، فقد جاء حديثه عنها كما يلى :

* شَبْرَ * الثوب وغيره ن ض شَبْرًا : كاله بالشبر، وهو مأخوذ من الشَّبْر كما تقول ذرعه من الذراع و - فلاناً مالا وسيفاً : أعطاه إياه .

(شَبْرًا) الرجلُ ل شَبْرًا : بَطْر .

فبدأ فى المثل السابق بالفعل المتعدى : شَبْرَ الثوب ، لأنه يرد بوزن نصر ووزن ضرب . وآخر الحديث عن الفعل اللازم لأنه يرد من باب علم ، وهو متأخر فى ترتيب

الأبنية المختار لديه بعد وزنى نصر وضرب . وفى مادة ش ب م ، يقول :

* شَبِمَ * الجذى شَبِمًا : جعل الشبام فى فمه .

(شِيم) الماء شِيمًا : برد

وفى مادة : ش ت ر ، يقول :

* شَتَرَ * الشيءَ ض شَتْرًا : قطعه . و - عينه : قلب جفنها .

(شتر) الشيء ل شترًا : انقطع .

وفى مادة : ش ر ر ، يقول :

* شَرُّ * اللحم والأقط والثوب ن شَرًّا . وضعه على خصفة أو غيرها فى الشمس ليجف .

وفلاتًا : عابه وازدرى به . و - الرجل : زاد شره .

(شَرُّ) الرجلُ ن ض ل ر شَرًّا : أتى منه الشر . و - اتصف بالشر .

وفى مادة : ب ك ي ، يقول :

* بَكَى * يبكى بكاءً ويُبكى : سال الدمع من عينيه حزناً ، فهو (باك ج بكاءً ويُبكى) .

(بكاه) يبكيه ض بُكَاءً : بكى عليه ورثاه . وبكت السحابة فى أرضهم صبت ماءها .

وفى المثال الأخير يبدأ بالفعل اللازم ثم يعقبه بالمتعدى ، على غير ما صنع فى الأمثلة السابقة عليه .

والشرتونى يلتزم فى إيراد الأفعال أسبقيتها فى ترتيبها من الأوزان التالية :

فَعَل (بفتح العين) فَعَلَ (بكسر العين) فَعُل (بضم العين) .

ثم فَعُل ، فاعل ، أَفَعَلَ ، أَفَعَلْ ، تَفَعَلَ ، تَفَاعَلَ ، انْفَعَلَ ، انْفَعَلْ ، افْتَعَلَ ، افْتَعَلْ ، اسْتَفَعَلَ .

وكذلك يصنع مع الأسماء ، ويمكن أن يلاحظ الترتيب الآتى بعد ، فى حديثه عنها .

فَعَلَ (بفتح فسكون) ، فَعَلَ (بكسر فسكون) فَعَلَ (بضم فسكون) فَعَلَ

(بفتحتين) فَعَلَ (بفتح فكسر) فَعَلَ (بكسر ففتح) ، فَعَلَ (بكسرتين) فَعَلَ

(بضمتين) ، فَعَلَ (بضم ففتح) .

وكذلك يلتزم الترتيب فى المزيد فيذكر المزيد بحرف ثم المزيد بحرفين ، ثم المزيد بثلاثة ،

فى الأفعال والأسماء .

٦ - يذكر الشرتونى الصيغ المقيسة أحيانا ، مثل : اسم المرة ، والنوع ومصادر ما فوق الثلاثى ، وجمع السلامة بقسميه للاستثناس ، وكثيرا ما يغفل ذكرها للعلم بطريقة أخذها ، دأب بعض اللغويين .

٧ - وعرف بالأعلام فى إيجاز حتى لا يلحق المعجم بكتب التراجم ، مثل : سيبويه : لقب لعمر بن عثمان الشيرازى إمام النحاة . ومعنى سيبويه راتحة التفاح . ومثل : ذو السهم لقب معاوية بن عمرو الضبى ، ومثل : المرقشان : شاعران : المرقش الأكبر عمرو بن سعد ، والرقش الأصغر ربيعة بن حرملة .

كذلك عرف بالنباتات والحيوان والأماكن والمعادن . وبعض هذا التعريف يحتاج إلى وفاء بما وعد به فى مقدمة كتابه : من اللجوء إلى ما يقابل هذه الأسماء فى اللغات الأجنبية ، ومن ذلك : السِداق : شجر ذو ساق قوية قشره حراق ، ورماد خشبه المحروق يبيض به غزل الكتان ، ومثل : السيسنبر : الريحانة التى يقال لها التمام ، جرى فى كلامهم وليس بعربى صحيح .

٨ - ونبه الشرتونى على الدخيل والمغرب ، وذكر ما يقابلها من لغاتها الأصلية مثل : السنْبوسق والمشهور بالكاف : ما يحشى بقدر اللحم والجوز ونحوه من رقاق العجين المعجون بالسمن أو الشيرج ، فارسيتها سنبوسة ، الواحدة سنْبوسقة ومثل : السنْج ، بضمين : العناب . معرب ، سنجة الميزان ما يوزن به كالأوقية والرطل ، معرب سنكة بالفارسية ، ويقال : صنْجة بالصاد ، وبالسين أفصح ج سنْجات . ومثل السندروس : صمغ شجر أو معدن شبيه بالكهرباء يجلب من نواحي أرمينية وهو من الأدوية الجبلية وربما وضع شىء منه فى الخبر لإصلاحه . دخيلة .

٩ - من مظاهر الاختصار فى هذا المعجم غير ماسبقت الإشارة إليه فى الفقرة الرابعة ، أنه استعاض عن تكرار الكلمة المفسرة لإفادة معنى جديد ، بوضع خطيطة عرضى يتوسط حرف العطف والتفسير الجديد . وقد اقتبس منه هذا الرمز صاحب «المنجد» وأشار كذلك بالرمز ج إلى الجمع ، وبالرمز جج إلى جمع الجمع ، مثل الشبث ، محرّكة : العنكبوت . ودويبة كثيرة الأرجل من أحناش الأرض ج شبثان وأشبات .

١٠ - كثيرا ما يستشهد الشرتونى لتأييد معنى الكلمة المفسرة بالقرآن الكريم

وبالحديث الشريف ، ومأثور كلام العرب : شعر ونثر ، غير ملتزم بما ورد في عصور الرواية ، كما كان يلتزم ذلك السابقون من اللغويين . ويضع الشرتوني ما يستشهد به بين علامتى تنصيص « » ومن استشهاده ما جاء في مادة : رف ت قال : وفي القرآن « إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقاً جديداً (١) » ومن استدلاله بالحديث الشريف ما جاء في مادة : ر ق ع ، قال : وفي الحديث « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » وفي مادة : ر غ ب استدل بقول المتنبي .

فتى علمته نفسه وجدوده قراع العوالى وابتذال الرغائب

تقدير الكتاب :

لقد أدى هذا المعجم خدمة جليلة في الميدان اللغوى ، وتلقاه العلماء والدارسون بترحيب شديد ، وتناولوه بالإطراء والثناء ، كما وجهوا إلى بعض ما فيه شيئا من النقد . وذلك أن اللغويين الحريصين على حفظ التراث اللغوى وصيانتة عن أن يختلط بالألفاظ المولدة والتعبيرات العامية لم يرق في عيونهم ما لجأ إليه الشرتوني من ذكر ما يقابل أسماء النبات والحيوان من اللهجات العامية في البلاد العربية ، ومن هؤلاء الأب أنستانس الكرملى اللغوى .

ولكن هذا النقد لا يطغى على المزايا الكثيرة التى يراها قارىء المعجم ، والتى أعجب بها كثير من العلماء ، ووفوها حقها من الثناء والتقدير .

(١) سورة الإسراء الآية : ٤٩ . وقد وردت الآية الكريمة في معجم الشرتوني محرقة ، ولم يصب

الخطأ في ثبت التصويب ، فلزم التنبيه .

تقديم :

اتصلت سلسلة البحوث اللغوية واستمرت الرغبة في تقديم الصالح من المعاجم للدارسين فوضع الأب معلوف اليسوعي (١) (١٨٦٧ - ١٩٤٦م) كتابه « المنجد » وقدمته المطبعة عام ١٣٢٦ - ١٩٠٨ م . واستعان فيه المؤلف بما تقدمه من المعاجم، واعتمد أكثر الاعتماد على « محيط المحيط » لبطرس البستاني (٢) (١٨١٩ - ١٨٨٣ م) واستفاد منه كثيراً . كما رجع إلى « تاج العروس من جواهر القاموس » للسيد محمد مرتضى الحسيني (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ) وغيره من كتب اللغة .

وتعلمه لويس معلوف على المعاجم القديمة ثم صلته بالدراسات الأوربية الحديثة ، كونت لديه منهاجا حاول أن يسير عليه ، فاهتم بالقديم وأضاف إليه تنظيم ورسوم المحدثين ؛ هذا إلى غرض آخر كان نصب عينيه منذ البدء ، وهو أن يجعل معجمه صالحا لتداول الناشئين ، فأغفل تسجيل « مايس حرمة الآداب من الكلمات البذيئة التي لا يضر جهلها وقلما أفاد علمها » .

(١) ولد في زحلة بלבnan ، وتعلم في بيروت وأوريا واشتغل بالتحرير في جريدة البشير زمنا يبلغ ثلاثين سنة .

(٢) بطرس بن يونس بن عبدالله البستاني . ولد في « الدبية » من قرى لبنان ، وتعلم بمدرسة « عين ورقة » وأتقن اللغة والمنطق واللغات السريانية واللاتينية والإيطالية وله كثير من المؤلفات . . ومن أعظم آثاره : دائره معارف البستاني ؛ أصدر منها سبعة أجزاء ، وأكمل أبناؤه وابن عمهم « سليمان البستاني » أربعة أجزاء أخرى . الزركلي : الأعلام .

ومادة الكتاب قريبة المأخذ ، سهلة التناول ، ميسرة الانتفاع بها ، مع إيجاز غير مخل ، ووفاء غير ممل ، . وقد عاد الأب لويس إليها ، كلما شرع فى إعادة طبع كتابه ، بالتنسيق والتنظيم والتهديب والزيادة ، وإضافة المزيد من الرسوم والصور الموضحة حتى بلغت نحو ألف رسم وصورة ، وقدمها للمطبعة لتصدرها فى حجم يسمح بتداولها ، ويغرى بالاستفاد بها .

نهج الكتاب وخصائصه :

يسير هذا المعجم على نهج الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) فى كتابه : « أساس البلاغة » فينظم المواد حسب الحرف الأول فالثانى فالثالث من حروفها الأصلية . ويقول لويس اليسوعى فى توضيح هذا المنهج : « ... فإذا كانت (الكلمة) مجردة ، فاطلبها فى باب أول حرف منها ، وإن كانت مزيدة أو فيها حرف مقلوب عن آخر ، فجردها أو ردها إلى الأصل » وبهذا لا ينفصل لويس معلوف عن نهج الأقدمين فى رعايتهم أصل المادة ، وتنظيم معاجمهم وفق حروفها ، رغم اتصاله بمعاجم الأوربيين واستفادته منها . وكذلك لم ينفصل عن تنظيم من سبقه ، حين قسم كتابه أبوابا بعدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين .

ومن المفيد أن نورد هنا نموذجا من كتابه ، يبين من مناقشته خصائص هذا المعجم وأهميته للدارسين .

مادة : س ب ط :

جاء فى المنجد :

■ (سبط - سبطاً) وسبباً وسبوطاً و (سبط - سبوطه وسباطة) .

الشعْرُ : سهل واسترسل وهو ضد جعد .

[سبط - سباطة] المطرُ : كثر واتسع .

[سبط - سبطاً] : أصابته سباط أى الحمى .

[سببُت] الناقة أو النعجة : ألفت ولدها لغير تمام أو قبل أن يتبين خلقه فهى

[مسببُت]

[أسبَط] : سكت خوفا . ضعف ، وقع فلم يقدر أن يتحرك - بالأرض : لصق بها - فى نومه : غمُض - عن الأمر : تغابى عنه .

[السبَط] : ولد الولد ويغلب على ولد البنت مقابل الحفيد الذى هو ولد الابن .
- من اليهود: كالقبيلة من العرب ج أسباط .

[السبُط والسَمَط] من الشعر : نقيض الجعد. السبُط من المطر : الغزير ج سباط يقال « هو سبَط اليدِين أو سبَط البنان » أى كريم . و « سبَط الجسم » أى معتدل القوام حسن القد .

[السبُط] الرطب من النصى : نبات كالذخن واحدته [السبُطة] .

شعر سبَط : غير جعد . السبُط أيضا : الشجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد .
[سبَاط] كقطام الحمى .

[سُبَاط] ويقال أيضا سُباط شهر : بين كانون الثانى وآزار أيامه ٢٨ . وفى السنة الكبيسة ٢٩ وهو يصرف ويمنع من الصرف .

[السبُاطة] ما يسقط من الشعر إذا سُرِح . الكناسة تطرح فى فناء البيت .
الموضع الذى تطرح فيه الأوساخ .

[السابوط] : دابة بحرية .

[الساباط] : سقيفة بين دارين تحتها طريق ج سوابيط وساباطات .

[السبُطانة] : قناة كالتصبة يرمى الطير بحصاة توضع فى جوفها .

المناقشة :

١- يلاحظ فى المادة السابقة أنها وضعت بين هلالين ، سبقتها نقطة مربعة الشكل دليل أصالة الكلمة فى العربية ، وأنها ليست دخيلة عليها .

أما الكلمات الدخيلة على العربية ، فقد رمز لها المعجم بنقطة مستديرة . توضع قبل الهلالين . مثال ذلك مادة : نارجيل ، فقد رسمها المعجم هكذا :

● (النارجيل والنأرجيل) : الجوز الهندى . الواحدة نارجيلة .

ومثل : ● (الجنزار والجنزير) تحريف زنجار وزنجير وهو الخضرة التى تعلقو النحاس .

٢ - وبين الهالين وضع المعجم أصل المادة ، مجردة في صورة الفعل الماضي . وهذا دأبه في المواد المشتقة منها أفعال .

أما فروع المادة التي يعرض لها بالشرح والتفسير ، فيضعها في أول السطر ، بين قوسين معقنين [] . ولاشك أن في هذا تيسيراً للقارىء يفيد في تنظيم المعجم الحديث . ويلاحظ أنه وضع النقطتين : ، عندما بدأ الشرح ، وبعد استيفاء بعض الصور ، أو المصادر المتصلة بالفعل الموضوع بين الهالين .

وهو لا يضع الفعل وحده ، وإنما يضعه في تركيب موجز ، يمهّد للمعنى التالي له ، فإن تغير استعماله أو تغيرت صورة الفعل ، نبه على ذلك ، مثل : سبط الشعر : سهل واسترسل ، وسبّط المطر : كثر واتسع . وهذا التركيب الموجز يخدم أكثر من غرض : فهو يشير كذلك إلى لزوم الفعل ، أو احتياجه إلى المفعول به أو أية مكملات أخرى ، فالفعل : « سبّط » لازم غير محتاج إلى المكملات ، والفعل : « نقل » متعد ، يحتاج إلى المكملات : « نقل .. الشيء » : حوله من موضع إلى موضع « و « جهد .. في الأمر : جد وتعب ، وجهد بالرجل : امتحنه » .

٣ - ويلاحظ كذلك أنه استوفى مصادر الفعل : سبّط ، وكذلك الفعل : سبّط . وهذا دأبه في كتابه .

٤ - وينبه على وزن الفعل بالشكل ، فالفعل : سبّط بكسر العين ، يأتي مضارعه بفتح العين ، ويشير إلى ذلك بوضع خط صغير فوقه فتحة (-) : (سبّط - سبّطا) وسبّطا وسبّوطا . والضبط بالشكل وإن كان مغنياً في المعجمات الموجزة ، يتطلب عناية بالغة ممن يقومون على نشرها ، ويستنفد لذلك كثيراً من الجهد .

٥ - التزم المنجد أن يبدأ في شرح المادة بالأفعال : مجردة ، ثم مزيدة ، ويعقبها بالأسماء : مشتقة ، وجامدة ، مجردة ثم مزيدة كذلك ، ويرتب الزيدات ، فيبدأ بالمزيد بحرف ، ثم حرفين ، ثم بثلاثة ، كما يرى في مادة : سبط السابقة فقد ذكر الأفعال : سبّط (مجردا) ، ثم سبّط / أسبّط ، وفي مادة : نقل ، ذكر الصور الآتية : نَقَلَ / نَقْلُ / ناقل / أنقل / تنقل / انتقل .

وفي الأسماء من مادة : نقل ذكر مايلي :

الناقل / الناقل / النقال (مصدر ناقل) النقال / النقل / النقل / النقلة / النقلة / النقلة / النقلة / النقلة / النقلة .

٦ - عنى المنجد بذكر الجمع في الأسماء ، وهو يشير إليه بالرمز ج ، مثل : السبّط

من المطر : الغزير ج سباط ؛ ومثل : الناقل ج ناقلون ونقلة .
 ومثل : البرعم والبرعمة ج براعم ، والبرعوم والبرعومة ج براعيم .
 ٧ - واستخدم المنجد كثيرا من الرموز ، رغبة في الاختصار ، هي :

مع = معروف	اسم الفاعل = فا
هـ = المفعول به	اسم المفعول = منع
- = تعنى أن عين المضارع مفتوحة	الجمع = جـ
= = تعنى أن عين المضارع مكسورة	جمع الجمع = جج
ـ = تعنى أن عين المضارع مضمومة	المصدر = مص
ـ = تعنى أن عين المضارع يجوز فيها	المؤنث = م
الفتح والكسر والضم .	المثنى = مث

٧ - لم يشأ صاحب المنجد ، وقد صرح بأنه لن يعنى دائما بذكر المقيس من الصيغ كاسم المرة واسم النوع ، أن يترك القارىء دون أن يعرفه بأحكامها القياسية ، من ذلك حديثه عن مزيدات الأفعال ، وعن الأسماء المشتقة من لفظ الفعل ، وهى : المصدر ، واسم المرة ، واسم النوع ، واسم المكان والزمان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وأفعال التفضيل ، وأمثلة المبالغة ، وخص كلا منها بشيء مجمل من الضوابط ، كما تحدث عن الصفة والموصوف وحالاتهما من حيث التذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، وتحدث عن أحكام النسبة ، والتصغير ، والإبدال ، وقواعد كتابة الهمزة .

تقدير الكتاب :

تقبل الدارسون هذا الكتاب بكثير من الرضا والإقبال، بنظامه المعجمي ، ويسره ، وأعجبوا بما قبس من المعاجم الأوربية ، ومن تيسيرات المطبعة الحديثة ، حين استخدم الرسوم والصور مستعيناً بها على توضيح المعانى ، ونماذج لرسوم الفن العربى ، والمخطوط العربية ، وللإنسان والحيوان والطيور ، والأشجار والنبات ، والأسلحة ، وآلات الطرب ، وغيرها مما يرى نظيره فى المعاجم الأوربية الحديثة .

وقد أضاف الأب لويس للمعجم فصلاً صغيراً تحدث فيه عن أشهر المعجمات العربية، وأخر جمع به طائفة من الأمثال مرتبة ترتيباً أبجدياً، وأطلق عليه اسم : فرائد الأدب ؛ هذا إلى فهرس للصور والرسوم الواردة بالكتاب .

وفى الطبعة الجديدة الصادرة فى شباط (فبراير) من عام ١٩٥٦ م قسم آخر ألحقه به : « الأب فردينان توتل اليسوعى » ، وسماه : « المنجد فى الأدب والعلوم » ، عنى فيه بالترجمة لطائفة من أعلام الشرق والغرب ، وزينه بكثير من الصور واللوحات والمخرائط الملونة . ويقول واضعه إنه ألفه تحقيقاً لرغبة الأب لويس معلوف ، الذى كان قد اعتزم الوفاء بها ، ولكن ظروفنا حالت دونه .

وبهذا صار « المنجد » بقسميه عملاً هاماً بين يدي الدارسين ، ويضاف إلى ماتكسبه المكتبة العربية كل يوم من ألوان الدراسة والإنتاج الجزيلة النفع .

تَهْنِئَة :

استمرت وستستمر إن شاء الله، الجهود التي يبذلها العلماء العرب وغيرهم من المستشرقين المعنيين باللغة العربية ودراساتها؛ نذكر منهم: «فراي تاج G. W Freytag الذي وضع معجماً عربياً لاتينياً في أربعة أجزاء، أعوام ١٨٣٠ - ١٨٣٧ م (١) و«كزيمرسكى de Biberstein Kazimirski الذي كتب قاموساً عربياً فرنسياً في باريس سنة ١٨٦٠ م. (٢) وفيشر August Fischer (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) (٣) الذي حاول أن يرسم الطريق لوضع معجم عربي تاريخي منظم للغة العربية يسد النقص الشاغر في المكتبة اللغوية، وبنى بحاجات العلماء، ويخضع للمناهج العلمية الحديثة. وألقى فيشر بثمار جهوده الأولى بين يدي مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٤)، فعنى بها، ونشرها لتكون موضع دراسة العلماء، وتذكرة ودعوة لإتمام هذا العمل الهام. واستفاد المجمع من منهج فيشر في هذه المحاولة ومن جهود أعضائه، فبدأ بوضع المحاولة الأولى والأساس المرتقب « للمعجم الكبير » وأصدر القسم الأول (٥) من الجزء الأول منه في ٢٢ من

(١) فيشر: المعجم اللغوي التاريخي: ٦.

(٢) فيشر: المعجم اللغوي التاريخي: ٧.

(٣) مستشرق ألماني. ولد في هاله، كان أستاذاً للغات الشرقية في ليبزج وأنشأ بها مجلة للاستشراق سنة ١٩٢٤ م. وكان بين مؤسسي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، واشترك مع زملاء له في وضع المعجم العربي الحديث (المنجد في العلوم والآداب، بيومي مذكور: المجمع اللغوي).

(٤) التقرير الرسمي الذي قدمه فيشر وأقره المجمع. المقتطف: مارس ١٩٤٩ م. معجم فيشر: مقدمة ونموذج منه سنة ١٩٥٠ م، فيشر، المعجم اللغوي التاريخي ١٩٦٧ م.

(٥) يضم هذا القسم ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير، عدا فهرس قيمة تستغرق ٦٠ صفحة، ومقدمة تقع في ثمانين صفحات. وقد تحدث عن مواد حرف الهمزة وانتهى منها بمادة: أخی. (طبعته المطبعة الأميرية بالقاهرة) .

جمادى الثانية سنة ١٣٧٥ هـ . (الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٥٦م) ، وأذاعه بين جميع المهتمين بالشئون اللغوية ، متطلعا أن يعنوا بدراسته، وإبداء ما يرون بشأنه، حتى يعمل المجمع على إصداره فى الصورة العلمية المرجوة .

وقد رسم المجمع المخطوط الأساسية لتصنيف هذا المعجم ، ورأى ألا يقف فى تسجيل الثروة اللغوية عند الحدود الزمنية التى وقف عندها الأقدمون ، وتحاشوا أن يتخطوها، وقرر أن يسجل كل ما أثمرته الحضارة العربية فى شتى الميادين ، وأن يعتد بالأجيال الكثيرة التى تكلمت اللغة العربية وكتبتها منذ عصورها الأولى حتى عصر تسجيل المعجم . فبينما نرى قدما اللغويين لا يحتجون بموروث اللغة بعد عصور الاحتجاج التى رأوا أن اللسان العربى قد فسد بعبثها ، نجد المجمع اللغوى يحرص على هذا التراث ويتمسك به ، فإنه ثمرة فلسفات وثقافات وخبرات وتجارب لها حسابها فى تاريخ الأمة العربية .

وكان من الضرورى أن يضع المجمع بعض القيود عند تسجيل هذه الثروة، فإن الألفاظ والمصطلحات الخاصة بفرع معين من المعرفة ، والتى يقصر تداولها على جماعة من أصحاب هذا العلم أو الفن ، ليس فى عزلها من المعجم العام التداول بأس ، بل إن من المفيد أن تخصص لأمثال هذه الألفاظ والمصطلحات معاجم علمية أو فنية خاصة . ويقول المجمع فى هذا الصدد : « ومع ذلك ، فلا ينبغى أن تنتظر أن تجد فى هذا المعجم كل ما تحتاج إلى فهمه من الألفاظ ، فليس هو معجماً علمياً ، ولن يأخذ من مصطلحات العلوم على اختلافها إلا ما يشيع بين المثقفين ويصبح جزءاً من اللغة العامة، لغة الكتابة والكلام . وليس هو معجماً للتاريخ ولا للجغرافيا، وإنما يسجل من الأعلام والأحداث وأسماء الأماكن ما ليس من تسجيله بُد لفهم النصوص الأدبية والتاريخية على اختلافها» (١) . وقد بر المجمع فنشر ، ولا يزال ، الألفاظ والمصطلحات التى يتفق المجمع على صلاحيتها ، ويقر تداولها فى الاستعمال العربى ، فى كتب خاصة ، يستطيع الرجوع إليها فى يسر ، ولا تثقل المادة اللغوية المستخدمة فى الاستعمال العام والتى سيضمها المعجم الكبير .

(١) المعجم الكبير : المقدمة : و .

نهج المعجم الكبير وخصائصه :

١ - تبع المعجم الكبير فى ترتيب مواده طريقة أساس البلاغة للزمخشري (٤٦٧) - (٥٣٨ هـ) . ففى القسم الأول من الجزء الأول ، نظمت المواد حسب الترتيب الهجائى المألوف (أ ب ت ث .. إلخ) وقد بدا من هذا القسم أن المعجم سيقسم أبواباً، تبدأ بباب الهمزة ، وأن كل باب سيقسم فصولاً حسب الحرف الثانى للمادة، وقد عبر المعجم عن فصول الباب بمثل ما عبر «المصباح المنير» ، فقال : الألف الممدودة ، الألف والباء، الألف والتاء : وهكذا . ونظمت المواد فى كل فصل حسب الحرف الثالث فالرابع، فالخامس ، فمادة : أبجد ، بعد مادة أ ب ج ومادة : أبذغ^(١) بعد مادة : أبد ، وهكذا .

والحروف الأصلية للمادة هى أساس التنظيم السابق، فالكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف لا تعتبر حروفها أصلية ، إذا تصرف العرب فيها بوسيلة من وسائل التصريف ، فالكلمات : أبراد^(٢) وأبرقات^(٣) وأبراق^(٤) تنظر فى : برد ، وبرق ، على التوالى ، والكلمات : أبجول^(٥) وأبجيج^(٦) وأبخاز^(٧) تأخذ مكانها بين مادتى : أبجد وأبغ^(٨) .

وصدر المعجم الحديث عن باب الألف بتعريف مطول بالهمزة، تناول مكانها من مدارج النطق وآراء العلماء فى رسمها وتسميتها وأقسامها (همزة الوصل، وهمزة القطع)، وأماكنها، ومواضع تحقيق الهمزة وتخفيفها، وأموراً أخرى كثيرة. واستغرق هذا التعريف

(١) اسم موضع .

(٢) اجبل . المعجم الكبير .

(٣) ماء لبنى جعفر بن كلاب . المعجم الكبير .

(٤) جبل . المعجم الكبير .

(٥) من قرى مركز السنطة بمديرية (محافظة) الغربية ، بمصر المعجم الكبير .

(٦) بجيمين بينهما ياء : ناحية بمركز قويسنا بمديرية (محافظة) المنوفية ، وكلتاها من البلاد المصرية :

المعجم الكبير .

(٧) ناحية من جبل (القبق) المتصل بباب الأبواب . (المعجم الكبير) . وأبخاز ، والقبق، وباب

الأبواب: أماكن عند حدود أرمينية على بحر الخزر: انظر المواد فى : معجم البلدان ، لياقوت الحموى.

(٨) اللوم . أبغ = وبغ . المعجم الكبير .

اثنيتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

وبلاحظ أن هذه الصفحات الكثيرة عن « الألف » أهملت الحديث عنها في اللغات السامية إلا في كلمة خاطفة ، حين قالت : « في المخطوط الآرامية : « الألف » فيها صورة للهمزة . كما هي في أواخر كلماتها حرف مد (١) » .

ولكن المعجم عاد إليهما مع غيرها من سائر الحروف عندما تحدث عن مادة « أبجد » (٢) . وهذا التعريف بالهمزة واقع موقعه من المعجم . ولعل سائر حروف الهجاء تنال هذا التعريف في صدور ما يخصها من الأبواب .

وقد سبق المعجم الكبير معاجم سلكت هذا المسلك مع إيجاز يتفق وخطة كل منها ، وماورد في المعجم الكبير يتفق ومايرجى منه من وفاء .

٢ - والمعجم - يضع المادة ، موضوع الحديث في صدر السطر ، بين هلالين . ويجوارها المعانى الرئيسية الكبرى التى يدور حولها استعمال المادة ومشتقاتها ، وصورها ثم يتناول هذه المعانى بالتفصيل والتحليل مع بعد آخر . ففي مادة أبد ، يوجز المعانى الكبرى في صدر الحديث عنها ، هكذا :

(أبد)

- | | |
|-----------------|--------------------|
| ١ - طول المدة . | ٢ - كثرة الولادة . |
| ٣ - التوحش . | ٤ - العزوبة . |
| ٥ - الغضب . | ٦ - العيب . |
| ٧ - مسميات . | ٨ - أماكن . |
| ٩ - أعلام . | |

ثم يتناول كل معنى من هذه المعانى ، وأداء المادة له ومشتقاتها ، أو الصورة المأخوذة منها ، لها أو لألوانها ، بالتفصيل المعجمى ، حسبما رسم للمعجم الكبير .

٣ - ولعل أول مايتناوله في صدر كل معنى توضيح الصلة التى تربط اللفظة فى العربية ، بنظيرها فى اللغات السامية ؛ ففي مادة آب ، بمعنى شهر ، يقول :

(٢) المعجم الكبير : ٧٧ - ٨٥ .

(١) المعجم الكبير : ١ .

« هي الأكدية (abu : اب) : الشهر الخامس ، وفي العبرية المتأخرة .

والآرامية : **ܐܒܘ** (abu : آب) : شهر وفي السريانية . (د)

(abh : آب) : « الشهر » . وبهذا يوقف القارئ على أصالة هذه الكلمة في اللغات السامية . وعلى الاتصال الوثيق بين العربية وأخواتها ، ويؤكد هذا يرسم صورة الكلمة في اللغات السامية لمن يعرفها ، ويقرنها بما يقابل النطق بها بالحروف اللاتينية ، ليتابعها من لا يعرف الساميات .

والحديث عن أصل المادة في اللغات السامية هام في هذا المعجم . فإن العربية لم تنشأ مستقلة عن غيرها ، وإنما تربطها بمجموعة من اللغات مشتركة وإياها في كثير من الخصائص ، روابط لا يمكن تجاهلها ، وأنى لها أن تذكر وأن تتبع أصولها ونشأتها إذا لم يتوفر لها ذلك في مثل المعجم الكبير !

ومن الواضح أن الصلة بين اللفظة والمعنى في لغة ما لا يتحتم أن يكون لها نظيرها في أخت لها ، إلا إذا كانتا قد نشأتا معاً ، أو تجاوزتا أو شبهتا في ظروف البيئة التي عاشتها كل منهما . ومن ثم كان نهج المعجم في الحديث عن دور اللفظة في أداء معنى بعينه أو ما يتصل به في لغة من اللغات السامية ، وجمع ما يماثله في لغة أخرى منها ، ثم الانتقال إلى سائر المعاني ، بنفس النهج ، كان هذا أقرب إلى تنسيق المعاني ، وأنفى للخلط بينها ، وأقرب للوفاء بما يراد .

وفي اللفظة السابقة : آب بمعنى شهر ، يذكر سبب التسمية به عند الأكديين ، ويقول : قيل إنه سمي باسم القصب (آب : abh) الذي ينبت في الماء ، إذ كان يقطع في هذا الشهر لاستخدامه ، ثم يذكر مكان هذا الشهر بين شهور السنة ، فهو عند الأكديين الحادى عشر من الشهور السريانية والرومية وهي شهور شمسية ، وهي : تشرين الأول : أكتوبر ، تشرين الثاني ، نوفمبر ، كانون الأول : ديسمبر ، كانون الثاني : يناير . شباط : فبراير ، آذار : مارس : نيسان : إبريل : أيار : مايو : حزيران : يونية : تموز : يوليه : آب : أغسطس : أيلول : سبتمبر .

ويستشهد على ورود لفظ : « آب » في العربية بطائفة من النصوص . ثم يتحدث عن المعنى الرئيسى الثانى لمادة آب ، وأنه سميت بها مسميات ، وتأتى مركبة مع

غيرها فأب أنبار ، معناها : نبع ماء . وكذلك هو الخزان يحفظ فيه الماء عذبا ، وآب حياة، معناها : نبع الخلود. وآب دار ، معناها : الخادم الذي يقوم على الشراب ، وهذه التسميات منقولة عن الفارسية .

٣ - وكذلك يعنى المعجم برد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية ، قديمة أو حديثة، إلى أصولها الأجنبية ، ويمكن أن تلاحظ هذه الظاهرة بالرجوع إلى مواد المعجم .

٤ - وقد اهتم المعجم بالضبط واستخدم لذلك طريقتين ، إحداهما : الضبط برموز الحركات المعروفة ، والثانية : النص على نوع الضبط ، حسب نهج الأقدمين .

وإذا اختلف ضبط الكلمة عند السابقين ، نقل عنهم الضبط ، ونسبه إلى ذويه . مثال ذلك ما صنعه فى ضبط الكلمة : آذربيجان ، قال : « قال ياقوت » : هى بمد الهمزة وسكون الذال وكسر الراء ثم ياء ساكنة وياء موحدة مفتوحة وجيم وألف ونون ، عن المهلب ثم قال : ولأعرف المهلب هذا .

« وقيلت بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم وبهذا جاء فى شعر الشماخ :

تذكرتها وقد حال دونها قرى آذربيجان المسالِح والجمالُ .

وفتح قوم الذال وسكنوا الراء .

ويبدو أنه لم يترجح أحد هذه الأقوال عند القائمين بأمر المعجم فاكتفوا بنقل آراء السابقين . وهو أمر لا بأس به عند فقد الدليل المقبول .

٥ - « ويذكر المعجم ما ليس بد من ذكره من الأعلام ، ويفسره تفسيرا موجزا أو فى شىء من التبسط حسبما تقتضيه الحال » فى مادة : « أبج » يعرف بالأبجى ، وهو « أبو عبدالله محمد بن محمويه بن مسلم . روى عن أبيه وغيره ، وعنه أبو النضر الفقيه . أخرج حديثه الحاكم فى أماليه . »

وفى مادة : أبر ، يعرف بالأبرى ، وهو « الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم بن عبدالله السجستاني ، شيخ من أئمة الحديث ، يعد فى الحفاظ . له كتاب كبير فى أخبار الإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى . توفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . »

ولاشك أن مثل هذا التعريف بالأعلام مفيد ، وينبغي أن يبقى عليه المجمع .
بيد أن بعض النقاد يرون أن يكون هذا التعريف مرجحاً بقدر الإمكان ، وأن يشار
إلى مراجعته من كتب التراجم والطبقات ليرجع إليها من يشاء .

٦ - وينفس التقدير السابق بذكر المعجم أسماء البلاد في شيء من الانتصاف ، بحيث
لا يهمل ما يتردد ذكره في النصوص الأدبية من جهة ، وبحيث لا يصبح المعجم معجماً
جغرافياً من جهة أخرى . ومن أمثلة ذلك ، ما ذكره في مادة : آمد ، بكسر ، الميم قال :
« قال ياقوت : وما أظنها إلا لنظة رومية : أعظم مدن ديار بكر . وهو بلد قديم حصين
على نهر دجلة ، محيط بأكثره مستدير به كالهلال ، وفتحت آمد في سنة عشرين من
الهجرة ، ونبيها يقول عمرو بن مالك الزهري الترمذي :

الألله ليل لم نتمه على ذات الخضاب مُجنَّبينا
وليلتنا بآمد لم نتمها كليتنا بيمان سارقينا

٧ - والمعجم غني بالشواهد والنصوص ، يستعملها من كلام الله تعالى ، ومما صحت من
حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن الشعر ، والنثر قديماً وحديثاً . وهو
يرتب هذه النصوص القديمة والحديثة ترتيباً تاريخياً بقدر الإمكان . وبلغت المجمع بهذا
النهج ، نظر أهل اللغة والمهتمين بها ، إلى هدف هام يرجو لتحقيقه وهو وضع معجم لغوي
تاريخي للغة العربية .

المعجم الكبير في ثوبه الجديد : تهباً للمجمع اللغوي بالقاهرة ، بعد
أن أصدر القسم الأول من الجزء الأول من المعجم الكبير أن يتلقى آراء المعنيين
بالدراسات اللغوية في هذا القسم ، الذي يعد محارلة ناجحة لإصدار معجم يفي بحاجات
المثقفين ، وأفاد من هذه الآراء ، ومن إعادة النظر فيما صنع ، وأصدر في ثوب جديد ،
الجزء الأول من المعجم في سنة ١٩٧٠ م متضمناً مواد « حرف الهزة » .

والثوب الجديد لهذا المعجم هو الثوب الذي ارتضاه المجمع لإتمامه ، « فيه تأصيل
وتحقيق ، وجمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر الأولى ، وتعويل ما أمكن على
النصوص الثابتة (١) » .

(١) إبراهيم مدكور : مقدمة المعجم الكبير : و .

وهو لهذا، ولأنه عمل جليل في ميدان المعاجم العربية، جاء ثمره جهود جماعة ممتازة من العلماء، لم تبخل بوقت أو جهد في سبيله، استحق أن يُقدم من جديد للدارسين.

والناظر في المعجم الكبير في ثوبه الجديد يجده قد أغفل تماماً تلك المقدمة التي قدمت بها تجرئته الأولى؛ ومبادئها وأفكارها لاتزال مرعبة في صورته الجديدة، ثم هي أول تقديم يسجل جهد المجمع طوال سنوات مضت، كان ينبغي الحفاظ عليه عند إصدار الصورة الجديدة، كما كان ينبغي كذلك عدم إهمال بعض المادة اللغوية المفيدة التي زخرت بها بعض مواد المعجم في تجرئته الأولى، وخاصة أنها في صميم المادة المعجمية.

وإذا كان إصدار المعجم في ثوبه الجديد اقتضى إعادة صياغة المادة اللغوية مع الإبقاء على جوهر كثير منها، فإن الإنصاف لجهد ضخم بذل، يقتضى ألا يُعرض عنه لمجرد أن هناك صورة جديدة للمعجم يعكف المختصون على إصدارها، وتمكن ملاحظة ذلك في كثير من مواد المعجم، بل تمكن مقارنة حجم المعجم في تجرئته الأولى وهو منته بمادة (أخى) بحجمه في ثوبه الجديد الشامل جميع مواد حرف الهمزة (١).

وفي الصورة الجديدة للمعجم ظاهرة تستحق إعادة النظر، تلك هي عدم تسجيل الكلمات السامية، بحروفها، بدعوى «نقص هذه الحروف (في المطبعة)»، وقلة الخبير بها؛ وكيف استطاع المجمع أن يوفر هذه الحروف في تجرئته الأولى؟ لقد كان في مكنته أن يدعم هذا الأمر ولا يغفله، قياساً على ما حرص عليه من تسجيله الكلمات اليونانية بحروفها، واللغات السامية أولى بهذا الحرص للصلة الوثيقة بين العربية وأخواتها الساميات، ولأن في تسجيل الكلمات السامية بحروفها السامية تيسير أن يتفهم الدارسون المثقفون من أقرب سبيل هذه الصلة ويفيدوا منها؛ ولأن الواقفين على إصدار المعجم تحملوا عبء وضع رموز الحركات السامية، وهي كثيرة، على الحروف اللاتينية، وفي تسجيل الحروف السامية غناء علمي بديل من ذلك، بل هو في هذا المجال أصيل.

(١) يضم المعجم في تجرئته الأولى ٥١٩ صفحة وفي ثوبه الحديث ٧٠٠ صفحة.

هذا إلى وجود الخبيرين باللغات السامية من المجمعين ومن أبنائهم الذين وقفوا على تسجيل الكلمات السامية الأولى ، وكانوا ، مستطيعين ذلك ، لو عهد إليهم في الصورة الجديدة للمعجم .

ويسير المعجم على السنة التي ارتضاها المجمع في التجربة الأولى ، « فيتابع العلم في سيره وتطوره ، ويسجل لغته الخاصة ، وهي جزء من اللغة العامة » . وآية ذلك أنه يستخدم هذه اللفظة في تقديمه للمعجم ، فيقول : « ... يُبَسِّرُ (١) » مثلا تعريفات علمية غاية في الضبط والدقة ... » .

ولأدرى إن كانت لفظة « يستصنى » ، مثلا يمكن أن تغنى غناء « يُبَسِّرُ » ، أو أن اللفظة الأخيرة لها إحياء خاص !

واستخدامها ، على أى حال ، دليل المجمعين على إمكان أن تندرج في الاستعمال العام . والمعجم في ثوبه الجديد يستخدم « بقدر ، الرسوم والصور والخرائط » ، وهو مالم يحدث في التجربة الأولى .

ويتخذ المعجم وسيلة جديدة لتقريب مفهومات وحدات القياس القديمة مثل: المرحلة ، والبريد ، والفرسخ ، والغلوة إلى وحدة الكيلومتر المألوفة (٢) .

مثال ذلك ما ذكره في التعريف بمدينة آمل ، قال : « مدينة بطبرستان ، من بلاد فارس (إيران) على بعد ٢٤ كم من الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين » .

وكان أرفق للعلم أن يقرن المعجم بين القياسين القديم ، وما يقابله من الجديد ، فيساعد بذلك قارئ الكتب القديمة التي استخدمت هذه الوحدات ولا يباعد بينها وبينه ، خاصة

(١) يعود أصلها إلى لفظ Pasteur وهو اسم العالم الفرنسى الذى اكتشف طريقة التعقيم المنسوبة إليه وأخذ منه الفعل pasteurize بمعنى يعقم . والمفهوم العلمى لهذه اللفظة وهو إيقاف نمو بعض الخلايا البكتيرية « بتسخين » اللبن « لدرجة حرارة معينة (٦٠ درجة مئوية) ثم تبريده ، فجأة ، ثم انطلاق استعمال اللفظة علميا على تسخين أى سائل لدرجة غليانه ثم تبريده ، لأظن أن شيئا قريبا منه يقصد من استخدام لفظة « يبستر » فى هذا الموضوع اللغوى .

(٢) إبراهيم مذكور : مقدمة المعجم الكبير .

أن مايقابل هذه الوحدات فى المفهوم الحديث معرض لأن يصطلح غيره بديلا منه، فالحياة متجددة متطورة دائما .

والمعجم لم يصنع ذلك الصنيع فى وحدات الأوزان أو النقود مثلا، واستخدم الوحدات القديمة دون إشارة إلى مايقابلها فى العصر الحديث . مثال ذلك ما ذكره فى مادة : إستار، قال :

الإستار : عملة يونانية قديمة كانت متفارقة القيمة ، منها الذهبى والفضى ، اشتهر الفضى بوجه خاص ، وكان يساوى أربعة دراهم (drachms) ؛ وكذلك كانت قيمة الإستار السريانى .

و - (فى الوزن) : أربعة مثاقيل ونصف مثقال (١) .

وهذا النص يجمع الأمرين جميعاً ، عدم التعريف بقيمة الدرهم بمفهوم العصر الحاضر على التقريب ، وعدم التعريف بمفهوم وزن المثقال فى الحاضر ، كذلك .
وعسى أن يُعرض لأمثال هذا فى مكانه من المعجم .

ومن المفيد بعدئذ التمثيل بما ذكره المعجم فى مادة منه ، لدراسة مايرد فى السطور السابقة من خصائص .

أ ب د :

(فى الحبشية abda أبد : ذهب عقله ، جُن ، بَلَه وفى العبرية a b ā d .

أبد : ضل طريقه ؛ ضاع ، فقد ؛ هلك . وفى نقش ميشع الموابى (س ٧) .

أ ب د بمعنى هلك . وفى الأوجاريتية abd أ ب د فى وزن افتعل (٢) بمعنى هلك .

وفى تل العمارنة ٢٨٨ : ٥٢ : a - ba - da - at : أبدت : هلكت .

والمادة شائعة فى الآرامية دالة على معنى الضياع والهلاك ، وفى الأكدية a b ā tu

آبات : خرب ، أهلك ؛ بقلب الدال الأصلية تاء) .

١ - التوحش . ٢ - طول المدة . ٣ - الغرابة والتدرة .

قال ابن فارس : «الهمزة والباء والدال يدل بناؤها على طول المدة ، وعلى التوحش» .

* أبدت البهيمة أبدا : نفرت وتوحشت .

(١) المعجم الكبير : ١ / ٢٦٦ . ط . ١٩٧٠ .

(٢) هكذا فى المعجم ، ط . ١٩٧٠ .

- و - الرجلُ : جاء بآبدة .
و - الشاعرُ : أتى فى شعره بأوابدَ ، أى غرائب لا يعرف معناها بادية ، الرأى .
و - بالمكان : أقام به ولم يبرحه .
و - فلاتاً : جاءه بآبدة .
* أبد - أبداً : توحشَ ، قال أبو ذؤيب الهذلى يذكر حماراً وحشياً :

فاقتن بعد تمام الظمء ناجيةً مثل الهراوة ثنياً بكرها أبداً

[افتن : طرد أثنه . الظمء : وقت الورد . ناجية : سريعة . الثنى : التى وضعت بطنين . والمراد : أنه يطرد أتانا سريعة ضامرة مع ولدها]
و - عليه : غضب

التحليل:

١ - ورد المقتبس السابق فى مادة : (أ ب د) من المعجم الكبير فى ثوبه الجديد ، من باب : « الهمزة والباء ومايثلثهما » . والترتيب فى المعجم صار على اعتبار الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ثم الثانى ثم الثالث وهكذا ، على نهج الزمخشري . وفى التجربة السابقة من المعجم وردت هذه المادة فى باب « الألف والباء » وبعض علماء اللغة يطلقون اسم « الألف » ليشمل « الهمزة » ، و « ألف المد » ، و « الألف اللينة » جميعاً (١) .

٣ - وقد سبق هذه المادة من باب « الهمزة والباء ومايثلثهما » عدد من المواد يندرج تحت هذا الباب . ويلاحظ اختلاف وجهة النظر فى ترتيب مواد الباب فى نسختى المعجم . فالنسخة الحديثة من المعجم قدمت « الألف اللينة » ثالثة ، على « الهمزة » ثالثة . فالمواد : أبار ، أباض ، أباغ ، أبام ، أبان ، ذكرت هكذا سابقة على مادة : أبأ ، بينما ذكرت هذه المواد فى التجربة الأولى كمايلى : أبأ ، أبارق ، الأباصر ، أباض ، أباغ ، الأبالخ ، أبام ، أبان ، أبايض .

(١) واسم الحرف (ألف) قديم فى اللغات السامية : فى العبرية (אַלף) وفى الإتيوبية (ḁālef) وفى السوربانية (ḁālef) وفى الإتيوبية (ḁālef)
(= ألف alf) .

وأمر آخر تمكن ملاحظته في المواد السابقة ، هو إغفال النسخة الجديدة لبعض ما ذكر في التجربة الأولى من مواد : أبارق ، الأباصر ، الأبالخ ، أبال ، أبايض . وقد حدث مثل هذا في غير هذه المواضع ؛ ففي باب « الألف الممدودة » من التجربة الأولى وردت المواد: آباد . آباذة . آبار الرتبة ، آبازة ، آبان ، آبع ، آبر ، الآبرون ، آبسكون ، آبض ، آبكور ؛ بينما أهملت في النسخة الحديثة .

٣ - وقد وضعت حروف مادة « أ ب د » ، منفصلة هكذا في وسط السطر ، وأعقبها تأصيلها في اللغات السامية ، حسب النهج الذي ارتضاه المجمع أخيراً من التعبير عنها بحروف لاتينية .

وارتأى المجمع في التجربة الأولى ألا يحشد المقارنات السامية وغيرها في صدر المادة ، وإنما كان يذكر منها ما يناسب المعنى الكلى الذى يعتزم الحديث عنه . مثال ذلك ما حدث في مادة أبد ، فقد تعددت المعانى الكلية لها وبلغت تسعة معان ، صدر الحديث عن كل منها بما يصلها باللغات السامية إن وجد فقال :

١ - طول المدة - العبرية : אָבַד (abādh) : دائماً ، أبداً .

٢ - التوحش . الأكدية (abatu : آبت) اختفى . هرب . خرب . هلك الأوجريتية : (abd : أبد) : ضاع . العبرية :

אָבַד (adhadh : أهد) : ضاع . تاه . هلك . خسر . الآرامية :

אָבַד (adhadh : أهد) : ضاع هلك السورانية : אָבַד

(ebadh) : إهد) : ضل . ضاع . عطب تلف . الحبشية : አባደ

(abda : أهد) . ضل . جن غضب .

وهكذا يصدر كل معنى كلى بما يقابله في اللغات السامية ، ثم يتبع بتفصيل الحديث عنه في العربية . وربما كان هذا الصنيع أفضل لمعجم لغوى يحاول أن يصل اللغة العربية

بأخواتها الساميات ، أو بما أفاد منه لغات أخرى ، فيضع المقابلات القريبة لكل معنى على حدة دون حشد لها جميعاً في وضع يضل فيه القارئ الوصول إلى ما يغنى .

٤ - والمعاني الكلية لمادة . (أ ب د) التي تحدث عنها المعجم في ثوبه الجديد بلغت ثلاثاً هي :

- ١ - التوحش .
- ٢ - طول المدة .
- ٣ - الغرابة والندرة . بينما بلغت تسعاً في التجربة الأولى . هي :
- ١ - طول المدة . ٢ - كثرة الولادة . ٣ - التوحش . ٤ - العزوبة .
- ٥ - الغضب . ٦ - العيب . ٧ - مسميات . ٨ - أماكن .
- ٩ - الأعلام .

ولم يغفل المعجم في ثوبه الجديد ما عرضت له التجربة الأولى من المعاني الكلية ؛ فقد تناولها في سياق الحديث عن مشتقات المادة .

وسبيل علاج هذه المعاني مختلف في نهج المعجم ؛ ففي التجربة الأولى يخصص لكل معنى كلى حديثاً تتناول فيه مشتقات المادة في مجاله ، ويستشهد لكل ذلك ينصوص ترتب ترتيباً تاريخياً بقدر الإمكان ؛ ويُعدل في النهج الحديث عن ذلك ، فتعالج من البدء مشتقات المادة مع التشبيه إلى المعاني التي تفيدها .
مثال ذلك :

أبدت - أبدأ : توحش ، قال أبو ذؤيب الهذلي يذكر حماراً وحشياً :
فافتن بعد تمام الظم ناجيةً مثل الهراوة ثنياً بكرها أبدأ
و - عليه : غضب .

ومثل : الأبد (من الحيوان) : المقيم بمكان لا يبرح .

و - : التوحش يلزم البيداء ، وينفر من الناس .

وقال الجاحظ : الأبد : الذي إذا توحش لم يُقدر عليه إلا بعقر .

و - (من الطير) : المقيم بأرضه صيفه وشتاءه .

و - (من الإناث) : التي تلد كل عام ، يقال : أتان آبد ، وأمة آبد .

ففي الفقرة السابقة عالج المعجم أكثر من معنى كلى ، ولم يخصص أياً منها بعلاج مستقل كما صنعت التجربة الأولى .

ولجأ المعجم فى ثوبه الجديد إلى هذا النهج استجابة لما رآه بعض العلماء من خشيته أن يلحق المعجم بمعاجم المعانى التى تحشد فى موضع واحد ، الألفاظ التى تدور فى فلك معنى واحد ، ككتب الأقدمين التى تحدثت عن الكرم ، والنبات ، والشجر ، والمطر ، والدارات .

بيد أن آخرين ينفون هذه الخشية ، فما يذكر هنا هو مشتقات مادة بعينها ، لامواد عديدة حشدت فى إطار معنى محدد ، ولا يزالون يجدون فى نهج التجربة الأولى للمعجم الكبير نفعاً كان ينبغى الإبقاء عليه .

٥ - وقصد المعجم أن يبدأ فى شرح المادة ذات المشتقات بالفعل ، وقدم الثلاثى منه على الرباعى ، والمجرد على المزيد ، واللازم على المتعدى .

كما راعى فى الفعل الثلاثى المجرد أن يرتب وضع متعدد الأوزان منه حسب أبوابه الستة المعروفة :

١ - وزن فعل يفعل ، مثل : نصر ينصر .

٢ - وزن فعل يفعل ، مثل : ضرب يضرب .

٣ - وزن فعل يفعل ، مثل : منع يمنع .

٤ - وزن فعل يفعل ، مثل : فرح يفرح .

٥ - وزن فعل يفعل ، مثل : شرف يشرف .

٦ - وزن فعل يفعل ، مثل : حسب يحسب .

كما راعى فى وضع الأفعال المزيدة تقديم المزيد بحرف ، ثم المزيد بحرفين ، ثم المزيد بثلاثة أحرف .

٦ - وفى المقتبس الذى صدر به هذا الحديث ، تُشاهد طريقة المعجم فى الضبط وهو يلجأ إلى رموز الشكل لضبط عين الفعل المضارع ، يضعها فوق أو تحت خط أفقى صغير (—) . والتجربة الأولى للمعجم كانت تستخدم طريقة الأقدمين فى النص على نوع الضبط ، فتقول : بفتح أو بكسر أو بضم .. إلخ. وهذه الطريقة الأخيرة أمثل ، وأفضل منها أن يجمع بين الأمرين ، وبالتمثيل بألفاظ مشهورة ، صوتاً للغة وحفاظاً عليها .

٧ - وسلك المعجم مسلك المعاجم الحديثة فى استخدام الرموز على ضآلة ما استخدمه منها: ويمكن أن يشار إليها فيما يلى :

- ١ - (*) - نجم مشع ، يسبق رأس الكلمة المفسرة .
- ٢ - (—) - خط أفقى صغير ، فوقه أو تحته ، رمز الشكل لبيان ضبط عين الفعل المضارع بالحركة أو الحركات التى يقبلها الفعل .
- ٣ - (○) - دائرة صغيرة مفرغة ، قبل المادة الفرعية ، تمييزاً لها عن المادة الأصلية.
- ٤ - (و - :) - خط أفقى صغير مسبق بحرف العطف (و) ، متبوع بنقطتين إحداهما فوق الأخرى ، للاستعاضة عن تكرار الكلمة المفسرة .
- ٥ - (ج) - لبيان الجمع .

٦ - [] - حاصرتان تحصران بينهما تفسيراً لما تقدمهما من لفظ غامض فى كلام أو شعر .

٧ - (.) - خط أفقى صغير ، للإشارة إلى أن المعنى بالتفسير هو ما يليه. أما ما قبله فقد ذكر لأنه مظنة الطلب لهذا التعبير .

والرمزان الأول (*) ، والثالث (○) يمكن أن يوضح استخدام المعجم لهما بالمثال الآتى . من مادة : (أ س د) :

- * أَسَدٌ بين القوم - أَسْدًا : أفسد .
- * أَسَدٌ - أَسْدًا : شَجُعَ فصار كالأسد
- * أَسَدٌ إيساداً : أغرى
- * تَأَسَّدَ الرجلُ : شَجُعَ .
- * اسْتَأَسَّدَ : صار كالأسد .
- * الأَسْدُ : نوع من السباع ...
- * وَأَسَدٌ : أبو قبيلة من مضر ...
- * أَسَدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م .) : والى خراسان من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٦ - ١٠٩ هـ) ، ثم (١١٧ - ١٢٠ هـ) .

فالنجم المشع (*) وضع قبل مشتقات المادة بالمفهوم الواسع لمعنى كلمة : «مشتقات» بينما استخدم الرمز (○) للمدلولات التى يستخدم فيها مشتق بعينه ،

وكان من الممكن الاكتفاء بأحد هذين الرمزین .

تقدير المعجم :

إن محاولة إظهار « المعجم الكبير » التي يقدم عليها المجمع اللغوي بالقاهرة ، تستحق التقدير العظيم ، وينتظر المحرّصون على اللغة العربية أن تجتمع الجهود وتتضافر حتى يتوالى ظهور أقسامه ، واحداً بعد آخر . وليس من المنتظر ، كما يقول المجمع ، بل ليس من الهام كذلك ، أن يعاصر الجيل الحاضر تمام هذا العمل فإن اللبّات التي توضع الآن في البناء ستحفز الأبناء إلى تمام تشييده .

والإشارات التي تحدثت عنها هذه الصفحات توضح مدى ما بذل من عناء وعناية ، ومدى ما أصاب القائمون على إصداره من توفيق .

واهتمام المعجم بتوضيح صلة اللغة العربية بأخواتها الساميات جدير بأن يضعه في مكانة لم يسبق بها ، وينبغي ألا يضمن المجمع بمزيد من إيضاح هذه الصلة .

وطبيعي أن المعجم يستمد مادته مما سبقه من كتب اللغويين ، وما سجل من ثروة يصعب أن يحاط بما هو موجود منها الآن ، ويتعذر بطريق أولى أن يحدثس ماضع من كنوز عدا عليها الزمن . ولعل شيئاً من هذا يجعل إصدار معجم تاريخي للغة العربية مهمة شاقة تحتاج إلى توزيع الأعباء ، و « تكليف » القادرين على أن يسهموا في إعدادها في إطار تنظيم .

واستمداد المعجم ثروته من منابع سابقة ، دعت إلى أن يشار إلى هذه المنابع ، بقدر الإمكان ، وهذه أمانة العلم تذكّر للعلماء .

ومهما كان هناك من نقد ، فالجهد المبذول ينبغي ألا يتوقف ، وعلى الأجيال القادمة أن تنقح وتضيف وتقوم ، وحسب الجيل الحاضر أن يشرع السبيل .

ترتيب القاموس المحيط
على طريقة المصباح المنير
وأساس البلاغة

الأستاذ طاهر
أحمد الزاوي
الطرابلسي

تقديم :

لا يزال اهتمام الناس بالتراث القديم وإحيائه دليلاً على قيمته ومدى فائدته مدى الزمن. وقد بقي «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٦ هـ) موضع اهتمام العلماء معاصريه، ومحدثين، لغزارة مادته، وحسن استمداده من مصادره، ووجازة أدائه. غير أن نهج القاموس وترتيب أبوابه حسب الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية، وتقسيم كل باب حسب الحرف الأول من الحروف الأصلية كذلك، جعل المعجميين يحاولون بجهودهم، تيسير الانتفاع بالمعجم، باختيار نهج أوفق وأسهل مأخذاً. ولكن في القاموس أموراً أخرى رأها «طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي» مدعاة إلى العود إليه بإعادة التبويب والترتيب والتنبيه على مواد ذكرت في سياق أخرى، أو لوحظت بعض أجزائها لأنها مركبة تركيباً مزجياً فأدرجت في الأبواب تبعاً لها وأهملت أجزاءها الباقية دون تنبيه القاري، مقدماً إلى هذا النهج وبيان أسبابه. ورأى كذلك، أن ممدعاه إلى تناول القاموس المحيط بالتعديل، وهو «من أصح ما ألف في اللغة العربية نقلاً، وأدقها وضعاً، وأوسعها مادة»^(١)، أموراً أوجزها فيما يلي :

(١) أن القاموس المحيط قسم أبواباً نظراً للحروف الأخيرة الأصلية من الكلمة «حيث تكثر الحروف الزائدة ويصعب تمييز الأصلية من الزائدة»^(٢)، ثم قسمت الأبواب فصلاً حسب الحرف الأول من المادة الأصلية كذلك.

وهذا النهج لفت أنظار العلماء، من قبل، فعدلوا عنه إلى النهج الذي يبين في أساس

(١) طاهر الزاوي : مقدمة ترتيب القاموس المحيط .

(٢) نفس المصدر : ص : ج .

البلاغة للزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) (١) ، وأراد طاهر الزاوى أن يضىف هذا النهج الجديد على « القاموس المحيط » ليزيد به النفع .

بيد أنه ليس مسلماً ، ذلك التعليل الذى ساقه طاهر الزاوى تبريراً للنهج الجديد ؛ فقد عاب على الفيروزابادى ترتيب مواده على آخر الحروف ، معللاً هذا النقد بقوله : « حيث تكثر الحروف الزائدة ، ويصعب تمييز الأصل من الزائد » .

٢) واعتبار المعاجم العربية الحروف الأصلية للكلمة ، وإهمال الحروف الزائدة ، كان أحد الأسباب التى دعت طاهر الزاوى إلى ترتيب القاموس المحيط هذا الترتيب الجديد ، وقد ساق أمثلة شاركه فى الاستشهاد بها غيره ممن نقدوا القاموس المحيط ، وقال : « إذ كيف يعلم طالب العلم أن « يوسف » فى : أ س ف ، و : « إسرائيل » فى : س ر ا ، و : « فيروزابادى » فى ف ر ز ؟ وأنى له أن يدرك أن : « سيد » فى : س و د ، وأن « السنّة ، للعام » فى : س ن هـ ، وأن : « التوراة » فى : و رى ، وأن : « السنة ، للنعاس » فى : و س ن مما ترتب على اعتبار الحروف الأصلية فى ترتيب الكلمات وإهمال الحروف الزائدة (٢) ؟

وبعض هذه الأمثلة التى استشهد بها طاهر الزاوى ، من أصل غير عربى ، وتسجيلها : فى المعجم العربى يحتاج إلى توضيح مأخذها ودراية به ، وبعضها الآخر يتطلب الدراية بالتصرف وقواعده فى العربية وهو أمر لاغنى عنه للدارس العربى ولا يصح عذراً فى هذا المجال ، مجال الحديث عن معجم شامل يفيد الخاصة كالقاموس المحيط ، وإنما يصح أن يوضع نصب العين عند وضع معجم يومى ، أو معجم لصغار الناشئين .

والاهتمام بأصول المادة ونفى الزائد منها فى ترتيب المعاجم العربية اللغوية ، وهو ما عابه طاهر الزاوى ، يساعد اللغويين فى التعرف على الصلة بين المعنى الأصلى والمعانى الفرعية الناشئة عن زيادة البنية ، كما يمكن من معرفة وجوه تصرفات المادة

(١) انظر الحديث عن الزمخشري : ١١٣ من هذا الكتاب .

(٢) طاهر الزاوى . مقدمة ترتيب القاموس المحيط .

ومشتقاتها والاستفادة من جميع ذلك عند وضع المصطلحات الجديدة لمسميات مبتكرات الحضارة . ومن واجب أمهات المعاجم ، والقاموس المحيط من بينها ، الحفاظ على هذه الجوانب جميعاً .

ومن الملحوظ في « ترتيب القاموس المحيط » أنه لم يستطع الالتزام بمبدئه الذي دعا إليه ؛ فتتبع مزيدات المادة ، واعتبار حروف الكلمة المنطوق بها لافرق بين زائد منها وأصلى ، والتزام تسجيلها ، ثم الإشارة إلى أماكن علاجها من موادها الأصلية - بماشق على مصنف « ترتيب القاموس المحيط » ، كما يشق على المتصدين لوضع المعجم العربي .

نهج الكتاب وخصائصه :

(١) قسم المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً ، بعدد حروف الهجاء ، ورعاية للحرف الأول من الكلمة ، بغض النظر عن أصلها ومزیدها ، وبعد تنحية أداة التعريف (أل) من مبدئها . ورتبت مواد كل باب حسب الحرف الثاني ، فالثالث ، وهكذا ، مع إهمال حروف المد الناشئة عن مد الحركة . مثال ذلك : المواد الآتية في باب الباء : البير : سبغ . ج بيور معرب / البابوس بباين : ولد الناقة / الببغاء ، وقد تشدد الباء الثانية : طائر أخضر . / بآبك كهآجر : ذاك الحرمى الذى كاد يستولى على الممالك كلها ، ثم قتل فى زمن المعتصم .

ويلاحظ أنه لم يخصص باباً للمنتهى بألف لينة ، كما صنع سابقوه من اللغويين ، كالجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ) فى صنعائه ، والرازى (ت بعد ٦٩١ هـ) فى مختاره ، والفيروزابادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ) فى قاموسه ، فالنهج الذى ارتآه سمح بإدراج مواد باب الألف اللينة من هذه المعجمات ، فى أبواب حروفها الأولى ، ولهذا نجد يبدأ باب الهمزة بحديث عن الهمزة ، وهو الحديث الذى ذكره صاحب القاموس المحيط عنها فى باب الألف اللينة . وكذلك صنع فى سائر مواد هذا الباب .

(٢) لم يحدث طاهر الزاوى تغييراً فى المادة العلمية التى دونها الفيروزابادى ، ومن ثم لا نجد هنا جديداً نذكره عنها ، أو عن الرسم الخاص الذى يصدر به المادة ، وتسلسل الحديث عن مجردها ومزیدها ، وجامدها ومشتقاتها ، وأفعالها : لازمها ومتعديها . وأسمائها : أفراداً وجمعاً ، وصفاتها : أفراداً وجمعاً ، قياسها ومسموعها . فجميع

ذلك لم يستحدث فيه جديداً (١) غير أنه رأى أن يستفيد بما نقله عن بعض المعقبين على القاموس، مثل السيد محمد مرتضى الحسيني (١١٤٥ - ١٠٢٥ هـ) ، في كتابه : تاج العروس ، وغيره ، في تصحيح بعض أسماء البلدان . وأن يعتمد ما ذهبوا إليه « بدون التنبيه على رأي المؤلف (٢) » .

وكان من الأفضل ألا يدمج هذه التصويريات في عمل الفيروزابادي . وأن يدعها لإضافات في ذيل صفحات الكتاب ، كما صنع حين نقل تصويريات وتعقيبات المحدثين . وكذلك ارتضى طريقة الفيروزابادي في ضبط الأسماء والأفعال ، وقد كانت في حاجة شديدة إلى إدخال مزيد من التيسير عليها ، ولعله وجد من الغناء الكبير ما صنعه من تعميم الضبط بالحركات لكل المادة العلمية في القاموس ، وإنه ليحمل عبء هذا الضبط وحده ، ونرجو أن يكون قد لازمه كل التوفيق .

(٤) وقد أدى النهج الذي ارتآه الزاوي ، واهتمامه بذكر الكلمة في موضعها من باب حرفها الأول ، ثم حسب سائر حروفها بغض النظر عن أصلها ومزیدها ، وكذلك مارآه من وضع كلمات أدرجها صاحب القاموس في الحديث عن مادتها الأصلية حسب اعتباره هو ، مما وجدته الزاوي وغيره يشق على المستكشف .

أدى هذا النهج إلى تمييز هذه الكلمات الجديدة ، والتنبيه إلى أماكن البحث عنها ، وذلك بأن وضعها في بدء السطر ، بين حاصرتين [] يعقبهما ذكر المادة ، حرفاً منفصلة . مثل ذلك : .. [بيروت] في : ب ر ت ، و [بانقيا] في : ن ق ي ، [الحَجَّوَج] في ح ج ، و [حَجُّور] في : ح ج ر .

(*) ومواد « القاموس المحيط » الواردة في « صحاح » الجوهري ، وضعها طاهر الزاوي بين قوسين مسننين ﴿ ﴾ ووضع المواد التي زادها الفيروزابادي على مواد الجوهري ، بين نجمين (٣) * * ، مثل : البوطة بالضم : الذي يذيب فيه الصائع .

(١) سبق أن تناولنا هذه الظواهر عند حديثنا عن « القاموس المحيط » ص ٩٧ وما بعدها .

(٢) طاهر الزاوي : مقدمة « ترتيب القاموس المحيط » .

(٣) كتب الفيروزابادي المواد التي زادها على مواد صحاح الجوهري بالمئات الأحمر ، تمييزاً لها عن المواد المشتركة في الكتابين . وميز ناشرو القاموس هذه المواد المزينة ، فأهملوا كتابتها بالمئات الأحمر ، واستعاضوا عن ذلك بوضع خط أفقي صغير فوق المادة المزينة . أما المواد المشتركة في الكتابين ، فوضعها بين هلالين . انظر الحديث عن القاموس المحيط : ص : ٩٧ وما بعدها ، من هذا الكتاب .

ويضع النجم ، كذلك ، فاصلا في ثنايا شرح المادة ، كما صنع في مادة بوطه ، قال :
« وبُويط كزبير - ة بمصر ، منها يوسف بن يحيى الإمام * وباط : افتقر بعد غنى ، وذل
بعد عز * وبُواط كغراب : جبال جهينة على أبراد من المدينة ، منه غزوة بواط اعترض
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش » .

غير أن هناك مواد ذكرت في صحاح الجوهري ، ووضعها ناشرو القاموس المحيط
بين قوسين () ، وردت في « ترتيب القاموس المحيط » بين نجمين ، مثل مادة :
* البدن * مما يشعر بأنها من مزيدات الفيروزابادي . ويبدو أن مثل هذا مما ند من
قلم الزاوي غير متعمد له .

(٦) وتبع الزاوي ناشري « القاموس المحيط » حين أبقوا على ما وجدوه مضيباً عليه
(X) في النسخة المقروءة على الفيروزابادي ، فوضعه بين حرفي جيم ، فوقهما ثلاث
نقط ، هكذا : ثج .. ثج ؛ وما وجدوه مشطوباً عليه ، وضعوه بين حرفي طاء ، هكذا :
ط . . . ط ومن ذلك :

ثج * البابونج * زهرة م كثيرة النفع ثج .

٧ - وكذلك أبقى الرموز التي ارتضاها صاحب القاموس ، وهي : م بمعنى معروف ،

ع بمعنى : موضع ؛ ة بمعنى : قرية ؛ د بمعنى : بلد ؛ ج بمعنى : جمع ؛ جج بمعنى :
جمع الجمع ؛ ولم يستحدث رموزاً أخرى .

٨ - ومن المظاهر الجديرة بالتقدير في ترتيب القاموس المحيط استخدام علامات
الترقيم ، وهي بالإضافة إلى الضبط الكامل بالشكل ، من المزاي التي تعين القارئ
وتيسر الانتفاع بمادته القيمة .

تقدير الكتاب :

لعل ماتقدم من حديث عن « ترتيب القاموس المحيط » على طريقة المصباح
المنير « وأساس البلاغة » أظهر مدى ما بذله واضعه : طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي ،
من جهد مشكور في إعادة تبويب وترتيب مواد « القاموس المحيط » للفيروزابادي ،
ونشره في ثوب جديد ، وفق النهج الذي سبق به الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) في
« أساس البلاغة » ثم الفيومي « (ت ٧٧٢ هـ) صاحب « المصباح المنير » ، وهما
اللغويان اللذان حذا حذوهما الزاوي ، وحرص على أن يشير إليهما في عنوان كتابه .

ومحاولة إبراز الكلمات التي رأى الزاوي صعوبة تعرف القارىء على موضعها من مادتها ، لم تحصل بناءً بعد ، فلاتزال هناك وفرة من الكلمات مندرجة في موادها ، كانت تحتاج إلى إظهارها في مكانها من الترتيب الأبجدي الجديد مع عدم الاقتصار على التشبيه إلى مكانها من مادتها دون شرح معانيها ، كما صنع فيما نص عليه . وكذلك كان من الصعب بمكان كبير تتبع المادة اللغوية الضخمة التي حواها القاموس المحيط ، واستنباط ما كان يجب أن يسرى عليه هذا المبدأ ، ولو تم ذلك لجاء « ترتيب القاموس المحيط » في ثوب مختلف تماماً عن ثوبه الذي ظهر به .

وربما كان من الشاق كذلك ، الاستفادة بطاقات المطبعة الحديثة في إظهار « ترتيب القاموس المحيط » في مظهر المعاجم المعاصرة ، كالمنجد ، والمعجم الوسيط ، وهي الطاقات التي لفتت الطلاب إلى هذه المعاجم ، وليس ضالة الجهد اللغوي وضعف الدراية بعلم الصرف وحدهما كما يشير الزاوي حين قال : « .. وكانت حاجتهم الملحة إلى تفهم ما يعرض لهم من معان لغوية تدفعهم دائماً إلى مراجعة المنجد وغيره من المؤلفات العصرية ، مع اقتناعهم بأن القاموس أوسع مادة ، وأصح متناً ، وأدق تعبيراً عن المعنى المطابق لمقاصد العرب ولطلاب العلم ، عذرهم في الانصراف عن مراجعته ، إذ كيف ينلم طالب العلم أن « يوسف » في أ س ف ، و « إسرائيل » في : س ر ا ، و « فيروزآبادى » في : ف ر ز .. » .

وبعد ، فإن كل جهد لغوي جديد مشكور ، لأنه يضيف ثروة إلى المكتبة العربية ويجدد شرايبها ، ويلفت أنظار الدراسين باستمرار إلى ضرورة العناية بتراثهم القومي وإحيائه ، والميادين مازالت قابلة لجهود كل رائد ، والمجالات أوسع من أن تضيق بأى بذل كريم .

هذا وقد صدر « ترتيب القاموس المحيط » على طريقة المصباح المنير و « أساس البلاغة » بالقاهرة في أربعة أجزاء ، ينتهى الجزء الأول منها بباب الحاء ، مادة : (حى) ، والجزء الثانى بباب الصاد ، مادة : (صيهم) . وطبع هذان الجزآن بمطبعة الاستقامة سنة ١٩٥٩ م . - وينتهى الجزء الثالث بباب القاف ، مادة (قيوان - ع باليمن ببلاد خولان) وطبع هو والجزء الرابع ، بمطبعة الرسالة سنة ١٩٥٩ م .

زهيد :

ظل عهدنا بالمعاجم العربية حتى منتصف هذا القرن العشرين يتولى إعدادها، وجمع مادتها وتنظيمها، ورسم المنهج الخاص بكل منها - العلماء العرب والمعنيون باللغة العربية وتدوينها، ينهضون بكل ذلك فرادى لا يستعين عالم بصديق أو زميل أو تلميذ، حتى يفرغ منه وينشره أمام الناس. وجاء القرن العشرون، وشهد في منصرف الثلث الأول منه، مولد مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، هيئة رسمية علمية تشرف عليها الدولة وترعاها، وتوفر لها سبل البحث والتنقيب، وتستجيب لما تقترح، وتسرع إلى ماتوصى به، وتضم إلى أعضائها العلماء الباحثين من شتى أقطار الأرض.

ومنذ أنشئ مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤م، وهو يعمل على «أن يحافظ على سلامة اللغة، وأن يجعلها واقية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر^(١)» وكانت له بحوثه العميقة، ومصطلحاته اللغوية لشتى المجالات، نشرها تباعاً في مجلته الخاصة، وفي نشراته، ومجموعاته ووضعها بين أيدي الناس. وكان من بين أغراضه كذلك أن يقوم بوضع «معجم تاريخي للغة»، يسجل تطورها في شتى العصور. ويرغب المستعرب الألماني «فيشر» (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) أحد أعضاء المجمع في وضع معجم يفي بهذه الناحية، على غرار معجم أكسفورد، ولكن لم يتم له ذلك^(٢)؛ فرأى المجمع أن يبذل محاولة تقرب من هذه الغاية بالتزامه جمع النصوص والشواهد اللغوية، وترتيبها ترتيباً تاريخياً قدر الإمكان، في أول معجم يصدره المجمع: «المعجم الكبير»، وذلك حتى يتيسر إخراج هذا المعجم التاريخي، أمل اللغويين في هذا العصر.

غير أن من يطلع على المعجم الكبير^(٣) الذي صدر أول قسم منه سنة ١٩٥٦ م،

(١) مرسوم إنشاء المجمع سنة ١٩٣٤ م.

(٢) عمل فيشر نموذجاً لمقترحاته بهذا الشأن، عرضه على المجمع ونشر هذا النموذج سنة ١٩٥٠.

(٣) انظر فيما سبق: الحديث عن المعجم الكبير ص: ١٥٥.

يرى أنه غزير المادة ، غنى بمقارنة اللغة العربية بأخواتها الساميات ، وبغيرها من اللغات الأجنبية ، ملئ بالشواهد والنصوص ، وإن كان لا يغفل متابعة تسجيل المادة اللغوية بعد عصور الاحتجاج اللغوي التي كان يقف عندها واضعو المعاجم العربية ، ومن ثم كان هذا المعجم أكثر وفاء بحاجات المتخصصين اللغويين منه بحاجات الراغبين في زاد سريع ، مافى هذا المعجم من تقرير صريح بأنه يقى بحاجات أوساط المثقفين . ومن ثم اتجهت الرغبة إلى إصدار « المعجم الوسيط » ^(١) ليلبي حاجات العصر ، على أن يكون « محكم الترتيب » ، واضح الأسلوب ، سهل التناول ، مشتملا على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير ، وعلى مصطلحات العلوم والفنون ^(٢) ، وانتظم العمل لإعداد هذا المعجم منذ سنة ١٩٤٠ م ثم وكل المجمع أمر مراجعته وتهذيبه وتنسيقه ، إلى أربعة من أعضائه ؛ فعكفوا ثلاث سنين على أداء ما وكل إليهم ، وأصدروه في جزئين ضخمين يقعان في ١٠٨١ صفحة ، يشتملان على نحو ٣٠ ألف مادة ، ومليون كلمة وستمئة صورة ، وصدر الجزء الأول منهما في سنة ١٣٨٠ هـ (سنة ١٩٦٠ م) وصدر الثاني في سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) .

منهج المعجم الوسيط :

(١) يعد في مقدمة ما ارتضاه المجمع لتبويب هذا المعجم ، تقسيمه إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، وباعتبار الحرف الأول من حروف المادة الأصلية ، فباب الهمزة يجمع المواد المبدوءة بالهمزة ، وباب الجيم يجمع المواد المبدوءة بالجيم وهكذا . ثم يرتب مواد كل باب حسب الحرف الثاني من حروفها الأصلية . ولا يسمى المعجم هذا التبويب فصولا ، كما سمته بعض المعاجم ، وكذلك لا يصنع مثلما صنع الفيومي في « المصباح » ، فيقول ، الجيم مع الباء ، الجيم مع الدال .. وهكذا ، ثم يلحظ بقية حروف المادة : الثالث ، والرابع ، والخامس . ولا يعدل المعجم عن الترتيب الهجائي المتداول : (أ / ب / ت / ث / ج . إلخ) ، حتى مع الواو والياء ، فالهاء متقدمة على الواو في ترتيب الأبواب ، والفصول ، إذا

(١) وذلك حسب رغبة أبدأتها إلى المجمع « وزارة المعارف العمومية » سنة ١٩٢٩ م . .

(٢) الدكتور إبراهيم مذكور : تصدير المعجم الوسيط .

اعتبرنا الحرف الثانى فصلا ، وفى ترتيب مواد كل فصل . مثال ذلك :

(أ) أنق - أنم - أنن - أنى .

(ب) أهب - .. - أهل - أهه - أهى .

(ج) أو - أوب - .. - أون - أوه (أه) - أوى .

(د) أى .

(٢) صرح المعجم بأنه يعيد المادة إلى حروفها الأصلية ؛ فهناك كلمات صدرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالا دائما ، كالتؤدة، وتجه ، وتقى، والتراث - هذه جعلت مع أصلها فى باب الواو .

وكذلك يضع المزيدات فى أبوابها الأصلية فتبحث عن : الكثيراء فى : كثر ، وعن المكثاف ، فى كثف : وعن : الميعاد ، فى : وعد .

(٣) يسجل المعجم المواد اللغوية التى أنتجتها البيئات العربية فى شتى البقاع ، وعلى مدى العصور ، غير متقيد بماالتزمه المعجميون من قبل ، من التحرج من تسجيل المادة اللغوية للأمصار بعد القرن الثانى الهجرى وللبادية بعد القرن الرابع الهجرى ، ومن التزام حدود البيئة الضيقة لشبه الجزيرة العربية . وهو إذاً يسجل مظاهر التطور الحضارى والعمرانى ، ويضع بين أيدي أرباب البحوث والصناعات والحرف ثمره ماتوصل إليه جهدهم معبراً عنه بهذه الثروة اللغوية ، وقد أعان المجمع وأعضاؤه ولجانته العديدة فى وضع هذه المصطلحات بعد صقلها بالصقال العربى ، وتطويرها ثم بإقرارها للتداول العام . مثال ذلك .

(الكبس) : سلك معدنى قابل للاتصهار - يكون على مجرى تيار كهبرى يذوب إذا زاد التيار .

(الكبيبة) : لحم يدق ويضاف إليه جريش الأرز أو القمح .

(العتلة) : عمود قصير من الحديد له رأس عريض يهدم به الحائط ويقلع به الشجر

والحجر (ج) عتل .

(العميد) : السيد المعتمد عليه فى الأمور . ومدير الكلية فى الجامعة ، ورتبة من

الجيش والشرطة فوق العقيد ودون اللواء .

٤) ويستفيد المعجم من قرار المجمع : إطلاق القياس ، ليشمل ماقيس من قبل ومالم يُقَسَّ ؛ ذلك أن العلماء العرب ، وقد توصلوا إلى وضع مقاييس معتمدة على ملاحظاتهم التتبعية لمأثور الكلام ، كانوا يتخرجون من استخدام هذه المقاييس في مداها التطبيق ، مالم يسعف النص اللغوي المأثور ، فقرر المجمع استخدام هذه المقاييس فيما لم يسبق عن متقدمي العرب ليزيد ذلك في ثروة اللغة ويفي بمطالب العصر . من ذلك :

١ - قياس صيغة المطاوعة من فَعَلَّ وماأَلْحَقَ به ، بزيادة تاء في أوله : تَفَعَّلَ ، نحو دحرجته فتدحرج ؛ وكذلك من فَعَلَ : تَفَعَّلَ - نحو كسره ، فتكسر .

٢ - صوغ المصدر الصناعي بزيادة ياء مشددة وتاء في آخر الاسم .
مثل : الحريرة ، الاشتراكية ؛ الإنسانية .

٣ - صوغ اسم الآلة على وزن مَفْعَل ، ومَفْعَال ، ومَفْعَلَةٌ ، من الفعل الثلاثي ؛ نحو منجَل . ومحراث ، ومخرطة . ويضاف إليها : فَعَالَةٌ ، كخرأطة ، وسَمَاعَةٌ .

٤ - قياس صوغ مَفْعَلَةٌ من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للدلالة على المكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان أم من الجماد ، كَمَبْطَخَةٌ للمكان الذي يكثر فيه البطيخ ، ومَأْسَدَةٌ للمكان الذي تكثر فيه الأسد .

٥ - الحرص على الاستعانة بالرسوم والصور لتوضيح ما يشرحه المعجم من نبات أو حيوان أو أشياء ، أخذاً بما هو متبع في فن المعاجم الحديث . وقد سبقه في هذه الناحية معجم « المنجد » للأب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧ . ١٩٤٦ م .) وقد بلغ عدد الرسوم التي استعان بها المعجم نحو ستمائة صورة . مثال ذلك :

(الآس) : شجر دائم الخضرة بيضى الورق ، أبيض الزهر أو ورديه ، عطري ، وثمار لُبِّيَّة سود تؤكل غضة وتجفف فتكون من التوابل . وهو من فصيلة الآسيات . ويجوار هذا البيان رسم فرع نبات به بعض أوراق الآس .
ومثل :

(بيت الإبرة) : علبة صغيرة ، بها إبرة مغنطيسية ، تدور على محور دقيق ، يتجه رأسها نحو الشمال دائما تعرف بها الجهات . يلي ذلك رسم بيت الإبرة .



بيت الإبرة

٦ - ويلاحظ في المثالين السابقين اختيار الأسلوب السهل في التعريف بالمسميات، والعدول عن طريقة الأقدمين في التعريف بما يحتاج إلى التعريف .

٧ - ومن أجل ذلك هجر المعجم الغريب الوحشى، والمستنكر، والمهجور من المصطلحات، بل ومن الألفاظ اللغوية كبعض أسماء الإبل وصفاتها وأدواتها وطرق علاجها، ليحل محلها ألفاظ ومصطلحات العصر .

٨ - وفي مجال التعريف بالأعلام، عرض ماتدعو الضرورة إلى التعريف به في اقتضاب وإيجاز، مثال ذلك « تَأْبَطُ شُرَا » لقب ثابت بن جابر، عَدَاءُ عَرَبِي جَاهِلِي والنسبة إليه تَأْبَطِي .

وكان من بين دواعي تأليف هذا المعجم أن يعرف بالأعلام تعريفاً مركزاً موجزاً، على مثال ما يصنع معجم « لاروس » الفرنسي، غير أن المجمع صرف النظر ألبتة منذ البدء عن هذا الهدف، وسمح بأمثال هذه اللمع ترد في ثنايا الكتاب .

٩ - لم يسرف في استخدام الرموز بل استخدمها في أضيق الحدود .

والرموز المستعملة في هذا المعجم هي :

(١) (ج) : لبيان الجمع .

(٢) (َ) : لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التي توضع فوقها أو تحتها .

(٣) (و) : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد .

(٤) (مو) : للمولد، وهو اللفظ الذي استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية .

(٥) (مع) : للمعرب، وهو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو

القلب .

(٦) (د) الدخيل، وهو اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير، كالأوكسجين

والتليفون .

(٧) (مج) : للفظ للذي أقره مجمع اللغة العربية .

(٨) (محدثة) : للفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في الحياة العامة .

(١٠) يستعين المعجم في شرحه الألفاظ بالنصوص المستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال العربية، والمأثور من أساليب الفصحاء من الكتاب والشعراء وهذه النصوص تعد دون شك، المصادر الأصيلة للغة . ومن أجل ذلك يستفيد المعجم بجهود اللغويين أصحاب الفضل الأول في صون التراث العربي، ويقبس منهم، في غير تقييد بحرفية ما به سبقوا أو تمسك به، ولكن في تجديد صوغه بأسلوب يلائم روح العصر .

خصائص المعجم :

من الممكن أن يضاف إلى ماسبق من نقاط، نقاط أخرى، بعضها يعود إلى التنظيم والتنسيق الذي وضعت فيه المواد، وبعضها يعود إلى طريقة علاج المواد وشرحها .

وسيتضح ذلك بتحليل المادة الآتية :

* (أ ب) : للسير - أبا و أبابا : تهيأ وتجهز .

و - إليه : اشتاق ونزع . و - على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة .
ويقال : أبت أبابة الشيء : استقامت طريقته .

و - الشيء أبأ : قصده . ويقال : أب أبه : قصد قصده .

و - يده إلى سيفه : ردّها ليستله .

(اتتب له) : أب .

(استأب) : أبأ ، اتخذ وانتسب إليه .

(تأبب به) : فخريه .

(الأباب) : الماء الكثير .

(الأبابة) : داء يصيب الغريب ، وهو شدة حنينه إلى وطنه (مج) .

(الأب) : العشب : رطبه ويابس ، قال تعالى : (وفاكهة وأبا) .

وتقول : فلان راع له الحب وطاع له الأب : زكا زرعه ، واتسع مرعاه .
و - لغة في الأب .

(إبان) : الشيء : أوانه . لا يستعمل إلا مضافا ، مثل إبان الفاكهة .

(أيبب) : الشهر الحادى عشر من السنة القبطية .

المناقشة :

(١) يبحث عن المادة السابقة فى باب الهمزة ، مادة : أب . وقد صدر المعجم باب الهمزة بالحديث عن حرف الهمزة : أول حروف الهجاء وعن أحوالها . من ورودها لينة ساكنة كآلف قال ورمى . ويابسة متحركة كآلف سأل وبدأ .

ثم تحدث عن استخدام الهمزة فى النداء والاستفهام ، ومثل لهذا الاستخدام . والحديث عن حرف الهمزة كان وجيزاً ، على غير ما صنع « المعجم الكبير » ، الذى يصدره المجمع ، وعلى غير ما صنع الشرتونى فى : « أقرب الموارد » .

(٢) وضع مادة : أب بين هلالين قبلهما نجم كثير الأشعة * فى مبدأ السطر ، وبعد الهلالين نقطتان ، بقصد الشرح والتفسير . ويلاحظ أن وضع النقطتين بعد الهلالين لايسير على وتيرة واحدة ، فتارة يضعهما بعد مايتصل بالمادة المطلوب شرحها من الفاظ، مثل : « * (عجم) الحرف والكتاب - عجماً : أزال إبهامه بالنقط والشكل » . وتارة يضعهما عقب الهلالين مباشرة ، ويكررها عقب مايتصل بالمادة من تكملة ، مثلما صنع فى هذه المادة :

* (أب) : للسير - أباً وأباباً تهباً وتجهز .

وأحياناً يكتفى بوضعهما عقب مكملات المادة ولايضعهما بعد الهلالين . مثال ذلك : « * (أبت) اليوم - أبتاً : اشتد حره » ويبدو أن هذا الموقف يحتاج إلى إعادة النظر عند إعادة النشر .

ويضع فروع المادة فى مبدأ السطر كذلك ، بين هلالين غير مسبوقين بالنجم . ووضع المادة فى أسلوب لبيان طريق استخدامها ، وتلون معناها بتغير وضعها فى الأساليب ، فى هذه المادة يقول : أب للسير أباً وأباباً : تهباً وتجهز ، وأب إليه : اشتاق ونزع . وأب على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة .

ومن أجل ذلك ومنعاً من تكرار المادة فى هذه الأساليب العديدة ، يضع خطيطا صغيرا مسبوqa بالحرف (و) كمايرى فى المثال السابق ومثل : (الإبرة) : أداة أحد طرفيها محدد والآخر مثقوب يخاط بها . و - من العقرب أو النحلة : ماتلسع به ، و - من القرن : طرفه و - من المرفق : طرف العظم الناتىء عند ثنى الذراع .

ويضع نصوص القرآن الكريم ، المستشهد بها على المادة اللغوية ، بين قوسين مستننين، مثال ذلك ما استشهد به في المادة السابقة من كلام الله تعالى : ﴿ وفاكهةً وأباً ﴾ وما يستشهد به من نصوص أدبية أخرى يضعه بين علامتى تنصيص مثال ذلك قوله: وفي الحديث « لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » ؛ وفي المثل : « جرى المذكيات غلاب » و « أطمع من أشعب » « طمع أشعبي » ؛ وهكذا فى سائر المعجم .

٣ (بدأ المعجم فى شرح المادة بالفعل، وقدم المجرد على المزيد إذا كان كل منهما مستعملا ، وكذلك قدم اللازم على المتعدى . وعمم القياس فى تعدية الفعل الثلاثى بالهمزة اتباعا لما قرره المجمع .

ويرتب الأفعال المزيدة ترتيبا هجائياً ، ويقدم ما زيد فيه حرف ، ثم ما زيد فيه حرفان ، ثم ما زيد منه ثلاثة أحرف، والتزم فى هذه المزيدات تقديم بعض الأبنية على بعض ، ففى المزيد ، يرتب الأبنية كما يلى :

أفعل ، كأكرم ؛ فاعل ، كقاتل ؛ فعل ، ككرم .

ويرتب أبنية المزيد بحرفين هكذا .

افتعل ، كاشتق، انفعل، كانكسر، تفاعل، كتشاور؛ تفعل، كتعلم ؛ افعل، كاحمر. وأبنية المزيد بثلاثة أحرف .

استفعل ، كاستغفر ، افوعل ، كاعشوشب ؛ افعالاً ، كاحماراً ؛ افعول ، كاجلوذ .

أما الأسماء فقد استخدم فيها الترتيب الهجائى السائد فى المعجم ؛ ففى مادة : عجم يذكر الأسماء المشتقة من المادة مرتبة هكذا :

الأعجم - الأعجمى - العُجام - العجامة - العجم - العُجم - العجماء - المعجم .

٤ (وفى الثلاثى المجرد، تقيّد بترتيب أفعاله حسب الأوزان الستة الآتية :

(أ) فعل - يفعل ، كنصر بنصر .

(ب) فعل - يفعل ، كضرب يضرب .

(ج) فعل - يفعل ، كفتح يفتح .

(د) فعل - يفعل ، كعلم يعلم .

(هـ) فعل - يفعل كشرف يشرف .

(و) فعل - يفعل ؛ كحسب يحسب .

٥) اكتفى المعجم فى الضبط باستخدام رموز الشكل ، يضبط بها المادة المشروحة ، والنصوص الأدبية . ولم يلجأ إلى النص على نوع الضبط كما تصنع المعاجم ، ومن بينها المعجم الكبير الذى صدره المجمع ، حين تقول مثلاً : بالضم أو بالفتح أو بالكسر . وكذلك لم يلجأ إلى التمثيل بألفاظ مشهورة ، كما كانت تصنع المعاجم أيضاً .
ولضبط الفعل المضارع يضع خطيماً صغيراً يرسم فوقه أو تحته الشكل مثل : أبٌ للسير — أباً وأبأباً : تهباً وتجهز ؛ وأبت اليوم - أبتاً : اشتد حره فهو أبت . وعَجَمَ الحرفَ والكتابَ - عَجَمًا : أزال إبهامه بالنقط والشكل ، وعَجِمَ فلانٌ - عَجْمَةٌ : كان فى لسانه لُكنة .

ومع ثقة الناس بالقائمين على المعجم : جمعاً ، وإعداداً ، وإخراجاً ، وإشرافاً على الطبع - كان يحسن بهم أن يستفيدوا من طريقة الأقدمين فى الضبط بالنص على نوع الضبط ، وبالتمثيل بلفظ متداول مشهور أو بأحد الأمرين ، وكذلك فى الانتفاع بأمثلة بناء الثلاثى المجرد الستة التى مثلت بها لجنة المعجم ، صيانة للغة ورعاية للأجيال حين تريد إعادة طبع المعجم .

تقدير المعجم :

ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان أن المعجم الوسيط ليس عمل فرد اضطلع بجمع مادته وإعدادها وتبويبها - حسبما أعد من تنظيم داخلى ، ورسم السبيل لإخراجه فى مظهر معين . وإنما هو عمل هيئة أشرفت على جميع ذلك ثم عهدت إلى لجنة خاصة من بينها لتتولى إعداده للنشر متقيدة بما رسم لها من منهج ، وما أعد من تخطيط .
وقد تقرر منذ البدء جمع الثروة اللغوية الماثورة والمستحدثة فى إطار واحد اهتماماً بما أنتجته الثقافة والحضارة العربية على مدى العصور ، وحفاظاً على جهد أمة ممتدة الرقعة فسيحة المكان مشاركة فى الإنتاج الحضارى من أن يضع بدداً ، ويتفرق هباءً خاصة أن الثروة اللغوية الجديدة تخضع غالباً للقياس العربى ، وتطوع غالباً كذلك لقواعد التعريب أولاً تستعصى عليه .

ومن ثم وردت فى العبارات التى قُدِّمَ بها المعجم للناس ، الإشادة بانتصار المعجم على التقليد القديم الذى كان يقف بتدوين النتاج عند عصور الاحتجاج اللغوى ، ولا بأس فى ذلك على ألا يكون فى هذا التقديم ما يشعر بالثأر من الأجيال السابقة ، حين سجل المعجم ، الجديد من الثروة اللغوية . جاء فى تصدير المعجم : « .. وهو فوق كل هذا مجدد ومعاصر يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ،

ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة .. فيه ألفاظ حديثة ، ومصطلحات علمية لم يرض المجمع الفرنسي أن يدخلها في معجمه إلا بعد مضي مائة سنة تقريبا من نشره، وفي الطبعة الرابعة .. » .

وإبطاء المجمع الفرنسي نحو مائة سنة قبل أن يرضى بتسجيل الثروات الجديدة ، حرص منه على أن يترك هذه الثروات بين أيدي الناس ، فإما أن يقدر لها الرضى بالبقاء ، أو توءد بيد من لا يرضون لها الحياة دون جدوى .

وقد تردد في تقديم اللجنة للمعجم ، ألفاظ : « المعاصر » و « العصر » . ويبدو أن الحرص على مسايرة المعجم للعصر وجد منذ البدء في إعداد المعجم ، ولذا وجدت اللجنة مندوحة في إغفال ما نصت على إغفاله أو أشارت إليه في مقدمة المعجم .

ومع توفيق اللجنة في هدفها ، كان يحسن الاستقلال بذلك ؛ فالمعجم لهذا الجيل وللأجيال القادمة ، والمتردد على الاطلاع عليه لا ينتمى إلى بيئة معينة ، ولا ينتسب إلى ثقافة خاصة ، وإنما المعجم لجميع الناس في شتى البيئات ، ولمختلفى الثقافات ، وما يترك الآن سيحتاج إليه غدا ، وكذلك ما يسجل من مستحدثات لغة العصر سيتبدل في مستقبل الأيام . وكان أفضل للمعجم أن يكتفى بتيسير التناول . وتسهيل التلقى ، وإعادة صنوغ العسير في قالب يسير ، مع الحفاظ على الثروة تراثا للأجيال . وفي وسع الجيل المقبل أن يعيد نشر المعجم : مضافا إليه الجديد فيبقى دائما متمشيا مع كل عصر . وهناك بعض ملحوظات تتصل بالشكل وبالموضوع تعرضت لها الصفحات السابقة وتضاف إليها ملحوظة أخرى هي أنه أحيانا يشرح الشيء بما يعد أكثر غموضا منه مثال ذلك : ما ذكره في مادة : كثر ، قال : (الكثيراء) : نوع نبات من جنس الأسطرغالس من الفصيلة القرنية ، ولم تذكر في المعجم مادة : الأسطرغالس حيث يتوقع أن تذكر .

وقد يحيل في شرح المادة على ما ذكره في موضع آخر ثم يتبين خلافه .
مثال ذلك قوله : (الهيدكور) والهيدكورة : انظر : ه د ك ر . وبالرجوع إلى المعجم تبين أن هذه المادة لم تسجل في الموضع الذي حدد لها .

وبعد اللجوء إلى توضيح المسميات بالرسوم والصور عملا ييسر للباحث كثيراً من الصعاب ، ويساعد من يتصدى للترجمة على الوقوف على ما يريد من أقرب سبيل .
وبعد .. فليتست هذه آخر خطوة يخطوها المجمع في ميدان المعاجم اللغوية ، ففى جعبته الكثير وما ينتظره الناس أكثر .

كان من المفيد أن نتناول هنا بشيء من الدرس : « المعجم اللغوى التاريخى » الذى كتب فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩ م) نموذجا منه ، نشره المجمع اللغوى بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م .

غير أن هذا النموذج كان مجرد محاولة لكتابة معجم تاريخى للغة العربية ، تترقب الهيئات العلمية والدارسون صدورهم ، ويبدو أن « المجمع اللغوى » لم يرسم ، بعد ، الطريق الذى يخرج به مثل هذا المعجم إلى الوجود ، وعسى أن يخطو هذه الخطوة ، وأن يتيح للجيل الحاضر شرف الإسهام فى المراحل الأولى ، وما أبعد الوصول إلى إنجازها فى القريب .

وما زال على « المجمع » أن يعمل على إظهار معجم صغير « للجيب » ، يجيب تساؤل الشادين ، ويفى بحاجات العصر ، ويسمح بالوقوف على الثروة القديمة الصالحة للاستخدام المعاصر .

وأخيرا فإنى أرجو أن أقدم فى القريب إن شاء الله دراسة تحليلية لبعض « المعاجم المبوية » ، تعرف الناس بها ، وتيسر سبيل الانتفاع بما فيها من ثروة موفورة الخير .

والله الموفق .

المراجع

- ١- إبراهيم أنيس (دكتور): دلالة الألفاظ . ط . الأنجلو المصرية . ١٩٥٨ .
- ٢ - البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان . ط . ليدن . ١٨٧٠ م .
- ٣ - ابن جرير الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك . ط . المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الأولى .
- ٤ - ابن جنى : أبو الفتح عثمان: الخصائص . ط . دار الكتب المصرية . ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
- ٥ - ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، الجزء الأول . ط . مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤ م .
- ٦ - ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني : تهذيب التهذيب . ط . حيدر آباد ١٣٢٥ هـ .
- ٧ - ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .
- ٨ - ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ط . المطبعة الأزهرية بالقاهرة .
- ٩ - ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن : جمهرة اللغة . ط . حيدر آباد ١٣٤٦ هـ .
- ١٠ - ابن سعد : عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبرى . ليدن ١٣٢٠ - ١٣٢٥ هـ .
- ١١ - ابن سلام : أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء دار المعارف .
- ١٢ - ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي : المخصص ط المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣١٦ هـ .
- ١٣ - ابن العماد : عبدالحى بن أحمد بن محمد أبو الفلاح الحنبلي:

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
ط . مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ .
- ١٤ - ابن النديم :
١٥ - ابن فارس :
١٦ - ابن فارس :
١٧ - ابن مالك :
- محمد بن إسحق : الفهرست . ط الاستقامة بالقاهرة
أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا :
الصاحبى فى فقه اللغة ط المكتبة السلفية بالقاهرة
مقاييس اللغة ط عيسى البابى الحلبي .
القاهرة ١٣٦٦ ١٣٧١ هـ .
- ١٨ - ابن منظور :
١٩ - أبو الطيب :
٢٠ - أبو الطيب :
٢١ - أحمد أمين :
٢٢ - أحمد عبدالغفور عطار :
- أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك الطائى
الأندلسى :
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .
تحقيق د . محمد كامل بركات ط . دار الكاتب
العربى بالقاهرة ١٩٦٨ م .
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :
لسان العرب ط بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
عبدالواحد اللغوى :
شجر الدر : تحقيق الأستاذ محمد عبدالجواد .
ط دار المعارف بمصر ١٩١٧ م
- مراتب النحويين ط . نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٥ م
فجر الإسلام . ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥
مقدمة الصحاح للجوهري .
- ط . دار الكتاب العربى بمصر ١٩٥٦ م .
محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروى أبو منصور :
التهذيب فى اللغة . ط الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٤ م .
- التطور النحوى للغة العربية ١٩٢٩ م .
تاريخ آداب اللغة العربية ترجمة الدكتور عبدالحليم
النجار . ط . دار المعارف بالقاهرة .
- ٢٤ - برجشتراسر :
٢٥ - بروكلمان : كارل :

Grundriss d . v . Gram d . sem .

Sprachen ' Berlin , 1913

- أبو منصور عبد الملك بن محمد
يتيمة الدهر . ط . السعادة ١٩٥١ م .
تاريخ آداب اللغة العربية .
ط . دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٧ م .
أبو نصر إسماعيل بن حماد : تاج اللغة وصحاح
العربية .
ط دار الكتاب العربي ١٩٥٦ م .
المعجم العربي : نشأته وتطوره .
كتاب العين . ط بغداد ١٩١٣ .
كتاب العين تحقيق دكتور عبدالله درويش . ط .
العاني بغداد ١٩٦٧ م .
محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر : مختار الصحاح
ط المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥
مختار الصحاح
ط . المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٦هـ - ١٩١٨ م
الإمام محمد رضى الدين بن الحسن الاسترأبادى :
شرح شافية ابن الحاجب
ط حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ - ١٣٥٨ هـ .
خير الدين : الأعلام ط المطبعة العربية بمصر ،
١٩٢٧ م
أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : أساس البلاغة
الكتاب . ط . بيروت ١٩٦٧ م .
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .

٢٦ - بروكلمان :

٢٧ - الثعالبي :

٢٨ - جورجى زيدان :

٢٩ - الجوهري :

٣٠ - حسين نصار (دكتور) :

٣١ - الخليل بن أحمد :

٣٢ - الخليل بن أحمد :

٣٣ - الرازى :

٣٤ - الرازى :

٣٥ - الرضى :

٣٦ - الزركلى :

٣٧ - الزمخشري :

٣٨ - سيبويه :

٣٩ - السيوطى :

تحقيق أبو الفضل إبراهيم. ط عيسى الحلبي بالقاهرة.
المزهر ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

سعيد بن عبدالله بن ميخائيل الخوري :
أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد
ط بيروت ١٨٨٩ م .

ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير
وأساس البلاغة . ط . الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٩ م .
أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس
المحيط .

معجم فيشر : مقدمة ونموذج منه . ١٩٥٠ م .
المعجم اللغوي التاريخي ١٩٦٧ م .

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي : المصباح المنير .
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف .
إنباء الرواة على أنباء النحاة .
ط دار الكتب المصرية . ١٩٥٠ م .

المنجد .

المعجم الكبير : القسم الأول من الجزء الأول . ١٩٥٦ م .
المعجم الكبير الجزء الأول . ١٩٧٠ م .
المعجم الوسيط ، ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .
تاريخ التشريع الإسلامي .

ط المكتبة التجارية الكبرى القاهرة . ١٩٧٠ م .
نشأة الفعل الرباعي في اللغات السامية الحية .

ط . المعهد العلمي الفرنسي القاهرة ١٩٦٢ م .
أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ، شهاب الدين :

معجم الأدباء . ط . دار المأمون ١٣٥٥ هـ .

معجم البلدان . ط . السعادة ١٣٢٣ - ١٣٢٤ هـ .

٤٠ - السيوطي :

٤١ - الشرتوني :

٤٢ - طاهر أحمد الزاوي

الطرابلسي :

٤٣ - الفيروزآبادي :

٤٤ - فيشر :

٤٥ - فيشر :

٤٦ - الفيومي :

٤٧ - القفطي :

٤٨ - لويس معلوف

اليسوعي (الأب) .

٤٩-المجمع اللغوي بالقاهرة:

٥٠-المجمع اللغوي بالقاهرة:

٥١-المجمع اللغوي بالقاهرة:

٥٢-محمد الحضري(الشيخ):

٥٣ - مراد كامل (دكتور) :

٥٤ - ياقوت الحموي :

٥٥ - ياقوت الحموي :

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٣	تصدير
٥	مقدمة
	الفصل الأول
١٩	الخليل بن أحمد صاحب كتاب العين .
	الفصل الثاني
٤١	أبر بكر محمد بن الحسن بن دريد صاحب جمهرة اللغة
	الفصل الثالث :
٦٥	الجوهري صاحب الصحاح رواد تابعين :
٧٧	١ - محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح
٨٥	٢ - ابن منظور صاحب لسان العرب
٩٧	٣ - الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط .
	الفصل الرابع
١١٣	١ - أبو القاسم الزمخشري
١٢٦	٢ - أحمد بن محمد الفيومي صاحب المصباح المنير
١٣٩	٣ - الشرتوني صاحب أقرب الموارد
١٤٩	٤ - لويس معلوف اليسوعي صاحب المنجد .
١٥٥	٥ - المعجم الكبير
١٧١	٦ - الأستاذ طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي
	ترتيب القاموس المحيط
١٧٧	٧ - المعجم الوسيط
١٨٧	خاتمة
١٨٨	مراجع

